صلاح فايز

في رحلة العمر

بين السيف والقلم

بقلم
صلاح فايز



بطاقة فهرسة

مكتبة جزيرة الورد
اســم الكتاب : بين السيف والقلم .. رحلة عمر
المـــــــــؤلف : صلاح فايز
رقــم الإيداع :

الطبعة الأولى ٢٠١٨

مكتبة جزيرة الورد
القاهرة : ٤ ميدان حليم خلف بنك فيصل
ش ٢٦ يوليو من ميدان الأوبرا ت : ٠١٠٠٠٠٤٠٤٦ - ٢٧٨٧٧٥٧٤
Tokoboko_5@yahoo.com

الإهداء

إلى روح أمي الغالية .. أهدى الكتاب .. متذكراً نظرتها القلقة لى وهى تحتضر .. كأنما تقول يا ترى ماذا ستفعل الدنيا بى وأنا مازلت فى العاشرة من عمرى

أهديها الكتاب وأقول لها أمي الحبيبة .. لقد احتضنتنى الدنيا وخصّنى ربى بموهبة صرت بها علماً فى مجال الشعر الغنائى .. فلتهنأى أينما كنتى فى جنّة الخلد فمن افتقد حنان أمّه .. لا يفتقد أبداً رحمة ربّه ..

المقدمة

أمّا بعد ...
فلقد وعدت فأفيت بالوعد ..
وها هو الكتاب بين يَدَيْك
وأرجو أن أكون قد وُفقّت ..

صلاح فايز

القسم الأول : فى الأصل كان السيف

من الدار إلى ضرب النار:

(١)

بدأت أول خطواتى فى مشوارى مع السيف وأهله فى النصف الأول من شهر أكتوبر عام ١٩٤٩ على ما أتذكر .. وذلك بعد أن انتقلت إلى الصف الرابع الثانوى (على أيامنا كانت المرحلة الثانوية خمس سنوات) نحصل بعد اجتياز امتحانات الصف الرابع على ما كان يعرف باسم « شهادة الثقافة » أما بعد اجتياز الصف الخامس (أدبى – علمى – رياضة) فقد كان الطالب يحصل على شهادة إتمام الدراسة الثانوية والتى كانت تعرف باسم (الشهادة التوجيهية) .. وكان قد أعلن فى صيف ذلك العام عن افتتاح مدرسة عسكرية ثانوية تقبل بين المتقدمين إليها طلبة من السنة الثالثة والرابعة والخامسة الثانوية بعد اجتياز اختبارات الكشف الطبى وكشف الهيئة وباقى الاشتراطات التى انطبقت بحمد الله على العبد الفقير لمولاه .. والتحقت بالسرية الثانية (التى تضم طلبة الفصل الرابع الثانوى) والتى تم توزيع هذا الصف على الفصول التعليمية حسب التدرج العمرى على ثمانية فصول فكنت بين طلبة رابعة أول لحداثة سنّى .. كنت بالطبع قد حملت معى شنطة جلد كبيرة تحتوى على كل ما طلبته إدارة المدرسة من أولياء الأمور من عدد من بيجامات النوم والغيارات الداخلية وفوط الوجه واليدين وصابون والمعجون (حلاقة – أسنان) والورنيش الأسود وفوط التلميع الصفراء وفرشاة تلميع الأحذية و (البراسو) لتلميع الزراير النحاسية وغيرها و (بيانكو) وهو سائل أبيض لدهان مايسمى (الجتر) و (القايش) وأصناف أخرى لا أتذكرها بالطبع .. وتوجهت لهذا المبنى الأبيض الرابض بشارع الخليفة المأمون بمنطقة منشية البكرى والذى استخدم جزء منه فيما بعد الرئيس الراحل جمال عبدالناصر ليصبح مقراً وسكناً له ومكاناً لاستقبال الرؤساء والوفود الرسمية .. وعبرت الباب الحديدى الضخم مع الطلبة الآخرين لنعبر إلى المجهول والمأمول أن يكون خيراً .. من الحياة المدنية التى اعتدت عيها واعتادت هى الأخرى علىّ إلى دنيا وحياة ونظام امتد فى مشوار جاوز اثنان وثلاثين عاماً حتى أحلت للتقاعد فى صيف عام ١٩٨١ .. وكنت طيلة هذا المشوار مرتدياً ملابسى العسكرية بشرائطها ونجومها ونسورها على الذراع والكتف متحلياً وعاملاً على الحفاظ دوماً على شعارها العظيم (الواجب .. الشرف .. الوطن) مردداً قسم الولاء فاعلاً له محافظاً على سلاحى راعياً صالحاً للمرءوسين مؤدياً لواجبى حسب ما تقتضيه الأوامر والتعليمات والأصول علاوة على ما كنت قد اكتسبته تربوياً من البيت والمدرسة وخصوصاً المدرسة التوفيقية التى أمضيت بها سنتان بالصف الثالث الثانوى بسبب مرضى بالتيفود الذى احتل جسدى النحيل لأشهر طوال لم أستطع معه أن أؤدى امتحانات السنة الأولى ورسبت بالطبع لأعيد مرة أخرى واجتاز وامتاز والحمد لله ..

إلتحقت بتلك المدرسة العظيمة إبان الحكم الملكى وتم اختيارى ضمن ٦٠٠ طالب بالصفوف الثلاثة سابق ذكرها ، فيما قد تقدم للالتحاق بها حوالى ٣٦٠٠٠ طالب لم يحالفهم الحظ باجتياز كل أو بعض اختباراتها فكان اختيارى مدعاة لسعادتى واعتزازى بهذه الثقة المبكرة من هؤلاء القادة العظام الذين عرضت أمامهم باختبار كشف الهيئة والذين على رأسهم ويتوسطهم الفريق عثمان باشا المهدى رئيس أركان القوات المسلحة فى ذلك الوقت ..

وهنا يجدر بى أن أذكر أننى سعيت للانضمام لتلك المدرسة وألححت كثيراً على والدى أن يساعدنى ويرحب بذلك وأن أخوض فى تجربة جديدة بعيدة عن المدارس الحكومية الأخرى أو الخاصة وقد كنت كما سبق أن ذكرت طالباً فى أعظم وأعرق المدارس الحكومية وهى التوفيقية الثانوية بشبرا .. وأجرب حياة جديدة فى مدرسة عسكرية لها زيّها الخاص المميّز وبريقها المنتظر بين أعين طلبة المدارس المدنية الأخرى ، ومن ناحية أخرى ولقد كنت بحق (تلميذ شقى) حسب التعبير الشائع سعيت لأن يكبح جماح هذه الشقاوة نظام صارم يقلّم أظافرها ويعدّل من مسارها ، أما ثالث الأسباب أن أترك منزل والدى الذى كان قد تزوج بعد وفاة والدتى بحوالى ثلاث سنوات ونصف السنة من شابة رائعة من كل الوجوه ، كانت تعاملنى معاملة حسنة للغاية وكانت علاقتى بها علاقة أخ بأخته الأكبر ولكننى آثرت ألا أزاحمهما فى حياتهما سوياً بتواجدى الدائم وأن أكون ضيفاً عليهما ألقى كل الرعاية والحب منهما فى أجازات المدرسة فيما بعد .. وقد كان قرارى واختيارى سليماً من جميع الوجوه

(٢)

بدخولى من ذلك الباب خلعت كل ما هو يُعرف (بالمَلَكْية) أى (المَدَنى) بدءاً من الملابس إلى السلوك إلى النظام إلى عالم جديد بكل ما تحمل الكلمة من معنى واصبحت عبارات مثل (إجرى يا عيّل .. حاذى يا طالب .. إجرى شد سفرى .. جزمتك وسخة ليه .. مش ملمّع نحاس القايش ليه ... إلخ) هى العبارات التى يشدو بها (الطلبة .. صف الضباط) بنهائى الكلية الحربية والموكل إليهم ترويض وتدريب وتأهيل (هؤلاء البعاكيك) القادمين من الحياة المدنية

لا أظن أننى استسلمت لنوم عميق طيلة الأسبوع الأول فوق ذلك السرير السفرى بذلك العنبر الذى يجمع قرابة العشرين (بعكوك) أى طالب وذلك يرجع طبَعاً لأحداث وأفعال أيام الأسبوع المتلاحقة وبتنوع النشاطات التى كنا نقوم بها والجديدة علينا والغريبة فى نفس الوقت ولانتقالنا المفاجئ والفورى والمباشر إلى تلك الحياة التى لازمنى الكثير من تقاليدها وما غرزته فىّ وفى باقى أقرانى على ما اعتقد حتى هذه اللحظة التى أكتب فيها ذكرياتى عنها ، والتى أعتبرها قد كونت جوانب كثيرة من جوانب شخصيتى الحالية التى أعتزّ بها وأتشرف وتشرفنى فى جميع الأحوال ..

بعد الأسبوع الأول كنت قد ابتدأت فى التعوّد على روتين الحياة اليومية بين الدراسة المدنية والعسكرية مقبلاً عليهما بكل الشوق والرغبة فى ان أكون متحلياً بالصفات العسكرية المعروفة .. أعتدت بالطبع على أن أفرق بين نغمات البورى التى يؤديها (البروجى) أى (العازف) فهناك نوبة صحيان ثم نوبة لبس أول ثم نوبة لبس تانى .. ثم نوبة (أدلة) الفصول الدراسية حسب ترتيبها ثم نوبة جمع ثم نوبة بدء وانتهاء (الميس) صباحاً وظهراً ومساءاً ونوبة تمام غروب اليوم والهتاف (تحية العلم والملك والوطن) ونوبة حصص النور (الإستذكار المسائى) ونوبة الرجوع ونوبة النوم وهى الأخيرة والتى لم أتبع أوامرها كثيراً فى ذلك الأسبوع الأول الصعب حقاً ..

كان أجمل ما فى نهاية ذلك الأسبوع هو حلول موعد حضور أهالى الطلبة وذويهم لزيارة أبنائهم وللإطمئنان على أحوالهم المعيشية والنفسية حاملين معهم مالذ وطاب من المأكولات والحلويات والعصائر وبالطبع كانت تختلف تلك المأكولات حسب البلد أو القرية القادم منها كل طالب فهناك (البوفتيك والروزبيف وهناك الفطير المشلتت على حق والقشدة وعسل النحل وهناك الحمام المحشى والبط البلدى والفراخ الشامورت)

أما الطلبة الذين ينتمون إلى عائلات ثرية معروفة فكان طعامهم الوارد مع الزيارة من عند محلات جروبى أو على الدله أو عزوز العشى ..)

كان زمن الزيارة القصير هو بمثابة رد الروح لنا كطلبة تنعم خلال سويعاته القليلة بالأحاديث العابرة المليئة بالفكاهات والتى كان يتخللها فى بعضها من البعض منا شكاوى جائرة أو صادقة من بعض ما كابدناه خلال ذلك الأسبوع الأول من حياتنا الجديدة بالمدرسة الثانوية العسكرية الملكية .

(٣)

يوم بعد يوم طيلة (فترة المستجدين) التى كانت حوالى سبعة أسابيع تعودت رويداً رويداً على النظام الجديد والطريق السليم الذى اخترته لنفسى طواعية .. تعلّمت وتدربت خلال تلك الفترة على التعليم الأوّلى الخاص بالاصطفاف والجَمْع والدوران بأنواعه ، وكذلك أنواع السير من الخطوة المعتادة أو السريعة أو البطيئة والأخيرة تستخدم عادة فى الجنازات العسكرية ، كما تم تدريبنا على استخدام السلاح بدون ذخيرة (حيّة كانت أو فِشنْك) وكنا خلال هذه التدريبات نرتدى (الأفرول) بينما كان الزى الخاص بالحصص الدراسية وباقى اليوم عبارة عن قميص أبيض كامل وبنطلون رمادى من الصوف وفانلة صوف خارجية تسمى (فانلة ضرب النار) رمادية اللون أيضاً مع الطربوش الأحمر ذو الزرّ الأسود وقايش للوسط (أصلاً لونه كاكى) يتم صباغته بمعرفة الطالب نفسه باللون الأبيض باستخدام البلانكو السابق ذكره وكنا أحياناً نرتدى (الجِتْر) فوق الحذاء وأسفل الساق وذلك حسب نوع التدريب ، وكانت ملابسنا الرياضية عبارة عن قميص أبيض (نصف كم) وبنطلون أو شورت أبيض وطاقية رأس بيضاء وحذاء من الكاوتش (باتا) وجورب أبيض بينما نرتدى فى الحفلات الرياضية جاكيت ذو خطوط حمراء وبيضاء طولية وبنطلون أبيض طويل وكاسكيت بنفس تقليمة الجاكيت مع حذاء أسود وجورب أبيض ..

اعتدنا أيضاً على تلبية نداء (البروجى) الذى يعلن عن مواعيد ابتداء وانتهاء الحصص الدراسية نهاراً وحصص النور (المذاكرة الليلية) ونوبات الصحيان والجمع والرجوع والنوم وكان بعض الطلبة بيننا لم يتعودوا أو يتأقلموا مع هذا النظام العسكرى الصارم فاستقال بعضهم وهرب وترك المدرسة آخرون لكن دارت ماكينة الانتظام والإلتزام مع الغالبية الذين أصبحوا فيما بعد (أكثرهم) ضباطاً وقادة عظام بالقوات المسلحة فيما بعد .. اعتنى بنا القائمون على إدارة المدرسة عسكرياً ومدنياً عناية فائقة يعاونهم نخبة ممتازة من الضباط من الرتب المختلفة أدناها رتبة الملازم أول وأعلاها رتبة القائم مقام (محمد عثمان) قائد المدرسة ، كما كان للمدرسة مديراً مدنياً مع نخبة متميزة من مدرسى المواد المختلفة وكان ضباط الصف (المعلمون) يعاونون الضباط فى إجراء التدريبات العسكرية ، بينما كان ضباط الصف (طلبة نهائي الكلية الحربية) هم المسئولون عن القيادة والسيطرة على الطلبة فى النصف الثانى من النهار حتى فجر اليوم التالى يعودون مرة أخرى للكلية الحربية لتلّقى محاضراتهم وتدريباتهم المؤهلة لتخرجهم ضباطاً بالقوات المسلحة ..

كانت التغذية ممتازة بالوجبات الثلاثة علاوة على وجبة خفيفة بعد تمام طابور الهتاف عبارة عن (شاى ولبن ولقمة القاضى أو الحلاوة الطحينية أو غيرها) وذلك قبل وجبة العشاء وكان هناك (الكانتين) الذى يستأجره مدنيون ويقدم المثلجات وأنواع الشيكولاته والبسكوت والمأكولات الخفيفة بالبيع للطلبة أثناء الراحات بين الحصص الدراسية وغيرها.

كان هناك الجديد لأتعلمه واعتاد عليه يوماً بعد الآخر وخلال هذه المدة تعرفت واقتربت من مكتبة المدرسة واستعرت كتبًا فى التاريخ واستهوتنى كتب التاريخ العسكرى ، كما أننى استعرت كل الروايات التى كتبها البكباشى أ. ح يوسف السباعى والذى كان كبير لمعلمى المدرسة والذى أعجبت به أيّما إعجاب لوسامته وأناقته ولزيّه العسكري المميّز (بالسَنْفرة) الفضيّة على كتفيه وبالبيريه الأخضر (لون علم مصر) في ذلك الوقت وتمنيّت فى تلك الأيام الأولى أنه إذا ما وفقت فى دراستى الثانوية والتحقت بالكلية الحربية الملكية أن أخدم بسلاح الفرسان الذى كان البكباشى يوسف السباعى أحد أبنائه المرموقين فى كافة الوجوه

(٤)

تعرفت خلال فترة المستجدين على معظم الطلاب الجدد وبالذات فى الصف الرابع الثانوى وصار البعض منهم مقرباً لى متوافقاً معى فى كثير من النواحي والميّول الشخصيّة والذين أصبحوا أصدقاء لى خلال عملى ورحلتى الطويلة بالقوات المسلحة علاوة على زملائي الآخرين الذين كانت تجمعنى بهم ظروف العمل والخدمة .. من هؤلاء الأصدقاء كان الصديق العزيز (أحمد شاكر حامد شاكر) ، الصديق العزيز (حسين محمد حسنى) والصديق (على نايل) والصديق (رضا أحمد حلمى) والصديق القديم (جلال فرج حمزة) الذى انتقل معى من التوفيقية الثانوية والصديق العزيز (ابراهيم صديق) علاوة على الزملاء الأعزاء للغاية (صفى الدين أبو شناف) و (عبد الوهاب داوود) ، (جمال ذهنى) و (ابراهيم على عبدالله) ، (رفيق بدر أبو على) ، (عصمت المعايرجي) ، (نصر عبد الرحمن نصر) ، (أحمد بهير عبد العزيز) ، (سعيد عبد الفتاح القاضى) ، (حسين كفافى) ، (صبرى شمسية) ، (شاهين أسعد) و (رضوان سالم) وغيرهم الكثيرين الذين ربما لم تسعفنى الذاكرة لسرد أسماؤهم والذين كانوا فيما بعد يتولون قيادات ومناصب هامة فى أفرع القوات المسلحة وعلى رأسهم (الفريق صفى الدين أبو شناف) الذى تولى فيما بعد منصب رئيس أركان القوات المسلحة والذى كان قد رُقى استثنائياً فى حرب اليمن لشجاعته وإقدامه .. كان هؤلاء الأصدقاء والزملاء هم وغيرهم جمهورى الأول الذى استمع إلى قفشاتي وتعليقاتي المرحة بالكلام المرسل تارة ، وبالزجَل المُقفى تارات والذى كنت أتناول فيه النقد الكاركاتورى لبعض الضباط المعلمين والمدرسين المدنيين علاوة على المفارقات والأحداث اليومية بالمدرسة والتى كانت تحوز إعجابهم فى معظمها مع قليل من المجاملة كما أعتقد .. وقد حفزنى على تكرار التجارب الزجلية سابق أعمالى أقصد أقوالى بتأليفى الشعارات السياسية بالمدرسة التوفيقية تحفيزاً لطلبة المدرسة أثناء سير المظاهرات بشارع شبرا وشوارع نصف البلد وفى تلك الفترة البسيطة كنت قد قرأت بعض روايات الأديب الكبير البكباشى أ .ح يوسف السباعى مثل (نادية – إنى راحلة – الست رتيبة وغيرها) وشغفت حباً وإعجاباً بهذا البكباشى كبير معلمى المدرسة وتعلقت أكثر بهندامه وزيّه المميّز وأناقته الواضحة وحلمت أن أكون بعد أعوام قليلة فارساً مثله فى سلاح الفرسان دون أن يداعبنى حلم كتابة الشعر الغنائى واحترافه ..

لكى نجتاز فترة المستجدين بنجاح ، كان علينا أن نجيد جميع أنواع السير وحركات التدريب العسكرى الأخرى ، وكان العمل يجرى على قدم وساق من هيئة المدرسة (عسكريين ومدنيين) لتحقيق المستوى المرجو من تدريب هؤلاء الفتية الصغار ليظهروا بمظهر الرجال الأشداء فى قوة التحمل وسرعة واتقان تلبية الأوامر والتعليمات والنداءات المختلفة فى أسرع وقت ممكن حتي يسمح لهم باستنشاق الهواء المدنى خارج سور المدرسة بعد فترة المستجدين هذه .

في نهاية الأسبوع السادس أجريت لنا البروفة الأولى بأرض ملعب الكلية الحربية القديم (الكلية الفنية العسكرية) حالياً أمام هيئة من كبار القادة على رأسهم رئيس هيئة التدريب بالقوات المسلحة وكان يقود طابور العرض القائم مقام محمد عثمان قائد المدرسة وتولى الأمير ألاى محمود بك صبحي مدير الكلية الحربية الملكية اجراء النداءات المختلفة لتغيير خطوة السير والدورانات ... الخ ولكن هذه التجربة باءت بالفشل نسبياً مما اقتضى أن يمتد تدريبنا أسبوعاً آخراً بتركيز أكثر ولوقت أطول .. إجتزنا بعده الاختبارات بنجاح ملحوظ تقرر على أثره أن نخرج من المدرسة (جميع طلاب الصفوف الثلاثة) مرتدين لزىّ الفسحة المكون من جاكيت وبنطلوب لونهما أزرق (تقفل ياقة السترة بكوبشات وتحلى بشريط أحمر واحد على جانبي الياقة للسنة الثالثة الثانوية وشريطين للسنة الرابعة الثانوية وثلاث شرائط للسنة الخامسة الثانوية) و باسبلايت أحمر اللون كذلك على أكتاف السترة ذات الزراير النحاسية الملساء ، أما البنطلون فينتهي بسبيا تشبك بالحذاء الأسود الجلدى الخاص بالفسحة وكان الطربوش رقم (١) الخاص بالأجازات هو غطاء الرأس علاوة على عصا قصيرة لها غطاء نحاس من الناحيتين ..

أول أجازة:

(٥)

حان موعد الخروج من نار مدة المستجدين بكل ما فيها داخل المدرسة إلى جنة الحياة المدنية التى كنا قد افتقدناها فعلاً بكل ما فيها من حرية وانطلاق ..

كان علينا أولاً وقبل أن نمنح أول تصاريح للفسحة (الخميس والجمعة) أن تقوم إدارة المدرسة بناءاً على تعليمات القيادة الأعلى أن نقوم بطابور سير مرتدين (لبس الفسحة) أى (اليونيفورم) السابق وصف مفرداته ، نخترق خلال طابور السير هذا شوارع القاهرة بدءاً من باب المدرسة بشارع الخليفة المأمون بمنطقة منشية البكرى إلى ميدان العباسية إلى شارع الملكة نازلى (رمسيس) حالياً إلى محطة مصر (رمسيس) حالياً برضه فشارع إبراهيم باشا (الجمهورية) حالياً حتى ميدان سراى عابدين لتحية الملك فاروق الأول ملك مصر في ذلك الوقت والهتاف له وللمملكة المصرية وتحية العلم الذى كان أخضر اللون يتوسطه هلال أبيض وثلاث نجوم بنفس اللون .. كانت فرحتنا لا توصف باستنشاق عبير جو القاهرة المدنى وبتحية الجماهير التي تجمعت واصطفت على جانبى الشوارع التى مررنا بها والتى كانت تحيينا والتى زينت هذه التحيات بعض الزغاريد من بعض السيدات (بنات البلد) كما كانت الموسيقات العسكرية بفرقتها التى يقودها (الطبّاخ أفندى) وكان برتبة الصول (المساعد) الآن والذى كان يجيد السيطرة على فرقته بشكل متميز .. كانت تلك الفرقة الموسيقية تتقدم طابور السير الذى أديناه بالخطوة المعتادة النشطة كما كان يطلق عليها وبتحريك الذراعين حتى مستوى الكتف أثناء السير مع كل خطوة للأمام .. كان طابوراً مرهقاً ممتعاً فى نفس الوقت أحسسنا خلاله بالزهو والاعتزاز بالنفس مع تحولنا الفجائى من حياة ناعمة رغدة إلى حياة خشنة تنمى فينا مبادئ الرجولة المبكرة التى نمت معنا فيما بعد خلال المواقف والحروب المختلفة التي خضناها بعد تخرجنا من الكلية الحربية الملكية كضباط بأسلحة الجيش المختلفة ولكن ذلك موضوع آخر سوف أخوض فيه فى حينه ..

بعد الانتهاء من أداء طابور السير ذلك وقبل الانصراف من ميدان عابدين كان كل منا قد استلم من قائد السريّة المدرسية تصريحاً بالفسحة عن يومي الخميس والجمعة والعودة مرة أخرى للمدرسة قبل سعت ٢٠٠٠ أى الساعة الثامنة مساءاً .. أديّنا التحية العسكرية وأخذنا الإذن بالإنصراف فانصرف كل منّا إلى حال سبيله فقام الطلبة من خارج القاهرة للسفر إلى ذويهم بالمديريات (المحافظات) الآن المختلفة بينما طلبة القاهرة كل توجه إلى حيّه وذويه بوسائله الخاصة (الترام والأتوبيس) اللذان كانا أمتع وأسرع وأرخص وسائل النقل بسبب انعدام الزحام والتدافع (طبعاً لقلة عدد السكان) في ذلك الحين .. كما كان أهالى بعض الطلبة ينتظرونهم فى سيارات خاصة أو مترجلين

كان ذلك أسعد انصراف فى حياتنا من أعظم مكان فى ذلك الوقت (برضه) .. قابلنى أبى بالعناق وبالترحاب فى الميدان واصطحبنى فى سيارة أجرة (تاكسى) إلى منزلنا الكائن بحى شبرا .. وأخذ يسألنى بالطبع عن أحوالى وعن أمور الدراسة والمعيشة وفور نزولى من السيارة صعدت مسرعاً إلى شقتنا لأقبّل أختى صاحبة الشهور الأربعة والتى كنت متشوقاً لحملها وتقبيلها واستقبال أحد قبولاتها (السكر) .. كانت أختى (منى) التى تصغرنى بحوالى خمسة عشر عاماً لعبْتى وصحبتى شبه الدائمة قبل التحاقى بالمدرسة وعند عودتى للمنزل أيام الخميس والجمعة فيما بعد .. عانقت أيضاً زوجة أبى التى لم أشعر معها فى يوم من الأيام بأنها زوجة الأب التقليدية في أفلامنا أو كما يصفونها المصريون عادة .. كانت تعاملنى بكل الحب والرعاية ولم يكن بينى وبينها غير الود الجميل حتى رحيلها منذ سنوات قليلة رحمها الله وأثابها عن كل شعور صادق نحوى

(٦)

احتفاءاً بقدومى وعودتى لمنزلنا العامر بعد ما يقرب من خمسين يوماً قضيتها خلف أسوار ذلك المبنى العسكرى ذو اللون الأبيض الناصع والشبابيك المطلية باللون الأخضر الغامق .. اقامت لى زوجة أبى الفاضلة حفلاً غذائياً شهياً من المأكولات المحببّة إلى وغالباً من اللحوم بأنواعها والدجاج المحمّر والذى تخللّه أى هذا الاحتفاء البسيط حوارات حول أحوالى داخل المدرسة والتى كانت من بينها بالطبع تعليقات ضاحكة عن بعض المواقف التى كانت تحدث خلال الأيام الخمسين الماضية .. كان همّى الأكبر والأكثر إلحاحاً على بعد غدائنا ذلك ، أن أكون جاهزاً للإحتفاء الذاتى بقضاء ساعات التصريح إياه واستغلالها الإستغلال الأمثل من وجهة نظرى فى الاستمتاع الحقيقى دون إخلال بتعليمات الانضباط التى تليت علينا مثل إنصرافنا من ميدان عابدين والتشديد على الالتزام بكل ما جاء بها من سلوكيات خارج سور المدرسة ، كانت أولى الإجراءات إرسال (اليونيفورم) العسكرى للكواء والطربوش لكيّه لدى الطرابيشى وحذاء الفسحة ليتم تلميعه لدى المحل الكائن على ناصية شارعنا ، كل هذا كلفت به شغالتنا الصغيرة (بطة) التى لم يكن يتجاوز عمرها الثالثة عشر ولم يكن ذويها يحصلون على أكثر من جنيه واحد بالكثير أجراً شهرياً لها .. بعد استلام (اليونيفورم) بعد كيّه قمت بتلميع زرايره النحاسية الملساء بالبراسو تلميعاً جيداً كما تعلمت بالمدرسة وكذلك قطبى العصا المكملة للهندام .. ثم قمت بارتداء (اليونيفورم) هذا واضعاً فوق شعر رأسى الحليق (نمرة ٣) الطربوش المشار إليه منتعلاً ذلك الحذاء الأسود أولاً فى قدماى ثم نفحنى أبى (٢ جنيه) لزوم مصاريف (الشبرقة) .. ونزلت لملاقاة بعضاً من جيرانى والذين كان من بينهم زملاء بالمدرسة التوفيقية مدرستى السابقة العتيدة حاملاً معى مزيجاً من اعتداد بالنفس والكبرياء غير المنتقد والإحساس (بالأنا)

وأنا الوحيد المميز بلباسى العسكرى بين تلك الصحبة من الطلبة جيراناً أعزاء وأصدقاء أوفياء .. بعد تبادل التحية والسلام والاستفسار والاستعلام عن أحوالى وعما حدث لى من تغيير فى سلوكى إلى آخر تلك الأشياء التى تجرى فى مثل تلك المواقف .. أستأذنت لأقابل زميلاً لى بالمدرسة ضرب لى موعداً أمام سينما كايرو بالاس فى السادسة إلا ربع مساءاً والذى أصبح فيما بعد صديق عمر وزميل سلاح حتى وفاته منذ عدة سنوات أنه كان اللواء (حسين حسنى) نجل العميد (محمد بك حسنى) والذى عين مديراً للكلية الحربية الملكية عندما التحقت بها فى أكتوبر ١٩٥١ قابلنى حسين رحمه الله ودخلنا سوياً سينما كايرو لنشاهد فيلماً أمريكياً بالطبع نسيت اسمه وموضوعه لأننى كنت مهتماً بأن يرانى الناس العاديين طوال الوقت داخل وخارج السينما بذلك الزى الجميل المميز

صبيحة اليوم التالى دعانا والدى لقضاء يوماً أو على الأصح نهار يوم بحديقة الأندلس الكائنة بجوار كوبرى قصر النيل وتناول طعام الغذاء هناك فذهبنا جميعاً أبى وزوجته وشقيقتى المولودة الجديدة (منى) وأنا فى الموعد المحدد مستقلين لسيارة أجرة ماركة رينو ذات أربعة أبواب كانت منتشرة بشوارع القاهرة وكان يقبل على ركوبها الزبائن لأنها كانت متسعة نسبياً عن سيارات الأجرة الأخرى .. تحت سماء صافية صفاء نفوس المصريين فى ذلك الوقت وشمس دافئة دفأ قلوبهم أيضاً أمضينا وقتاً سعيداً جميلاً يتخلله بكاءاً موسيقياً جميلاً متقطعاً من شقيقتى الحبيبة (منى) ذات الشهور الأربعة ..

عند الغروب عدنا للمنزل تتجاذبنى مشاعر متضاربة بسبب الألم البسيط لفراقى للأسرة الصغيرة بعد عدة ساعات وبين الاشتياق إلى العودة مرة أخرى إلى بيتى وأهلى الجدد أى إلى المدرسة ومدرسيّها وأصدقائى وزملائى فيها ..

سنتين وأنا مشتاقة ليك:

(٧)

قبل تمام الثامنة مساءاً كنت أقف فى طابور التتميم على الطلبة بعد العودة من أول اجازة أجازة (خميس وجمعة) وكنا جميعنا قد أحضرنا بشنطة اليد التى نحملها معنا كل ما كنا نفتقد وجوده بكانتين المدرسة من أنواع البسكوت والشيكولاته وكذلك السندوتشات المحشوة غالباً باللحوم الباردة علاوة على تسريب وإخفاء بعض الممنوعات كالسجائر التى كان محظوراً علينا تدخينها تماماً داخل المدرسة .. انتهى التتميم علينا وتفتيش الحقائب الصغيرة (الهاندباج) وانصرف كل منا إلى موقع سريره ودولابه إستعداداً للنوم (كده وكده) عند سماع نوبة نوم .. نام بعضنا بالطبع وخاصة الطلبة من خارج القاهرة بينما سهر البعض الآخر يحكون لبعضهم البعض عما فعلوه خلال يومى الأجازة بصوت غالباً منخفض حتى لا نزعج من ناموا منا أو خشية حضور الضابط النوبتجى فجأة فتكون ليلتنا سوداء من التأنيب والتوبيخ وقد يتصاعد الجزاء ليكون حبساً (الخميس والجمعة) القادمين .

فى صباح اليوم التالى (عادت ريما لعادتها القديمة) أى عدنا إلى الانتظام فى جدول وبرنامج نشاطنا اليومى خلال الأسبوع حتى موعد الفسحة في الأسبوع التالى وهكذا .. وبالطبع لم تكن الأيام بنا خالية من بعض المواقف التى تثير غضبنا أحياناً وارتياحنا أحياناً أخرى وضحكنا وتسليتنا أحياناً ثالثة كنا قد اعتدنا تماماً على كل ما أرادت إدارة المدرسة أن تعززه فينا من تقاليد عسكرية صاحبتنا حتى نهاية مشوارنا فى الخدمة بالقوات المسلحة لاحقاً وكنت قد أعتدت أيضاً على تنفيذ بعض الجزاءات الوقتية مثل (الطابور الزيادة وشد السِفرى) وهى جزاءات يعرفها جيداً طلبة الكليات العسكرية

كنت طالباً أميل للمرح وللتهريج كثيراً فكان ذلك يسبب لي بعض المنغصات الجزائية التى انفذها وأنساها سريعاً ولكننى كنت فى ذات الوقت محبوباً لدرجة كبيرة من زملائى لحضور نكتتى وسرعة بديهتى وتعليقاتى الساخرة على ما يجرى من أحداث خلال اليوم الدراسى أو التدريب العسكرى وكنت أجمع زملائى من حولى ليلاً بالعنبر لألقى عليهم بعض الأزجال أو القفشات التى كانت تثير إعجابهم وتزيدهم تقرباً منى للإستمتاع بما تجود به علىّ قريحتى المتفتحة والمتقدة فى نفس الوقت ..

أصبح من أصدقائى المقربين لى خلال السنة الأولى لي بالمدرسة (الرابعة الثانوية) الطلبة (رضا حلمى) الذى التحق بالكلية البحرية فيما بعد وكان من أبطال الصاعقة البحرية الذين دمروا وأغرقوا المدمرة إيلات بعد نكسة عام ١٩٦٧ وقبل أن يستعيد الجيش المصرى سيناء وتستعيد الأمة العربية كرامتها فى حرب ١٩٧٣ ، كان أيضاً من أصدقائى المقربين ومن نفس فصل رابعة أول الطالب (أحمد بهير عبد العزيز) الذى أصبح فيما بعد اللواء البحرى وقائد الغواصات الحربية

كان معظم أصدقائى وزملائى المقربين والمحببين إلى قلبى فى فصل رابعة أول بالطبع باعتبارنا نحتل نفس الأماكن بنفس الفصل وكان عنبر مبيتنا أيضاً واحد فكنا نكوّن أسرة واحدة تقريباً طيلة ذلك العام الدراسى ١٩٤٩ – ١٩٥٠

كان البكباشى أ . ح (يوسف السباعى) بحكم منصبه بالمدرسة وبحكم كونه أديباً لامعاً فى ذلك الوقت عاملاً هاماً فى تكوين بداياتى الشعرية حيث أننى قرأت جميع رواياته التى كان قد نشرها وأهدى نسخاً منها لمكتبة المدرسة فلم أتوانى من استعارتها والنهل منها فكراً وإعجاباً بأسلوبه السهل فى العرض والسرد وتمنيت فى هذه السن المبكرة أن أتمكن من نهج نفس منهاجه دون أن أدرى بأى استعداد أو ميل نحو الرواية أم القصة القصيرة أم الشعر العامودى أم الشعر الغنائى .. لم يكن ذلك ليشغلنى كثيراً لأنى لم أكن قد وصلت بعد إلى امتلاك أدوات الإبداع اللازمة فى ذلك العام

بعضنا وأنا منهم نقوم ببعض اللهو والشقاوة التى نعاقب بسببها .. فمثلاً أتذكر أن الطالب (حسين كفافى) وكان يجيد الرسم قام بقص طربوش أحد الطلبة وحوله إلى شرائط مختلفة وضعناها على أكتافنا زيفاً باعتبارنا أصحاب درجات باشجاويش وشاويش و أومباشى ووكيل أومباشى وتجولنا فى المدرسة وعاقبنا بعض الطلبة خاصة من الصف الثالث الثانوى عقوبات مما كنا نحن أصلاً من يتلقاها من طلبة الكلية الحربية (الصف ضباط) .. وطبعاً تم ضبطنا وعوقبنا بحبس خميس والمساهمة فى شراء طربوش للطالب الذى استخدمنا طربوشه للهو..

أتذكر أيضاً أن طالباً او أكثر يقفزون من سور المدرسة ليلاً ويشكلون سرائرهم بما يفهم منه أنهم نيام عليها باستخدام المخدة طولياً وتغطيتها تماماً بالبطانية .. كما كان البعض القليل منا يقدم عيادة دون أن يكون مريضاً وبعد الكشف عليه والتأكد من سلامته يتم التأشير على أورنيك العيادة خاصته بعبارة (دواه شُغْلُه) وعادة كان يُعاقب من قائد سريّته بعد عودته .. وهكذا مرت السنة الأولى لنا بالمدرسة

(٨)

نجح معظم طلبة الصف الرابع الثانوى وانتقلنا إلى الصف الخامس الثانوى وكنت قد اخترت أن ألتحق بالقسم الأدبى (رياضة) بينما التحق بعض الطلبة الآخرين بالقسم الأدبى (فلسفة) بينما اختار باقى الناجحين الإلتحاق بالقسم العلمى شعبة الرياضة ويحضرنى هنا ان أذكر أن لجنة الإمتحان أقيمت بنفس المدرسة وبداخلها وهو مالم يكن متبعاً بالنسبة للمدارس الثانوية الخارجية وكان أعضاء لجان المراقبة من المدارس الأخرى بالطبع ولكنهم يسروّا لنا للحقيقة وللتاريخ بعض عمليات الغش البسيطة بما لا يمكن قياسه بالطبع بما يحدث حالياً بأى حال من الأحوال وأتذكر أننى كنت لا أميل لمادة الكيمياء والطبيعة واضطررت إلى قطع ورقة مصقولة ملونة مطبوع عليها دورة الجهاز الهضمى بالتفصيل الوافى وذلك لمحاولة استخدامها فى امتحان الطبيعة إذا ما احتجت إليها (عمل شائن لم أكرره بعد ذلك أبداً) ووضعت الورقة مطوية فى جيب البنطلون الرمادى وشرعت فى الإجابة على أسئلة الامتحان وفوجئت بالمدرس المراقب يسلمّنى الورقة التى وقعت منى سهواً أثناء انهماكى بالإجابة قائلاً لى (الورقة دى وقعت منك) وكنت أظنه سوف يتخذ الإجراءات الواجبة فى مثل هذه الحالات لكنه كان كريماً معي للغاية ولم يفعل فتأكدت وأيقنت أن هناك تنبيه غامض على المراقبين بعدم احكام المراقبة والتجاوز عن حالات الغش البسيطة .. عدنا بعد أجازة الصيف عام ١٩٥٠ والتى أمضيتها مع والدى وزوجة أبى وشقيقتي الأصغر مني بمنطقة ميامى بسيدى بشر فى مدينة الأسكندرية وكان والدى قد أجر لنا شقة بهذا الشاطئ المميز والمتميز بسكانه ومرتاديه من الطبقة الوسطى العليا فما أعلى وكان لا يسمح بدخول شاطئ ميامي إلا لأصحاب الكبائن أو ضيوفهم بصحبتهم ، أما من يريد الدخول للشاطئ فكان عليه سداد ثلاثة قروش قيمة تذكرة الدخول أما إذا كان يحمل معه شمسية وكراسى بحر فيسدد مبلغاً آخر فى حدود القيمة السابقة ، ولما كنت أعتبر نفسى سباحاً ماهراً بحكم سابق تجاربى بشواطئ البحر الأبيض (أعنى الأسكندرية) مثل ستانلى ، سبورتنج ولتلك التجارب قصص أخرى أحكيها إذا ما كان هناك وقتاً أو مناسبة .. فقد كنت حريصاً على ان أذهب فى الصباح المبكر كل يوم حاملاً شمسية وعدد ٢ كرسى شاطئ وأدلف من باب شاطئ ميامى قبل الساعة التاسعة من صباح كل يوم قبل وصول المحصل واحتلاله لموقعه لأننى فى ذلك الوقت لم أكن لأتحمل دفع ٣ قروش من مصروفي المتواضع لدخول الشاطئ المحبب إلى نفسى والذى كانت لى معه ذكريات جميلة أخرى أليمة فيما بعد .. خلال أجازة الصيف التقيت ببعض أصدقاء وزملاء المدرسة كما تعرفت على أصدقاء جدد استمتعنا بالسباحة نهاراً والتريض على كورنيش ميامى كل مساء بعد تناولنا إمّا لساندوتشات الفلافل (الطعمية) اللذيذة جداً أو احتساء زجاجة لبن حليب مثلج ماركة (أسترا) أو مع كيزان الذرة المشوية أو أكياس الفول السودانى الساخنة .. كان روتيناً جميلاً لم نملّه أبداً .. مضت أجازة الصيف سريعاً مع طول أيامها ولياليها نسبياً وشرعنا فى إعداد ما يلزم مرة أخرى لتمضية وقضاء العام الأخير والحاسم بالمدرسة الثانوية العسكرية الملكية ..

فى أكتوبر من عام ١٩٥٠ حان موعد عودتنا للمدرسة فخلعنا سلوكنا ولباسنا المدنى وارتدينا لباسنا العسكرى بعد أن حلق معظمنا شعر رأسه حسب التعليمات والأوامر وفى الساعة الثامنة من مساء ذلك اليوم كنا جميعنا واقفين فى طابور التمام كل حسب فصله الدراسي (أدبي – علمى – رياضة) وذلك بعد أن غادر طلاب السنة التوجيهية المدرسة ملتحقين معظمهم بالكليات العسكرية والبقية الباقية منهم بالكليات المدنية.

تفحصت الوجوه المصاحبة لى بالقسم الأدبى (رياضة) وكان بينها أصدقاء وزملاء سابقين بفصل (٤ أول) العام الماضى علاوة على زملاء جدد أتذكر معظمهم بالإسم طبعاً حيث أننا أكملنا مسيرتنا فيما بعد إلى الكلية الحربية ثم أصبحنا ضباطاً بعضنا التحق بنفس السلاح والبعض توزع على أسلحة الجيش الأخرى ..

منذ اليوم الأول لى بالسنة الخامسة الثانوية (التوجيهية) أحسست بالزهو وبمشاعر الرجولة المبكرة مع سعادة كبيرة لأننى التحقت بالقسم الأدبى وبالذات أدبى رياضة لأنه يتمشى مع رغبتى وقدراتى واستعدادى الذهنى للإستيعاب والمتعة فيما أقوم بدراسته .. علاوة على أنه كون البداية الحقيقية لى فى تأليف بعض الأزجال الموزونة حسب أصول الشعر العربى العامودى الملتزم بالوزن والقافية .. كما أزددت إعجاباً بالبكباشى أ ح يوسف السباعى الذى كنت أراقبه فيما بعد يشذب أشجار الورد والزهور المختلفة والحرص على التأكد من تمام رى حدائق المدرسة بجانب اهتماماته الأخرى العسكرية والمدنية (الأدبية) طبعاً وقد اجتذبتنى اهتماماته تلك لأنحو نحوها واقتدى بها منذ ذلك الوقت ..

(٩)

كانت السنة الثانية والأخيرة لى بالمدرسة الثانوية العسكرية سنة عامرة ومتنوعة بأحداثها وأعنى بتلك السنة العام الدراسى ١٩٥٠ – ١٩٥١ .. ولمّا كنت من ضمن طلبة التوجيهية (القسم الأدبى – رياضة) فقد كنا فى مجموعنا متقاربين فى المشارب والسلوكيات وحتى فى العقلية فلقد ظهرت بوادر موهبتى المتفتحة كما سبق أن ذكرت ، كما كان من ضمن طلبة ذلك القسم الطالب (عبد الوهاب داود) الذى أصبح فيما بعد روائياً وقصصياً بارعاً له مؤلفاته المعروفة وجمهوره المعتبر وكان عبد الوهاب داود رحمه الله هو الشقيق الأصغر للصحفى اللامع (عبد السلام داود) والذى انتقل من جريدة الجمهورية إلى جريدة الأخبار رحم الله الاثنين ، كما كان معنا الطالب (شريف كامل) عازف البيانو الماهر والموسيقى المتميز وخاصة بالألحان الراقصة الغربية التى كانت شائعة فى ذلك الوقت ، كما كان أيضاً بيننا الملاكم المتميز والسباح صاحب الأرقام والبطولات وزميلى السابق بالتوفيقية الثانوية المرحوم (جلال فرج) والذى كان فيما بعد يعمل بالحرس الخاص بالرئيس الراحل (جمال عبد الناصر) حتى وفاة الأخير والطالب والصديق حتى الآن اللواء (ابراهيم صديق) بطل المدرسة والمنطقة فى كرة السلة وكان أيضاً بالقسم الأدبى الطالب (ابراهيم على عبدالله) البطل المتميز فى لعبة التنس وإبن أخت الرئيس الأسبق والأول لجمهورية مصر العربية اللواء (محمد نجيب) رحمهما الله جميعاً .. وكان معى بنفس القسم أيضاً الطالب والصديق (صفى الدين أبو شناف) والذى أصبح فيما بعد برتبة الفريق وتولى رئاسة أركان حرب القوات المسلحة لعدة سنوات والذى تم ترقيته استثنائياً لأعماله البطولية فى حرب اليمن فى أواسط ستينيات القرن الماضى وكان و مازال أطال الله فى عمره دمث الخلق يمتاز بالرجولة المبكرة والشهامة التى عرف بها أهل الصعيد ، وكان بين الطلبة من كانوا يتميزون بخفة الظل وشقاوة سنين المراهقة مثل المرحومين العميد (رضوان سالم) والعقيد (شاهين أسعد) أحد أبطال الفروسية بسلاح الفرسان (المدرعات) فيما بعد وكان بيننا أيضاً من الطلبة المشهورين رياضياً ولم ينضما إلى أى من الكليات العسكرية فيما بعد (فؤاد المسيرى) بطل الملاكمة و(جمال ذهنى) ظهير فريق كرة القدم العتيد رحمهما الله وغيرهم من الطلبة المتميزين خلقاً وسلوكاً وقبل هؤلاء جميعاً الطالب (حسين حسنى) الذى أصبح فيما بعد اللواء حسين حسنى والذى ظل حتى رحيله رحمه الله صديقاً عزيزاً طول الوقت

كانت المواد التى ندرسها فى ذلك القسم محببّة إلى نفسى جداً فمن دراسة اللغتين الإنجليزية والفرنسية التى كنت متميزاً فيهما لاستعدادى الشخصى من جهة ولأن جميع أولاد أعمامى وعماتى كانوا بمدارس أجنبية بين (كلية فيكتوريا) التى بها نبيل ابن عمى مجدى ، إلى مدارس (الچزويت) التى كان قد تخرج منها أولاد عمى فؤاد الثلاثة ، علاوة على مدرسة (الإنجلش ميشن كولدچ) التى كان يدرس بها بنات عمتى الأربعة واللاتى أمضيت معهن بعد وفاة والدتى عامين بمنزل عمتى وزوجها فتحسنت لدى اللغة الإنجليزية قراءة وكتابة ، كما كان لتخرج والدى أصلاً من مدارس (الچزويت) وأمى من مدرسة خاصة (لغة فرنسية) حبّى واهتمامى وتفوقى أيضاً فى استيعاب هذه اللغة ذات الجرْس الموسيقى الخلاب ..

كما كنت أحب مادة التاريخ جداً وكذلك الجغرافيا واستهوتنى الجغرافيا البشرية بشكل واضح كما كنا ندرس علم الجبر واللوغاريتمات واللتان كانتا محببتان أيضاً إلى وأحصل دائماً فيهما على الدرجات النهائية ، كما كنت أيضاً متفوقاً فى دراسة اللغة العربية التى اجتذبتنى طبعاً للأدب وللشعر اللذان أصبحا هواية حياتى طيلة الوقت بعد ذلك وحرمت والحمدلله من دراسة مادتى الكيمياء والطبيعة واللتان كنت أكرهما كراهية التحريم والعياذ بالله ..

(١٠)

تخلل ذلك العام الدراسى بعض المواقف الكوميدية والأخرى الدراسية وأعمال الشقاوة المراهقاتية والتى منها على سبيل المثال أن عنبر أدبى ثالث وهو العنبر الذى كنت من ضمن أفراده وكنا قد اتفقنا جميعاً على قضاء ليلة رأس السنة (٥٠ /٥١) خارج أسوار المدرسة وكان العنبر يضم حوالى عشرين طالباً .. فبعد نوبة نوم تلك الليلة تسللنا واحداً تلو الآخر من العنبر حتى مكان معين داخل سور المدرسة ، كنا قد وضعنا عليه علامة نهاراً ثم قمنا بالقفز منه خارج السور وأصبحنا جميعاً بشارع الخليفة المأمون وكنا قد ارتدينا القمصان البيضاء والبنطلونات الرمادية وفانلة ضرب النار (هكذا تسمى) الرصاصى والحذاء الأسود والجورب الأسود وبدون الطربوش طبعاً وتشاورنا سريعاً سوياً على التوجه إلى منطقة (روكسى) القريبة من موقع المدرسة وهناك قمنا بشراء زجاجتان من البراندى ذو الثمن الذى فى متناولنا كطلبة وأخذنا نحتسى من الزجاجتان (على ما قُسِم) من قطرات ذلك البراندى لاسع الطعم سريع المفعول وأخذنا فى عمل طابور سير (غير منتظم) بالطبع نحو منطقة (الكوربة) حتى وصلنا إلى مكان بعد محطة سينما (نورماندى) بمحطة حيث أسترعى انتباهنا أصوات موسيقى صاخبة تنبعث من سرادق مقام فوق سطح أحد المنازل بتلك المنطقة فأخذنا نرقص على أنغام تلك الموسيقى بعد أن لعبت الخمر برؤوس البعض منا فأتى بأفعال صبيانية (يعاقب عليها القانون) مع بعض الفتيات المتواجدات واللاتى صرخن بعضهن فاضطررنا إلى الانسحاب سريعاً إلى منطقة تجمع أخرى أمضينا فيها بعض الوقت حتى فرغ ما بأمعاء الزجاجتين وقفلنا عائدين إلى المدرسة مرة أخرى قافزين من الخارج إلى الداخل بطريقة اعتلاء ظهر أحد الطلاب الذى قفز آخرنا لا ندرى كيف داخل السور ثم تسللنا بعيداً عن أفراد الخدمات من (الجنود) إلى داخل العنبر لنتفاجئ بأن نوره مضاء بالكامل وبالطالب (إبراهيم على عبد الله) جالساً على كرسى حمام وأمامه طشت ممتلئ بملابسه الرياضية القذرة جميعها والتى يقوم بغسيلها والذى كان قد قام بنشر ما تم عمله منها على حبل مده بطول العنبر بين دولابين للطلبة وأثار هذا المشهد ضحكنا جميعاً وزادت نشوة سُكْرنا مهللين معقبين بفكاهات مختلفة

وكان معروفاً عن ابراهيم رحمه الله أنه لم يكن يهتم بترتيب دولابه وتنظيمه حسب الأوامر والتعليمات وحيث أنه كان من الطلاب الرياضيين فقد كان يتواجد فى معظم أيام المراجعة والتفتيش بالملاعب داخل وخارج أسوار المدرسة مما لا يجد مع ذلك وقتاً أو حتى النيّة والرغبة والاستعداد الذاتى لإجراء اللازم ..

كنت أنا أيضاً طالباً (شقياً) انحزت بسرعة لعمل المخالفات الصبيانية دون الاحتراس الواجب أو عمل حساب عاقبة ما أفعل أوأقوم به .. فاجأنى إبراهيم على عبدالله (برضه) بقوله يا واد يا صلاح فيه فيلم حلو قوى في سينما (متروبول) الشتوى بمنطقة نصف البلد يعرض فيلماً إيطالياً بطولة ممثلة إثارة إسمها (سيلڤانا مانجانو) ووممثل رائع اسمه (ڤيتوريو جاسمان) والفيلم إسمه (إيزو أمارو) وترجمته بالعربية (مرارة الأوز) وكان هذا الفيلم من الأفلام الناجحة ذائعة الصيت فى ذلك الوقت .. فبكرة نزوّغ الصبح بعد حصة العربى ونحضر حفلة ١٠ الصبح ونرجع قبل نهاية اليوم الدراسى واتفقنا مع (ألفا الفصل) يقوم بإعطاء أى تمام عنا لحين رجوعنا .. وافقت إبراهيم ونفذنا الخطة كما رسمناها و عدنا (وكأن شيئاً لم يكن) كما ذكر (نزار قبانى) فى قصيدته (أيظن) لنجاة الصغيرة .. وهكذا تصرف بعضنا في بعض الأوقات ومنا من تم ضبطه وتم مجازاته على فعلته ومنا من وصلت شقاوته لحد فصله من المدرسة نهائياً أو مؤقتاً حسب الحالة ومنا من أقام واستقام دائماً ولم أكن أنا من هذه الفئة الأخيرة ..

كنت أقوم بكتابة بعض الأزجال (للتريقة) على بعض المدرسين المدنيين وبعض ضباط المدرسة وأطلقت عليهم أسماء وتشبيهات صارت ملازمة لهم .. لكن لم أكن لأجرؤ أبداً بالتطاول تريقة على من أثاروا إعجابى وعلى رأسهم بالطبع البكباشى أ ح (يوسف السباعى) أو (مسيو صفى) مدرس اللغة الفرنسية والقادم لنا من مدارس الليسيه

مضى العام الدراسى وتقدمنا لامتحان الشهادة التوجيهية (الثانوية) الآن وكان ترتيبى العام ٢١٢ على جميع طلبة القسم الأدبى عن ذلك العام وحولت أوراقى إلى الكلية الحربية ولكن تلك قصة وفترة أخرى بدأت من أكتوبر ١٩٥١ ..

بين الأمس واليوم كنا فأصبحنا :

(١١)

بقبولى طالباً بالكلية الحربية الملكية فى أكتوبر عام ١٩٥١ وحملى لرقم ٧١٦٢ أصبحت فعلاً منخرطاً بالحياة العسكرية التى تمنيت أن أكون أحد أفرادها ووفقنى الله سبحانه وتعالى فى تحقيق تلك الرغبة فكنت سعيداً أيّما سعادة .. وزادت سعادتى أكثر وأكثر بوجود أصدقاء وزملاء لى من خريجى المدرسة الثانوية العسكرية الملكية وبانتقال بعض الضباط المدرسين أيضاً إلى الكلية الحربية ممن كانوا قادة ومدرسين بالمدرسة وعلى رأسهم البكباشى أ . ح (يوسف السباعى) مثلى الأعلى وحلمى الوليد فى أن أتبع خطاه وأسير على نهجه إذا أتيحت لى الفرصة لذلك ..

مرت فترة المستجدين بسلام ويسر علىّ وعلى القادمين من المدرسة الثانوية العسكرية لأننا سبق أن أمضينا مثلها بالمدرسة بينما عانى منها كثير من الطلبة الملتحقين بالكلية الحربية من المدارس الثانوية الأخرى بل وصل الحد بالبعض أن ترك الكلية الحربية بعد انتهاء فترة المستجدين لعدم القدرة على التكيف مع الحياة العسكرية الخشنة ومع التعود على الخضوع والامتثال للأوامر العسكرية أو لأسباب نفسية وشخصية أخرى .. دخلت الكلية الحربية مع طلبة الثانوية العامة الناجحين من الدور الأول بالطبع بينما دخل بعدنا بحوالى أربعة أسابيع الطلبة الناجحين (دور ثان) والذى كان من بينهم أرجل الرجال وأصدق الأصدقاء المرحوم (أحمد رأفت مصطفى ماهر) والذى كان يجاورنى بالسكن بحى الدقى بعد أن انتقلنا إلى السكن به من حى شبرا العتيد .. ولم تكن تربطنى فى ذلك الوقت بأحمد رأفت أى علاقة قريبة فلما دخل الكلية وانضم إلى السرية الرابعة التى كنت أحد أفرادها بالقسم الإعدادى فصل إعدادى ٨ ولما شاهدنى أعتقد أننى طالباً بالقسم المتوسط أو القسم النهائى وتعاملت معه أنا على هذا الأساس لأننى أردت أن نتقارب بقيامى ببعض المشاكسات الميرى بأن عاقبته عدة مرات بجزاءات مثل (شد السفرى – طابور زيادة .. إلخ) وانطلت عليه حيلتى فى تقمص دور الطالب (القديم) على حد التعبير الشائع بين الطلبة ولكن آن للحق أن يظهر وتنكشف خدعتى فلقد عوقبت من صف ضابط حكمدار الجماعة بأداء طابور زيادة ليلى مع باقى الطلبة المعاقبين لأسباب مختلفة ومن صف ضباط طلبة آخرين وفوجئنا نحن الاثنان فى طابور المذنبين ليلاً بتواجدنا سوياً نؤدى نفس العقاب .. وبعد اداء ذلك الطابور الزيادة تضاحكنا وصارت بيننا علاقة صداقة حقيقية استمرت طيلة مدة الدراسة بالكلية الحربية وطيلة خدمتنا سوياً بسلاح الفرسان (المدرعات) وحتى احيل للتقاعد برتبة الرائد بسبب موقف رجولى واعتراضه على المتسببين فى هزيمة يونيو ١٩٦٧ وكان وقتها قائداً لكتيبة دبابات باللواء الرابع عشر مدرع والذى كان قائده العقيد فى ذلك الوقت (عبد المنعم واصل) أحد أبطال القوات المسلحة ورجالها الحقيقيين وحتى رحيل أحمد رأفت رحمه الله منذ سنوات ..

جمعنى فصل إعدادى ٨ بالكلية الحربية بزملاء أعزاء ورجال بواسل متميزين منهم الطالب (سلامة عثمان) الذى كان صاحب خطف إسرائيلى وإحضاره داخل تابوت ولكنه مع الأسف أفاق قبل الوصول لمطار القاهرة ومنهم الطالب (شريف سامى) الذى كان يعيد التيرم الاعدادى ويتميز بقدرته على القيادة والسيطرة والذى خدم بعد تخرجه من الكلية بالسودان لفترة ثم بالمنطقة العسكرية الشمالية ثم بالحرس الجمهورى ثم بالحرس الخاص للزعيم جمال عبد الناصر حتى وفاته ..

وكان هناك معي بإعدادى ٨ الطالب (جلال فرج) القادم معى من المدرسة الثانوية العسكرية وقبلها من التوفيقية الثانوية وكان كما ذكرت سابقا بطلاً فى الملاكمة والسباحة وعمل بعد تخرجه بالكتيبة ١٢ مشاة ثم بالحرس الجمهورى وأصبح أيضاً من ضمن الحرس الخاص للزعيم جمال عبد الناصر حتى وفاته .. وكان معى صديقى وزميل الثانوية العسكرية الطالب (حسين حسنى) والذى ظل يخدم بالقوات المسلحة وترقى إلى رتبة اللواء وخدم عدة سنوات بعدها والذى انتقل إلى رحمة الله منذ سنوات قليلة .. وكان معي أيضاً الطالب (ابراهيم صديق البورسعيدى) القادم أيضاً من المدرسة الثانوية العسكرية وبطل الباسكيت بول والذي خدم بالقوات المسلحة حتى احيل للتقاعد برتبة اللواء ومازلنا على درجة عالية من الصداقة سوياً أطال الله فى عمره ، كما كان هناك الطالب (على وهدان) الذى كان يعيد تيرم القسم الإعدادى والذى كان يتميز بالشهامة والشقاوة معاً وخدم حتى رتبة اللواء التى أمضى بها عدة سنوات وتوفى منذ سنوات قليلة رحمه الله وكان هناك أيضاً الطالب (حسين الزيات) المنضبط حديث السن والذى تدرج فى صفوف القوات المسلحة وعمل قائداً لسلاح المظلات وقائداً للجيش الثالث الميدانى ثم ملحقاً عسكريا بلندن رحمه الله .. وكان هناك الطلبة (رفيق بدر) و(مظهر عيسى) رحمهما الله علاوة بالطبع على آخرين لا يقلون عندى احتراماً واجلالاً لشخوصهم الكريمة أحياءاً وأمواتاً ..

(١٢)

فجأة وبعد حادث حريق القاهرة في يناير ١٩٥١ وخلال اليوم الدراسى أدى بروجى الكلية نوبة جمع فخرج الطلاب من جميع الأقسام الدراسية متوجهين سريعاً لأخذ أماكنهم فى الطابور كالمعتاد منتظرين بلهفة وترقب معرفة سبب جمع طلاب الكلية بالكامل .. وكان قد وصل إلى أرض الطابور مدير الكلية الأميرالاى (محمود بك صبحى) وبالطبع أخذ قبله جميع القادة والضباط بالكلية أماكنهم النسبية وفوجئنا بدخول سيارة وتوقفها بالقرب من أرض الطابور ويهبط منها رئيس أركان حرب الجيش المصرى اللواء (عثمان باشا المهدى) ومعه لواء آخر عرفنا فيما بعد أنه رئيس هيئة التدريب ثم وصل بعدهما فى سيارة أخرى الفريق (محمد باشا حيدر) وزير الحربية والذى أخذ يراقب أقسام الكلية الثلاث وهى تمر أمامه سيراً بالخطوة المعتادة النشطة وفى أثناء طابور السير كان يشير بعصاه القصيرة نحو أطول طلبة قامة بالكلية ويأمرهم بالخروج خارج الصفوف وبعد انتهاء طابور السير والعرض قام رئيس هيئة التدريب بإعلان أن اللواء (محمد باشا حيدر) أمر بتكثيف الدراسة وإجراء تيرماً قصيراً بجميع الأقسام وعليه يتم تخريج دفعة ضباط فى فبراير بدلاً من يوليو (طلبة القسم النهائى) ، وبالتالى بعد تخرج القسم النهائى فى فبراير عام ١٩٥١ يصعد طلبة القسم المتوسط إلى القسم النهائى بينما يصعد طلبة القسم الإعدادى إلى القسم المتوسط وكان وقع هذه التعليمات والقرارات علينا صادماً ومفرحاً فى نفس الوقت بينما استمعنا إلى قرار آخر بترقية الطلبة ذوى الأطوال الفارهة إلى الدرجات الأخرى فصار الطالب وكيل أومباشى ووكيل الأومباشى أومباشياً بينما أصبح الأخير شاويشاً أما الشاويش يصبح باشاويش وتم ترقية الزميل الصديق الطالب (على وهدان) من إعدادى ٨ إلى رتبة وكيل أومباشى فرحت للخبر الذى ميز به إعدادى ٨ بطالب به بهذه الترقية وإن كنا قد استعجبنا ليكون طوال القامة معياراً وحيداً للترقى !! ومازلت أتعجب لهذا القرار كلما تذكرته ..

خلال العام الدراسى ١٩٥٠ / ١٩٥١ حدث واستجدت بعض الأمور الخاصة والأمور العامة فمن الأمور الخاصة انتقلت من شقتنا بشبرا إلى حى الدقى وفى موقع متميز وبشقة أوسع نسبياً لتتسع وتستوعب الوافدة الجديدة أختى الأصغر (چيهان) التى هلت على الدنيا يوم ٢٥ فبراير وفى نفس العام أيضاً اجتزت القسمين الإعدادى والمتوسط بنجاح بعد قرار تقصير التيرمات وانتقلت إلى القسم النهائى فى صيف ١٩٥١ .. أما عن الحدث العام فهو حادث حريق القاهرة فى ٢٦ يناير ١٩٥١ بعد إعلان زواج الملك (فاروق) بالملكة (ناريمان) يوم ١٩٥١/١/١٦ وبمناسبة حريق القاهرة هذا فإن كثير من طلبة الكلية الحربية صعدوا مسرعين إلى أسطح عنابر الكلية التى تطل على شارع الخليفة المأمون لتشاهد ألسنة النيران عن بعد وهى تلتهم محلات ومؤسسات منطقة (نص البلد) وكانت حينها ظاهرة للعيون ، كما كنا حينها لنا عيون ثاقبة وقوية النظر .. ويحضرنى هنا أننى فى أول أجازة (خميس وجمعة بعد ذلك الحريق) ذهبت بنفسى لأعاين أماكن وآثار الحريق وما خلفّته وراءها من خسائر ففوجئت بأنه مازال فندق شبرد والذى كان موقعه بشارع ابراهيم باشا (الجمهورية الآن) مازالت بعض أخشابه مشتعلة بينما حدث الحريق يوم السبت الأسبق على ما أتذكر وكان مشهداً يثير الحسرة والألم والحقد والغضب ممن ارتكبوا هذا العمل مهما كانت صفتهم ومهما كانت انتماءاتهم السياسية

بعد اجتيازى النجاح بالقسم الإعدادى نقلت إلى القسم المتوسط والتحقت بفرقة متوسط ١٠ و ألحق بنفس الفرقة غالبية زملائى من اعدادى ٨ وأمضيت عاماً مليئاً بالدراسة والتعب وفى نفس الوقت بالمرح واستغلال أوقات الراحة القصيرة وأجازات كل أسبوع بالمتع البريئة .. وثقت صلاتى أكثر وأكثر بزميل قديم منذ الدراسة الابتدائية بالمدرسة الاسماعيلية بشبرا والذى كان زميلى أيضا بالقسم الإعدادى ثم جمعتنا فرقة متوسط ١٠ سوياً فعادت أواصر الصداقة وتعمقت أكثر وأكثر حتى أصبح من أقرب الأصدقاء إلى قلبى لطيب أخلاقه وسلوكياته

فى القسم المتوسط أسعدنى كثيراً أن يكون من ضمن البرنامج الأسبوعى طابور ركوب خيل والذى كنت أنتظر بفارغ صبر القيام به وذلك بالانتقال إلى منطقة خيالة سلاح الفرسان لتلقى الدروس المختلفة العملية والنظرية لإجادة الركوب وكنت أحد الطلبة الذين استفادوا من هذه الطوابير وأسعى دائماً لانتقاء الحصان الذى ألمح به ذكاءاً وذلك عند الإشارة لنا بالتوجه لإختيار الحصان لكل منا .. وكنت طبعاً أطمح فى أن أكون فارساً كفارس أحلامى (يوسف السباعى) الذى قرأت له فى احد رواياته وصفاً دقيقاً وجميلاً عن اشتراكه بطابور المحمل الشريف الذى كان يقوم ويبدأ من معسكرات الجيش بالعباسية مخترقاً لشارع فاروق (الجيش) حالياً ثم شارع الأزهر حتى موقع الأزهر الشريف كما إعتقد والذى شاهدته بنفسى من شارع فاروق وأنا صغير السن وكان طابوراً جميلاً وحدثاً يستأهل المشاهدة ..

كنت أيضاً أهتم بدرس هندسة السيارات وهى إحدى المواد التى تؤهل المتميز بها فى الالتحاق بسلاح الفرسان

بدأت فى نشر أزجالى الوطنية فى مجلة الكلية الحربية وبدأت شخصيتى الأدبية وميولى الشعرية تتبلور ببطء وبإصرار منى أن أكون صاحب إسم فى مجال الأدب بجوار مهنتى الأصلية وهى العسكرية ..

(١٣)

خلال عام ١٩٥٢ وفى أثناء الأجازة السنوية للكلية قامت ثورة ٢٣ يوليو والتي كان ينتظرها الكثير من جماهير الشعب المصرى المطحونة بعد أحداث سابقة متلاحقة بدءاً من حرب فلسطين ١٩٤٨ والتى هزم فيها الجيوش العربية وعلى رأسها الجيش المصرى بعد أن أعدت بريطانيا العدة لتسليم فلسطين لليهود وللصهيونية العالمية وأحداث وحوادث الأسلحة الفاسدة ثم حادث حريق القاهرة الغامض والذى هز أركان العرش ومهد لقيام ثورة يوليو والذى استمعت إلى بيان قيامها بصوت البكباشي أنور السادات والذى كان أشهر شخصية سياسية حينئذ بين ضباط قيادة الثورة لسابق اتهامه فى عدة حوادث سياسية سابقة في قضية مقتل أمين باشا عثمان والذى كان موالياً وعميلاً للقوات البريطانية عام ١٩٤٤ كما كان أنور السادات متهماً أيضاً فى حادث تفجير قنبلة سينما مترو بالقاهرة ..

وبعد قيام الثورة بأيام تم استدعاء دفعة نهائي من الأجازة الصيفية لتخريج الناجحين في اول أغسطس ١٩٥٢ برتبة الملازم ثان وكان قوامها أكثر من ٣٥٠ وهى أكبر عدد من دفعة واحدة تتخرج حتى ذلك التاريخ .. فى أوائل نفس العام تم تعيين اللواء (محمد حسنى) والد صديقي الطالب (حسين حسنى) مديراً للكلية الحربية وكان رحمه الله محبوباً من هيئة تدريس الكلية ومن الطلبة فى نفس الوقت لشخصيته القوية المتزنة وتعامله الأمثل مع الجميع كما أنه كان صاحب كاريزما قيادية واضحة للجميع ضباطاً وطلبة وحتى لصف الضباط المعلمين بالكلية ..

أمضينا أجازة الصيف وتعاقبت على أبصارنا وأسماعنا كل الأحداث التى تلت قيام الثورة وتنازل الملك فاروق الأول ملك مصر والسودان (كما كان يلقب) عن العرش لولى عهده الأمير أحمد فؤاد (الطفل حينذاك) ثم تعيين مجلس وصاية على العرش وإعلان قانون الإصلاح الزراعى الأول فى ٩ سبتمبر ١٩٥٢ وغير ذلك من القرارات الثورية فى حينه ..

تحدد موعد عودتنا للكلية في أوائل أكتوبر عام ١٩٥٢ وسبقنا بأسبوع جميع الصف ضباط الطلبة من دفعتنا لتلقى تلقيناً يتمشّى مع الرؤية الجديدة لقادة الثورة ومن الضباط ذوى الرتب العليا والذين عينتهم قيادة مجلس الثورة فى وظائفهم القيادية الجديدة بعد أن أحالت معظم القادة والمديرين الشاغرين لوظائفهم إلى المعاش بعد التحقيق مع بعضهم ممن كان ولائهم المعروف للملكية وللملك فاروق وكان من ضمن من تم احالتهم للتقاعد (المعاش) اللواء (محمد حسني) مدير الكلية الحربية الملكية وعين الأميرالاى (عبدالواحد عمار) مديراً للكلية الحربية بعد تسميتها الجديدة

دخلنا من باب الكلية بكوبرى القبة فى ذلك اليوم من شهر أكتوبر ١٩٥٢ لنفاجئ من اللحظة الأولى بأسلوب متناهي في الشدة من زملائنا صف الضباط الذين سبقونا بالأسبوع إياه والذي تم خلاله تلقينهم تلقيناً تجاوز كل تصوّر كأنما كنا نحن باقى الطلبة من أسباب قيام ثورة يولية ذاتها ..

كان من ضمن الإجراءات الجديدة التى تمت بدواعى الانضباط منع التدخين نهائياً ومعاقبة من يضبط بهذه الجريمة ، كما أغلق كانتين الكلية الذى كنا نبتاع منه الحلوى والسجائر والمرطبات إلخ ، واستعيض عن ذلك بوضع ثلاجات أوتوماتيكية للكوكاكولا يتم شراؤها بوضع ماركة بقيمة الزجاجة فى المكان المخصص لذلك ..

كما تم التشديد على المأكولات (الملكي) التي تسرب مع الطلبة عند عودتهم من أجازة الأسبوع علاوة على المعاملة السيئة من زملاء نفس الدفعة والتى تسببت خلال العام الدراسى النهائي من عقوبات واجراءات شديدة ضد بعض الطلبة كما أطاحت ببعض الزملاء من ضباط الصف لتجريدهم من شرائط التفوق (عريف – رقيب – رقيب أول) كما فوجئنا أيضاً بتغيير وتعيين كثير من الضباط المدرسين بالكلية وعلى رأسهم جميعاً القائمقام (محمد فوزى) المشهور بشخصيته المتشددة وحتى المتجاوزة فى كثير من الحالات الانضباطية

كان ذلك العام الأخير لنا بالكلية عاماً مغايراً من جميع الوجوه عانينا خلاله الأمرين ولكننا تمكنّا من عبوره بسلام مع تحمّل تلك المنغصات والمضايقات التى لم يكن لها مبرر سوى إثبات للذات على حد تعبير المثل الشعبى (الغربال الجديد له شدّة) .. بل وكانت لنا مغامرات للتغلب على تلك الاجراءات أعترف بأننى كنت واحداً من أبطالها وشاهداً عليها وخرجت فى نهاية هذا العام بقليل من الخسائر في درجات الانضباط ولكن بالكثير من الخبرات فى التحايل والافلات من العقاب حتى كتب الله لى النجاة فى آخر العام الدراسى والتخرج والالتحاق بسلاح الفرسان الذى تمنيت دائماً أن أكون أحد رجاله فى يوم من الأيام

(١٤)

فى الثامن عشر من يونيو ١٩٥٣ أعلنت قيادة الثورة إسقاط النظام الملكى وقيام النظام الجمهورى وبالطبع إلغاء الوصاية على الأمير (أحمد فؤاد الثانى) وأصبح الهتاف فى طابور التمام مغرب كل يوم باسم جمهورية مصر والسودان وظللنا نردده بالكلية حتى تم تخريج دفعتنا فى ذلك اليوم الموافق ٢١ يوليو ١٩٥٣ وعلى قدر ما أسعدنى حفل ومناسبة التخرج برتبة الملازم ثان على قدر ما أزعجنى للغاية تعيينى ملازماً ثانياً تحت الاختبار بسلاح المشاة بدلاً من سلاح الفرسان الذى تمنيت دائماً أن أكون من بين ضباطه للأسباب التى ذكرتها فى حلقات سابقة وعلى رأسها أن أزامل القائمقام (يوسف السباعى) ذلك الأديب الكبير والفارس الوسيم الأنيق ذو البيريه الأخضر و (السنفرة) الفضية التى تحلّى أكتاف سترة البدلة (المكتب) كما تسمّى .. تنكدت نكداً عظيماً بل وحدث لى نوع من الإحباط لازمنى حتى وفقنى الله فى أن أحقق حلمى ذلك بعد حوالى العام والنصف الذى قضيته جزء منه بالكتيبة التاسعة مشاة التى كانت تعسكر بباب ٦ بمنطقة العباسية والباقى من تلك الفترة بالكتيبة ١٣ مشاة والتى كانت تسمى فى ذلك الوقت كتيبة الثورة وذلك لاشتراكها ضمن الوحدات التى نفذت العمليات المطلوبة للسيطرة على وزارة الحربية وغيرها من القيادات العسكرية بالمنطقة العسكرية المركزية .. ولانضمامى إلى سلاح الفرسان مرة أخرى قصة أرويها فى عجالة وفى ارتياح شديد لأنها أعادت لى مرة أخرى معنوياتى التى تدنت خلال العام والنصف السابقين على ذلك .. ذلك أننى علاوة على أنى لم أسعد ليوم واحد بوجودى ضابطاً بالكتيبة التاسعة مشاة لجملة أسباب منها عدم توافقى مع العمل بين مع ومن وتحت قيادة سيئة جداً من وجهة نظرى جعلتنى أفقد الثقة فى شخص قائد السرية التى التحقت بها من ضمن السرايا الأربع للكتيبة علاوة على تواجد نماذج غير سوية بأكثر من رتبة أقدم سلوكاً وخلقاً مما جعلنى أسعى للوساطة عن طريق أبى رحمه الله فى أن أنقل من تلك الكتيبة ووفقت فى التعيين بالكتيبة الثالثة عشر التى كان نظام الخدمة بها ممتعاً ومعوضاً لى عن الفترة السابقة عليها وكان من حسن طالعى القيام بالخدمة يوماً بعد يوم بمبنى القيادة العامة للقوات المسلحة والذى يضم رئاسة الأركان وكنت مسئولاً عن الدفاع عن المبنى بواسطة فصيلة الجنود المشاة التى أقودها

وكان زميلى وصديقى (أحمد رأفت مصطفى طاهر) ملازماً بالآلاى الثانى المدرع والذى يحتل المبنى المواجه لوزارة الحربية على شارع الخليفة المأمون وكان كلانا يختلس بعض الوقت للزيارة والإطمئنان على أحوالنا وكان رحمه الله يعلم جيداً مدى تعلقى بالخدمة بسلاح الفرسان الذى أصبح هو ذاته أحد أبنائه .. وفى إحدى تلك الزيارات المتبادلة فتحت معه الموضوع مرة أخرى وكنت معه بمكتبه بالآلاى والذى يجاور إدارته بسلاح الفرسان والتى كان البكباشى أ ح (أحمد صبرى كمال) أركان حرب لها والذى كان يقود قبل ذلك الآلاى الثانى فرسان (وحدة رأفت طاهر) والذى كان يتبنى ذلك الملازم الرجل الذكى الكفء .. واستمهلنى رأفت طاهر رحمه الله بضعة دقائق ليدلف من الباب الخشبى الذى يفصل مبنى الآلاى الثانى عن مبنى إدارة سلاح الفرسان ، وعلى بعد حوالى العشر دقائق ليطلب منى اصطحابه لمقابلة البكباشى المهيب (أحمد صبرى كمال) أركان حرب سلاح الفرسان لعرض أمنيتى عليه شخصياً ولم أتردد بالطبع وكانت المقابلة التي حولت جحيم حياتى العسكرية الأولى إلى جنة تحقيق رغبتى القديمة والدائمة .. وكان البكباشى (أحمد صبرى كمال) احد ضباط الثورة المرموقين والذى نقل فيما بعد إلى القطاع المدنى وعين سفيراً بوزارة الخارجية وصار وكيلها الأول لاحقاً وخلال مقابلتى له بالمكتب شرحت له انزعاجى من فكرة أن أظل أخدم بسلاح المشاة وأنه على الرغم من حصولى على الدرجات الشبه نهائية فى مادة هندسة السيارات وفى ركوب الخيل إلا إنه لم يتم إلحاق سوى عدد إحدى عشر ملازماً من دفعتى بسلاح الفرسان عند التخرج .. وفور انتهائى من عرض طلبى قام رحمه الله بالاتصال بإدارة كاتم أسرار الوزارة طالباً من المسئول بها درجى ضمن عدد من الضباط الآخرين المطلوب ضمهم لسلاح الفرسان من خريجى دفعتى ومن دفعات سابقة، كما اتصل بالبكباشى (محمد السيد عبد الرحمن) رحمه الله قائد الكتيبة ١٣ لاستئذانه فى نقلى من الكتيبة إلى سلاح الفرسان والذى لم يمانع .. كل ذلك قد حدث امام سمعى وبصرى ووجدتنى بين عشية وضحاها قد أصبحت الملازم ثان صلاح الدين فايز فؤاد ضابطاً بسلاح الفرسان بعد انعدام أمل ورحلة إحباط لم تطل والحمد لله والتى كان صاحبى الفضل فيها البكباشى أ ح (أحمد صبرى كمال) والملازم ثاني (أحمد رأفت مصطفى طاهر) الصديق الرجل الشهم رحمهما الله رحمة واسعة وجزاهما خيراً عما سبباه لى من سعادة ومتعة لم أكن أتصورها أن تحدث لولا ما يسمى بلعبة الأقدار

سينا وأنا لأول مرة:

(١٥)

استلمت خطاباً موجهاً من إدارة سلاح الفرسان إلى مدرسة المدرعات لضمى ضمن ضباط الفرقة الأساسية التى كانت قد تخرجت فوراً من الكلية الحربية فى مارس ١٩٥٥ والذين كانوا قد تعينوا بالسلاح أى بعد تخرجى بحوالى العامين الذين امضيتهما بسلاح المشاة ، كما كان أيضاً قد تم نقل عدد من الضباط إلى سلاح الفرسان لأسباب مختلفة منها بالقطع تدعيم السلاح بعدد من الضباط بدلاً من هؤلاء الذين تم احالتهم للتقاعد أو نقلهم لوظائف مدنية بعد حركة الفرسان فى خريف ١٩٥٤ تدعيماً للرئيس الأسبق (محمد نجيب) وللصاغ (خالد محى الدين) المطالبين بعودة الضباط الذين قاموا بالثورة إلى صفوف القوات المسلحة مرة أخرى وترك زمام الأمور للسلطات المدنية وعلى رأسهم البكباشى (جمال عبد الناصر) والذى تمكن من تدعيم معظم أعضاء مجلس قيادة الثورة ضد نجيب وخالد محى الدين عضو المجلس والذى كان ضابطاً بسلاح الفرسان في مدرسة المدرعات ، فوجئت بنقل صديقى العزيز (سعيد فوزى) شقيق النجمة السينمائية (ليلى فوزى) أيضاً إلى سلاح الفرسان من إدارة التعيينات والذى كان قد ألحق للعمل بها فور التخرج من الكلية الحربية والذى كان قد خاب أمله حينئذ أيضاً فى عدم انضمامه لسلاح الفرسان .. وعدنا كما كنا أكثر تقارباً وتعمقت بيننا أواصر الصداقة والزمالة التى لم تفارقنا حتى رحيله فيما بعد بعد آلام لم ترحمه بسبب المرض اللعين .. رحم الله سعيد فوزى رحمة واسعة فقد كان على خلق طيب للغاية وكم كانت لنا صولات وجولات معاً فى سنوات شبابنا الأولى قبل أن يستقيم كلانا بالرباط المقدس الذى أكد صداقتنا أكثر بتوافق أرملته أطال الله فى عمرها مع طباع زوجتى الحبيبة أمدها الله بالصحة وطول العمر ..

قبل أن أستلم خطاب إدارة السلاح الموجه لمدرسة المدرعات ، كنت قد ألحقت لحوالى شهرين سابقين أو ثلاث بالآلاى السادس فرسان وهو آلاى مشاة ميكانيكى يتبع المجموعة الأولى المدرعة والذى تحول فيما بعد إلى التسمية الحالية اللواء السادس مشاة ميكانيكى ضمن تشكيل الفرقة الرابعة المدرعة .. وكان لى شرف استلام معسكرات الجيش البريطانى بالشلوفة والتى تقع شمال مدينة السويس ببضع كيلو مترات ، وذلك ضمن الخطة السابق الاتفاق عليها مع انجلترا والمعروفة باتفاقية الجلاء صيف ١٩٥٤ وتم انزال العلم البريطانى من معسكرات الشلوفة ورفع العلم المصرى القديم أخضر اللون ذو الهلال والنجوم البيضاء الثلاث قبل أن يتحول إلى الشكل الحالى بألوانه السوداء والحمراء والبيضاء وكان يوماً مشهوداً واحتفالاً لائقاً باسترداد جزءاً عزيزاً من أرض الوطن من الاحتلال البريطانى البغيض ..

أمضيت عدة أشهر بالفرقة الأساسية كما أسلفت واجتزت الاختبارات بتفوق والحمد لله وخاصة فى مادة التكتيك وعقدت عدة صداقات مع ضباط دفعة مارس ١٩٥٥ والذين كان معظمهم بحق متميزين خلقاً وعلماً (هذه هى الدفعة التى دخلت الكلية الحربية فى أكتوبر ١٩٥٢ بينما كانت دفعتنا قد انتقلت إلى القسم النهائى وكنا مسئولين عن تلقينهم قواعد الانضباط والسلوكيات بالكلية كما هو المعتاد كنظام بالكلية) ، هذا فيما احتل القسم المتوسط بالكلية الطلبة المتخلفين دراسياً أو لأسباب أخرى وتلك هى الدفعة التى تخرجت فى صيف ١٩٥٤ أى بعد تخرجنا بعام كامل فى ١٩٥٣ بعد أن اجتزت دراستى بالفرقة الأساسية

انضممت مرة أخرى للآلاى السادس فرسان بالشلوفة وتم ترقيتي في يوليو ١٩٥٥ إلى رتبة الملازم أول أسوة بباقى دفعتي ثم تم تمركز الآلاى السادس والآلاى الرابع دبابات وهما قوام المجموعة الأولى المدرعة بمنطقة (بير الجفجافة) بوسط سيناء على محور طريق الإسماعيلية شرق

وفى تلك الفترة عقد امتحان مسابقة لاختيار ٣ ضباط (الأوائل بالطبع) للسفر في بعثة إلى ألمانيا الغربية لحضور مناورات حلف الأطلنطى وتمكنت والحمد لله باجتياز الاختبارات بتفوق سمح لى أن يكون ترتيبى الثاني بين الثلاثة المتفوقين وكان أولنا الملازم أول (أبو النصر صالح مشالى) و ثالثنا الملازم أول (نبيل محمد عطية) وكان الاثنان خريجي دفعة أغسطس ١٩٥٢ وكان ثلاثتنا من ضباط الآلاى السادس فرسان وكانت فرحتنا عارمة واعتزاز قائد الآلاى المرحوم البكباشى (محمد بدوى الخولى) بهذا التفوق غير المسبوق ببعثات السلاح للخارج

لم تدم فرحتنا طويلاً بهذا التفوق وبعقد الآمال فى تلك البعثة بألمانيا الغربية حيث أنه تم تأجيلها شهراً وراء آخر حتى ألغيت تماماً بعد إعلان (جمال عبد الناصر) تأميم قنال السويس والدخول في صراع سياسى وسيادى على إدارة القنال حتى قيام الاعتداء الثلاثى فى ٢٩ أكتوبر ١٩٥٦

(١٦)

فى مساء يوم ٢٩ أكتوبر ١٩٥٦ كنت وزميل آخر نقوم بالخدمة (النوبتچية) بالآلاى السادس فرسان المعسكر حينئذ بمنطقة فايد غرب القنال وكان باقى ضباط الآلاى وبالطبع قائده خارج المعسكر كل في شأنه ، عندما اتصل بنا الضابط المنوب برئاسة المجموعة ليخبرنا بهبوط مظليين إسرائيليين فى ممر (متلا) وطلب منا استدعاء باقى ضباط الآلاى (شد الأورط) وهو تعبير عسكرى يقصد به إعداد مركبات الآلاى وأفراده استعداداً لتلقى أى أوامر خاصة بالتحرك أو غيره .. وقمت وزميلى أمتعه الله بالصحة (العميد بالمعاش حالياً أبو بكر كحيل) بتنفيذ المطلوب بهمة ونشاط وسرعة إنجاز حتى تتابع وصول باقى ضباط الآلاى وبالطبع فى مقدمتهم البكباشي أ ح (مختار الدسوقى) قائد الآلاى وظللنا ساهرين حتى الصباح المبكر يوم ٣٠ أكتوبر عندما صدرت لنا الأوامر بالتحرك وعبور قنال السويس إلى منطقة (بير الجفجافة) على الطريق الأوسط الذى يمتد حتى حدودنا الشرقية بمنطقة العوجة .. وتم تنفيذ عملية التحرك هذه بالكفاءة المطلوبة وبدون أى أعطال فى المركبات أو أى إصابات بشرية .. وفى منطقة الجفجافة التى كانت تتسع لتمركز وحدتى المجموعة الأولى بالكامل (الآلاى الرابع المدرع والآلاى السادس مشاة ميكانيكى والذى كنت أخدم به آنذاك) .. وانتشرت الدبابات وباقى المركبات حسب الأصول المرعية فى مثل تلك الحالات ولكننا ما كدنا نستقر بمنطقة بير الجفجافة حتى أغارت علينا قبل آخر ضوء يوم ١٠/٣٠ طائرات من طراز (مستير) فرنسية الصنع يقودها طياران غالباً فرنسي الجنسية أيضاً بعد أن أعلنت كل من انجلترا وفرنسا ومعهما اسرائيل بالطبع القيام بالاعتداء الذى سمى بالثلاثي فى الليلة السابقة ١٠/٢٩ والذى بدأ بإسقاط المظليين الإسرائيليين بممر متلا كما ذكرت آنفاً .. وقامت الطائرات بإسقاط عدة براميل حارقة أشعلت النار فى عدد محدود من المركبات بينما أمطرتنا بوابل متكرر من طلقات رشاش الطائرتين لم تحدث أى إصابات بالأفراد والحمد لله وكان جنود وحدة المدفعية المضادة للطائرات الملحق للعمل مع المجموعة قد قاموا بالتعامل مع الطائرتين المغيرتين ولكنهما لاذتا بالفرار فى غروب ذلك اليوم

بعد الغارة قام كل قائد وضابط وجندى باجراء ما يلزم من احتياطيات لتلافى الإغارة الجوية المتوقعة فى صباح الغد ١٠/٣١ .. فى بداية نهار ذلك اليوم صدرت لنا الأوامر بالتحرك شرقاً للوصول إلى منطقة جبل (لِبْنِى) والتى كنت أخدم بها لمدة عام تقريباً قبل أن يخليها الآلاى ويعود إلى التمركز بمنطقة فايد قبل تلك الأحداث .. وأثناء التحرك التكتيكى للآلاى وعند وصوله تقريباً إلى منطقة (وادى غزال) تم مهاجمتنا بعدة طائرات (مستير) وأنواع أخرى وبشراسة ونتج عن تلك الغارة احتراق بعض المركبات والأفراد الذين اشتعلت بأجسادهم الطاهرة مادة (النابلم) الحارقة ذات الحرارة العالية للغاية والتأثير القوى الذى (يفحّم) الأجساد دون رحمة .. ولم يكن هناك غطاء جوى من طائرتنا وقام دفاعنا الجوى المحلى بالاشتباك ببسالة مع تلك الطائرات والذى أصاب إحداها فولت هاربة من أرض القتال بينما أجهزت طائرة معادية على طاقم المدفع وعدة مدافع أخرى

انتهت الغارة اللعينة بعد ظهر ذلك اليوم والذى كان من الممكن أن يكون آخر يوم فى حياتى ذلك أننى كنت قد ترددت فى الرقود بعيداً عن مركبة (رئيس الشئون الفنية) بالآلاى مع باقى من كنا واقفين أمامها من الضباط قبل حدوث الغارة ، ولكن الله شاء أن أترك مكان المركبة وأسرع لآخذ ساتراً قبل أن تلقى إحدى الطائرات المغيرة برميلاً من (النابلم) على المركبة فتحيلها فى دقائق معدودات أمام ناظرى إلى كتلة من اللهب المشتعل الحارق ..

صدرت لنا اوامر جديدة بالعودة مرة أخرى إلى منطقة بير الجفجافة والانتظار هناك حتى صدور أوامر أخرى .. ووصلنا المنطقة فى نهاية نهار يوم ١٠/٣١ وبدأنا فى حفر ملاجئ سريعة للمركبات وحفر للأفراد اتقاءاً لشر الطائرات المغيرة والمنتظرة تشريفنا فى صباح اليوم التالى .. وقد حدث فلم نهنأ بساعات قليلة من الإعداد أو الراحة حتى أغارت علينا طائرات العدو محدثة بعض الخسائر بين المركبات والأفراد وفى مساء ذلك اليوم ١١/١ صدرت لنا أوامر بالإنسحاب غرباً وعبور قنال السويس انتظاراً للأوامر الجديدة .. وفهمنا بالطبع الموقف العسكرى لقواتنا جميعها وخاصة القوات الجوية التى افتقدناها بشدة فى انسحابنا الذى بدأ منتظماً وملتزماً ثم صار بدون ضابط أو رابط وحتى ولا غطاء لنا فى العراء أثناء التحرك شرقاً أو فى رحلة الانسحاب غرباً

عندما وصلت وحدتى فجر يوم ١١/٢ إلى الاسماعيلية غرب وبعد فترة زمنية محدودة للتجميع والتتميم صدرت لنا أوامر أخرى بالاتجاه إلى القاهرة فاتخذنا طريق الاسماعيلية – القاهرة الزراعى وعندما وصلت وحدتى تقريباً إلى منطقة (أبو زعبل) شاهدت بعينى رأسى ثمانية طائرات قائفة للقنابل من طراز (كانبيرا) تسقط مجموعات من القنابل الضخمة كل مجموعة من أربعة قنابل على مركز الإرسال اللاسلكى للإذاعة وعلى باقى المنطقة وكنت أسمع أصوات الانفجارات المدويّة والمحدثة خراباً وتدميراً تاماً لمواقع المدافع المضادة للطائرات والتى أسكنتها تماماً باستبسال تلك الأطقم من جند مصر العظام ..

خشية أن يصاب أفراد وحدتى الفرعية الصغرى (التروب) الذى كنت أقوده من جراء القصف الجوى وشظايا القنابل المتناثرة أمرت سائقى الثلاث مركبات بوضعها فى حماية أشجار الكافور العالية والتى كانت ممتدة بطول الطريق على حافة ترعة الإسماعيلية ، كما امرت الجنود بأن يرقدوا على حافة الترعة تماماً وأن يلقوا بأنفسهم بها إذا ما حدث الإنفجار لا قدر الله قريب منهم ، وفى تلك الأثناء فوجئت بمشهد لا يمكن أن أنساه ما حييت ذلك أننى رأيت سجانى ومساجين سجن أبو زعبل يهرولون نحو طريق الإسماعيلية طلباً للنجاة من قنابل الطائرات وحينئذ تعلمت درساً جديداً فى الحياة (أن ساعة الخطر تجمع بين النقيضين) وأن مقولة (يا روح ما بعدك روح) صحيحة تماماً ..

كان هناك مبنى صغير من طابق واحد يقع على الحد الأيمن لطريق (الإسماعيلية – القاهرة) وحدث أن ضلت قنبلة من مجموعة طريقها ورأيتها تندفع نحو مكان تمركزنا المؤقت على حافة قناة السويس فرقدت بسرعة واضعاً وجهى تماماً ليلحس تراب الأرض والخوذة فوق رأسى ونسيت أن آمر جنودى بالقفز داخل الترعة تلافياً لشظايا القنبلة والمنتظر أن تصطدم تلك القنبلة الملعونة بالمبنى التعيس والذى تحول فى عدة دقائق إلى كومة من الأحجار الصغيرة والذى أثار سحابة من الغبار الخانق .. بعد انتهاء الغارة اتخذت ضمن قوة الآلاى طريقنا ألى القاهرة وعندما وصلنا تقريباً إلى منطقة (مسطرد)

صدرت لنا الأوامر بالانتشار والتخفى والتمويه فى شوارع تلك المنطقة التى تتبع حى مصر القديمة أو (مصر عتيقة) كما كان يطلق عليها .. وهى منطقة (خارطة أبو السعود).

يا هلا يا ميت هلا:

(١٧)

من منطقة (خارطة أبو السعود) إلى منطقة مقابر (الغفير) كان انتقالنا التالى حتى لا تكتشف أماكننا طائرات الاستطلاع (البريطانى – الفرنسى – الاسرائيلى) وكان مركز رئاستى فى حوش محترم عليه القيمة لكن ليس به إنارة وبالطبع فإنه فى مثل هذه الأماكن أعنى المقابر لا يرحب المرء بالتواجد بها ليلاً وخاصة فى ذلك الزمن بينما تغير الحال الآن وأصبحت أحواش المقابر سكناً فاخراً هادئاً هانئاً لكثير من أهل القاهرة (الأموات الأحياء)

وفى نوبة خدمتى بعد قيامى بالتتميم على الخدمات والاطمئنان على احوال الجنود دخلت الحوش لأستريح وأنام بعض الوقت متصفحاً إحدى المجلات وبجانبى لمبة (صاروخ) ضعيفة الإضاءة للغاية لكن (هو ده اللى موجود !!) منبهاً على الجندى الذى يقف على باب الحوش من الخارج أن يطرق باب الحجرة التى داخل الحوش والتى بها سرير (كل إشن كان) عند تسليمه الخدمة لزميله التالى بعد ساعتين

قرأت وتصفحت فى المجلة لبعض الوقت بينما كان ذهنى وأفكارى تسبحان بى فى مجاهل خوف من نومة الحوش ومن هم يرقدون تحت أرضية ذلك الحوش الشيك البغيض .. أقفلت عيناى ورحت فى سبات تخيلته عميقاً ولكنى أحسست أثناء نومى أن هناك كلباً لطيفاً يداعب بلسانه أصابع قدماى وكلما حاولت إبعاده تمسك بالهزار معى حتى أنه أخذ يداعب وجهى ويداى وهناك حاولت أن أقوم بإبعاده فلم أتمكن فصرخت صرخة مدوية لم أشعر بعدها إلا بالجندى الخدمة يقتحم الغرفة اللعينة ويسألنى (فيه إيه يا افندم) ساعتها أفقت من ذلك الكابوس الذى كان بطله الأول والوحيد كلب (لولّو) أبيض اللون هزاره سخيف ..

أمضيت حوالى عام بعد ذلك أخدم بالآلاى السادس فرسان وطلبت من صديقي العزيز اليوزباشي (أحمد رؤوف أسعد) رحمه الله وكان ضابط أمن سلاح الفرسان ومساعد أركان حرب السلاح فى نفس الوقت أن أنقل إلي وحدة تعليمية أسترد فيها أنفاسى من عناء سنوات الخدمة السابقة وبالفعل تم نقلى إلى أساس الفرسان وهو المسئول عن تأهيل وتدريب الجنود من الموهلات العليا والمتوسطة والعادية التدريب اللازم لجندى الفرسان (المدرعات)

فى أوائل عام ١٩٥٨ تمت الوحدة بين مصر وسوريا دون تروى او تأنى من السلطات المصرية دفعهم إلى القبول بها شهوة وحلم إنشاء الامبراطورية العربية من المحيط إلى الخليج ضد الامبريالية الغربية وإذكاءاً لروح القومية العربية بين شعوب المنطقة .. وبقيام الوحدة أصبح للجمهورية العربية المتحدة علم جديد وصارت سوريا ضمن الأقليم الشمالى بينما تسمت مصر باسم الإقليم الجنوبي وصار لكل إقليم وزارة قوام الوزراء من الإقليمين معاً .. وانعكس ذلك على القوات المسلحة للبلدين أيضاً فكان هناك الجيش الأول بسوريا والجيش الثانى أى الجيش المصرى وصار بعض التغيير مثلاً فى تسمية الرتب والدرجات العسكرية فبعد أن كان التدرج في الدرجات الأخرى (وكيل أومباشى أومباشى ، شاويش ، باشاويش وصول) صار (وكيل عريف – عريف – رقيب – رقيب أول – مساعد) وتدرجت رتب الضباط من (ملازم ثان – ملازم أول – يوزباشي – صاغ – بكباشى – قائم مقام – أميرالاى ..) إلي (ملازم – ملازم أول – نقيب – رائد – مقدم – عقيد – عميد) كما طال التغيير أيضاً الزى العسكرى وألغى البوشرت الشتوى للضباط وشكل ولون وعلامات الرتب والأكتاف كما ألغيت أيضاً (السنفرة) الفضية لضباط سلاح الفرسان وصار صقر قريش هو المثبت على جميع ألوان بريهات الأسلحة بدلاً من العلامات المميزة لكل سلاح ، كما قبع ذلك الصقر على مقدمة جميع الكابات وأصبح لون الحذاء للضباط وللدرجات الأخرى هو اللون الأسود وألغى حزام الوسط من البدلة المكتب

تغير كذلك تسمية سلاح الفرسان فأصبح سلاح المدرعات ، كما انتدب كثير من ضباط الاقليمين للخدمة بالإقليم الآخر

وكان الضباط السوريون للحق يتميزون بالانضباط العالى والاحترام الواجب للأقدميات ، كما كانوا يتميزون أيضاً بثقافتهم العالية وخاصة فى مجال الشعر والأدب .. ولكن كان يعيبهم ميلهم الطبيعي للوقيعة والافتراء وذلك حسب ظنى يرجع إلى أنهم جميعاً ينتمون إلى أحزاب وشيع وكتل وملل مختلفة

فى ابريل ١٩٥٨ تم ترقيتى إلى رتبة النقيب حسب التسمية الجديدة وظللت أخدم بأساس المدرعات حتى ابريل ١٩٥٩ عندما عينت رئيس عمليات الكتيبة ٢١٣ دبابات بالفوج الثانى المدرع الذى كان يتم تشكيله فى ذلك الوقت وكان مكان تجمعه منطقة هايكستب العسكرية والتى عين لها المرحوم الرائد (محمود سمير يوسف) قائداً لها ، كما عين العقيد (سعد عثمان) رحمه الله قائداً لذلك الفوج بينما كانت كتيبة ال (SU 100) رقم (٢٣٥) يقودها النقيب (نهاد محرم) لاعب الكرة السابق والحكم المعروف

(١٨)

تم إنشاء وتشكيل الفوج الثانى المدرع بمنطقة الهايكستب ويوماً وراء الآخر كان الضباط المختارين للخدمة بوحدات ذلك الفوج (ك ٢١٣ دبابات ، ك ٢٣٥ مدافع ذاتية الحركة) علاوة على الوحدات الفرعية الإدارية والفنية اللازمة لخدمة الفوج ، كما انضم الضباط الجدد من الدفعة ٣٨ خريجى مارس ١٩٥٨ والذين كانوا جميعهم والحمد لله من أكفأ الضباط وتم تعيين الملازمين ثوان (رضوان عثمان) والذى استشهد فيما بعد فى حرب ١٩٧٣ وكان وقتئذ قائداً لكتيبة دبابات وكان رحمه الله شعلة من النشاط والثقافة والابتكار فى العمل ، كما تم ضم الملازم ثان (أنور محمد على السيسى) والذى كان يتميز برجولته المبكرة وانغماسه فى صيانة دبابات الكتيبة بعد أن تم استلامها (بورقها كما يقال) من مستودعات (وادى حوف) كما كان باقى ضباط الكتيبة بل والفوج جميعاً من خيرة الضباط الذين خدمت معهم وبينهم طيلة العامين إلا بضعة شهور من مارس ١٩٥٨ تقريباً إلى نهاية ١٩٥٩ عندما تم اختيارى لنزول فرقة شئون إدارية استغرقت عدة شهور ولما كان تقديرى الأول بامتياز على تلك الفرقة فلقد كوفئت بنقلى إلى مدرسة المدرعات فى عام ١٩٦٠ لتدريس مادة الشئون الإدارية للفرق المختلفة التى تعقد بالمدرسة وقبل أن انتقل بالكلام عن ذكرياتى بمدرسة المدرعات ، لا يفوتنى أن أذكر عدة ذكريات وملاحظات عن فترة تواجدى بالفوج الثانى المدرع الذى كان قائده العميد (سعد محمد عثمان)ذلك الرجل الشهم والقائد المحترم الحازم الذى يهابه ويحبه كل من خدم تحت لوائه (رحمه الله) .. كان يعمل النقيب كمال عساف (رحمه الله) رئيساً للشئون الإدارية بالفوج والذى كان رغم إخلاصه فى عمله إخلاصاً واضحاً لم يكن على علاقة طيبة مع قائد الفوج لأسباب تراكمية سابقة على خدمة الاثنين بالفوج عندما كان يخدم العميد (سعد عثمان) قائداً للآلاى العاشر مشاة ميكانيكى إبان حرب ١٩٥٦ بينما كان النقيب كمال يعمل بأورطة دبابات (سونيتريان) ملحقة على الآلاى فى ذلك الوقت ، ولما كانت علاقتى بالعميد سعد لا تشوبها شائبة ولما كان النقيب كمال صديق وزميل عزيز فلقد حاولت التوسط بين الاثنين لإزالة أى رواسب عالقة بفكر وذهن العميد سعد ولكن دون جدوى فلقد كان العميد سعد من هؤلاء القادة الذين إذا كونوا فكرة عن ضابط ما إيجاباً أو سلباً لا يمحيها زمن أو عمل مهما كان إخلاص صاحبه وذلك ما كان ، فلقد ساءت العلاقة لدرجة أن العميد سعد عزل النقيب كمال من العمل كرئيس لشئون إدارية الفوج وألحقه على الكتيبة ٢١٣ التى أخدم بها وذلك أيام أزمة منطقة (التوافيق) بسوريا والتى أمرنا خلالها بشد الفوج وتحريكه شرقاً بعد عبور القنال فى الإتجاه الذى سلكته منذ حوالى ٣ سنوات سابقة مع الآلاى السادس خلال عدوان ١٩٥٦ .. وظل النقيب كمال رحمه الله يعمل بنشاطه المعهود حتى تم نقله فيما بعد وتدرج فى عدة وظائف ونال شهادة الأركان حرب ثم توفاه الله بعد ذلك بعدة سنوات رحمه الله ورحم العميد سعد عثمان فالرجلين كانا من خيرة الضباط والقادة ..

كما ذكرت سابقاً أنه كان يجرى نقل بعض الضباط من الإقليم الشمالى (سوريا) إلى الإقليم الجنوبى (مصر) والعكس بالعكس وكان أن ألحق على الفوج بضعة ضباط من رتبة النقيب واثنين من الملازمين الأوائل كان من نصيب ك ٢١٣ (كتيبتى) نقيب واحد اسمه (عزت بن جديد) ، الملازمين أوائل الآخرين ، كما ألحق على كتيبة المدافع ذاتية الحركة **SU100** ثلاث نقباء وكان من بينهم النقيب (مصطفى طلاس) الذى أصبح فيما بعد الانفصال بعدة سنوات وزيراً لدفاع الجيش السورى ثم نائباً لرئيس الجمهورية ، بينما قتل (عزت بن جديد) فى احد معارك الحصول على السلطة بسوريا كما علمت .

أما موضوع أزمة التوافيق تلك فلقد حدث أن هاجمت إسرائيل تلك المنطقة بسوريا فكان يتحتم أن يتم نجدة سوريا بقوات الإقليم الجنوبى (مصر) لذا تعبأت وتأهبت القوات للضغط على إسرائيل من الجنوب حتى تضطرها أن تقاتل إما فى جبهتين أو فك الإشتباك مع سوريا وعودة القوات الإسرائيلية مرة أخرى إلى أماكن تمركزها الأصلية وبالفعل تراجعت إسرائيل وبالتالى عادت القوات المصرية إلى قواعدها دون اشتباك أو خسائر سوى بعض الأعطال المؤقتة أثناء التقدم على المحور الأوسط بسيناء حيث أن تلك كانت المرة الأولى التى يتحرك فيها أفراد ودبابات الكتيبة ٢١٣ دبابات لمسافة طويلة (على الجنزير) أى دون تحميل الدبابات على ناقلاتها

وبالمناسبة كانت الدبابة ث ٣٤ ذات المدفع ٨٥ مم والتي تم استلامها (بورقها) كما ذكرت سابقاً من مستودعات (وادى حوف) هى الدبابة المتوسطة التى عملت بكفاءة تامة مع القوات الروسية أثناء الهجوم المضاد على القوات الألمانية والتي استطاعت أن تتغلب على الدبابات الألمانية المناظرة لها وكانت فعلاً هي بطل الاتحاد السوفيتي فى الحرب العالمية الثانية وتلك الدبابة تتميز بخفة الحركة وقوة الدرع ودقة عمل مدفعها

أمضيت خدمتى رئيساً لعمليات الكتيبة ٢١٣ دبابات في حالة معنوية عالية حيث أن الكتيبة ضمن الفوج الثانى المدرع كانت تعسكر بقرية (الفنارة) إحدى قرى (فايد) والتى كانت تبعد جنوباً عن مدينة الإسماعيلية بحوالى ٤٥ كم مما أتاح لي مع زملائى من ضباط الفوج والكتيبة أن نقضي بعد نهاية يوم العمل وقتاً جميلاً بتلك المدينة خفيفة الظل دافئة المشاعر وكطباع أهلها الذين يحبون مدينتهم حباً جماً ويشجعون فريقها (الإسماعيلى) إلى أبعد الحدود.

فى المدرسة لكن معلم:

(١٩)

ضمتنى أسوار مدرسة المدرعات عدة مرات طالباً أنهل من العلم العسكرى وفنونه وخاصة فيما يخص المدرعات من جميع النواحي الفنية والتكتيكية حتى هيأ الله لى أن أصبح أحد المدرسين فى هيئتها التى تضم كفاءات مختلفة من مختلف الرتب والتخصصات وكان علىّ بعد أن انضممت إلى هيئة تدريس المدرسة مدرساً لمادة الشئون الإدارية لأعضاء الفرقة الدراسية حتى رتبة المقدم ، بعد حصولى على درجة الإمتياز بفرقة الشئون الإدارية بالعباسية ، ولقد آليت على نفسى منذ ان أصبحت معلماً بمدرسة المدرعات أن أقوم بالإعداد الذاتى لي كمحاضر جيد مع وفرة المعلومات اللازمة للضباط الطلبة الوافدين للمدرسة للحصول على الفرق التعليمية المختلفة

ولقد كنت بحق على قدر المسئولية المنوط بها لأننى أجد نفسي قادراً تماماً على أن أكون معلماً غزير المعلومات أعرضها وأشرحها و أوفرها بصورة مبسطة يتلقفها المتلقى بسهولة ويسر ..

خلال المدة التى قضيتها أخدم بمدرسة المدرعات والتى أمتدت من ديسمبر ١٩٦٠ -١٩٦٦ خدمت تحت قيادة أربعة قادة من خيرة ضباط القوات المسلحة علماً وكفاءة ورجولة وكان أولهم العميد أ ح (أحمد حسني عيد) رحمه الله والذى كان محبوباً من مرءوسيه من هيئة معلمي المدرسة أما ثانيهم فقد كان العميد أ ح (محمد عبد الغني الجمسى) ذلك القائد الذى يجيد فنون القيادة والإدارة والتنظيم عالى الانضباط العصامي والذي أصبح بكل فخر العقل المخطط والمسئول عن عمليات القوات المسلحة قبل وأثناء وبعد حرب ٧٣

والذى كان مندوب مصر فى محادثات الكيلو ١٠١ أمام الجانب الإسرائيلى والذى تميز بالحنكة والصبر وسرعة المناورة مع الخصم الإسرائيلى ثم أصبح فيما بعد وزيراً للدفاع وتمت ترقيته إلى رتبة المشير التى يستحقها بجدارة بلا شك ..

كان العميد أ ح (محمد عبد الغنى الجمسى) من هؤلاء القادة والضباط الذين يحرصون على الحصول على المراتب الأولى فى جميع الاختبارات والمراجعات والمسابقات ولقد جرت العادة أن تقام مسابقات تتولاها هيئة إدارة تدريب القوات المسلحة للمنشآت التعليمية (المدارس – المعاهد ... إلخ) والمنشأة الفائزة تحصل على كأس التفوق بين المنشآت والتى لم يكن أبداً ليتنازل عن إحراز تلك الكأس لثلاث سنوات متتالية وأظنها كانت أعوام ٦٢ ، ٦٣ ، ٦٤ وذلك بفضل ما كان يلقنه لجميع ضباط المدرسة كل حسب موقعه بالإجراءات التى يجب عليه أن يقوم بها إستعداداً لذلك التقييم وتلافى أوجه النقص .. إلخ من المسائل التى تحقق فى نهاية الأمر الهدف المنشود (كأس التفوق)

أما ثالث هؤلاء القادة فقد كان العميد (محمد خليل زكى) ذلك الرجل طيب القلب الذى يحنو على جميع مرءوسيه من الضباط والدرجات الأخرى والذى كان يتباسط معنا جميعاً مع الوقفة الحازمة فى الوقت المناسب

أما رابع هؤلاء فقد كان هو العميد (سعد محمد عثمان) الذى كنت تحت قيادته خلال خدمتى فى الفوج الثانى المدرع والذى أختلف حوله الضباط بين مؤيد لأسلوبه فى القيادة أو رفضه لها ذلك أنه كان رحمه الله يتخذ بعض القرارات التى يستنكرها له مرءوسيه (ذلك أنه كان دفعة المشير عبد الحكيم عامر وله كما يقولون بالعامية له دلال عليه)

سعدت جداً خلال تلك الخدمة لإقترابى اكثر وأكثر مع نخبة من الضباط مختلفى الرتب أمثال الرائد (إبراهيم عبد الغفور العرابى) رئيس أركان حرب القوات المسلحة فيما بعد والرائد (عادل سوكة) الذى كان مديراً للكلية الحربية وتوفى فيما بعد فى شرخ شبابه والنقيب (نور عبد العزيز) الذى استشهد فيما بعد وهو يقود اللواء الثالث المدرع فى حرب أكتوبر ١٩٧٣ والنقيب (فاروق رزق) (الدفعة) والذى أصبح مديراً لإدارة المدرعات فيما بعد والنقيب (فاروق سعيد عبد العظيم) والذى أصبح رئيساً لهيئة التنظيم والإدارة والنقيب (الدفعة) (أحمد رأفت مصطفى طاهر) الصديق الحق والرجل دائماً بتصرفاته البطولية حتى أنه تم إقصائه واحالته للتقاعد بعد هزيمة يونيو ١٩٦٧ نتيجة قولة حق وصدق فى سبب الهزيمة ومسببها ، الملازم أول (طارق منتصر) الذى كان (سابق سنه) كما يقولون علماً وخبرة حياتية والذى كان ملحق حربى بباريس قبل وفاته منذ أعوام مضت بقليل والملازم أول (إسماعيل الفنجرى) الذى كان قوى البنية رياضى الجسم ذو شخصية وشجاعة أودت به واستشهد باليمن وهو يطل برأسه العالى من فتحة دبابة قيادته

كان هؤلاء الضباط خير زملاء وأصدقاء داخل وخارج معسكر المدرسة وكم أمضيت مع بعضهم أوقاتاً سعيدة لا تنسى

خلال تلك المدة رشحت للحصول على فرقة الوعى القومى رقم (١) بالكلية الحربية وعدت من الفرقة رافعاً لواء الامتياز أيضاً وبدأت فى العمل وتدريس مادة الوعى القومى والتوجيه المعنوى وكنت تقريباً أحفظ عن ظهر قلب أبواب الميثاق الوطنى العشرة الذى صدر وأقوم بتدريسه وتلقينه للضباط والرتب الأخرى بالمدرسة وبالفرق التعليمية وأصبحت أمتلك كمدرس جناحى الشئون الإدارية والوعى القومى.

في أواخر ١٩٦٦ تم ترشيحي مع بعض المدرسين الآخرين بالمدرسة للسفر إلى اليمن وفي الحقيقة كان هذا الترشيح ضد رغبتي لأسباب متعددة ولكنني أذعنت لتنفيذ الأوامر وأخليت طرفي من مدرسة المدرعات ، وفي مساء ذلك اليوم الذي لا أتذكره بالضبط توجهت إلى مطار ألماظة الحربي لأستقل مع باقي الضباط من مختلف الرتب والإدارات مقعدي بالطائرة D.G.6 المتجهة إلى صنعاء عاصمة اليمن السعيد والتي لم أكن سعيداً البتة أن أقوم بها تحت أي ظرف من الظروف أو سبب من الأسباب ولكنها الأوامر والتي تعودنا دائماً أن نطيعها ونلبي داعيها أياً كان (في صحرا ان كان .. أو بستان)

ولا طولنا بلح الشام ولا عنب اليمن:

(٢٠)

في اللحظة التي وطأت فيها قدماي أرض مطار الروضة بصنعاء في أرض اليمن الذي يُوصف بالسعيد وبعد أن شاهدت الجنود المصريين بدون غطاء الرأس (الطاقية) و منتعلين معظمهم لأحذية من الكاوتشوك مستخدمينها كشباشب أيقنت أن تلك القوات لا تمت للعسكرية المصرية انضباطاً وسلوكاً بأي صلة من الصلات وكان ذلك هو الانطباع الأول والذي تأكد بعد ذلك عندما دارت بي الأيام والأحداث خلال خدمتي بذلك اليمن السعيد !! لمدة عام تقريباً من نوفمبر ١٩٦٦ حينما انتهت خدمتي بمدرسة المدرعات وحتى عودتي ضمن باقي القوات المسلحة المصرية إلى أحضان الوطن الدافئة في أكتوبر ١٩٦٧ بعد حرب أيام الحرب الستة والتي بدأت في الخامس من يونيو من ذلك العام الأسود ١٩٦٧

أصطحبني مندوباً ضابطاً من مطار الروضة ذلك مستقلين لعربة جيب جاز ٦٩ مخترقين طريقاً ضيقاً مكفهراً مترباً في بعض أجزائه داخل عاصمة اليمن صنعاء ذات المباني الحجرية الملونة والتي لا يوجد بها بلكونات من أي شكل وحجم بالمرة ومن شارع ضيق إلى آخر أكثر ضيقاً كنت ألاحظ تحت كل منزل تقريباً وفي نهاية ماسورة الصرف غير الصحي بالمرة ما جادت به من أمعاء مستخدميه من الإخراج الآدمي (البراز) وكان بالطبع منظراً كريهاً من جميع النواحي .. حتى وصلت بنا العربة أخيراً إلي (بيت المدرعات) وهو المنزل أو المبني الذي يتجمع به الضباط القادمين للخدمة باليمن من ضباط سلاح المدرعات أو أولئك الموجودة مؤخرات وحداتهم بصنعاء ويتولون الإشراف عليها ، وبعد عبارات الترحيب والتشجيع التي تقال في مثل هذه المواقف تم تخصيص غرفة متواضعة الأثاث بالطبع في الدور الثالث بالمبني و رحت في نوم عميق كنت أحتاج إليه حيث أنني لم أنم ليلة طيراني السابقة تماماً بالطائرة المحظوظة التي أقلتني من القاهرة ..

مكثت بصنعاء حوالي ٣ أسابيع قبل أن يتم تعييني قائداً لكتيبة الدبابات اليمنية خلفاً للرائد (مختار قاسم جودة) الذي أخلي طرفه وعاد مرة أخرى إلي الوطن ... أما بالنسبة إلى كتيبة الدبابات اليمني تلك فقد كانت قوامها ٣١ دبابة نصف أطقم أفرادها من الجنود المصريين والنصف الآخر من اليمنيين والذين كانوا دائمي التخلف والسفر إلى أماكن تجمع عشائرهم أو ذويهم وكانت دبابات الكتيبة موزعة تقريباً كل دبابتين أو ثلاث وفي بعض الأماكن واحدة فقط على معظم محاور القتال شرق و غرب وشمال صنعاء بينما تتمركز ٧ دبابات بمنطقة (ميدى) علي الحدود الشمالية الغربية للمبني ويتواجد قائد الكتيبة عادة على السبع دبابات تلك بمنطقة (ميدى) ملحقاً على كتيبة من كتائب اللواء ١٨ مشاة الذي يحتل مواقعه في منطقة (حِرِض).

خلال تلك الأيام الأولى التي أمضيتها بدار المدرعات بصنعاء كنت بالطبع قد تعرفت أكثر وأكثر على كثير من جوانب ظروف وأسلوب وشكل العمل والتعامل مع اليمنيين وتأكدت يوماً بعد آخر أن العسكرية المصرية فى طريقها إلى ما لا يحمد عقباه بسبب التفكك الانضباطي الواضح بين الرتب والدرجات الأخرى ، كما فتحت السوق اليمنية شهية القوات المصرية فى شراء كل ما كانوا يفتقدون تواجده وتوفره بالوطن بدءاً من المواد الاستهلاكية اليومية حتى الأجهزة الكهربائية كالثلاجات والأفران والسجاجيد وغيرها وأصبح الهم الأكبر لتلك القوات الشراء والمتاجرة بعد أن كان القتال والمناصرة .. وتساءلت بينى وبين نفسي وقتئذ عن جدوى تواجد كل هذه القوات باليمن بعيداً عن مسارح عملياتها الرئيسية بالوطن وعن تلك التكاليف الباهظة التى تثقل كاهل الدولة وذلك كله دونما الحصول على نصر مبين على أعداء ثورة (السلال) من أجل اليمن وحلفاء الأمير (بدر) فى السعودية وغيرها .. ولكن لم يكن لى فى الأمر حيلة فأنا جندى أطيع الأوامر الصادرة من شخص ضابطى الأعلى أياً كان ..

كنت أقود كتيبة الدبابات اليمنى تلك والتي لم أكن ليمكننى السيطرة على أفرادها تماماً لسعة ووعورة محاور وطرق الإقتراب إليها وكنت أستعيض عن ذلك بتلقي تقارير من كل محور لا أثق فى محتوياتها تماماً لكننى لم يكن لدى إختياراً آخر وجعلت همى وواجبى الأساسي إحكام السيطرة على تلك الدبابات السبع بمنطقة رئاستى بميدى وعلى مؤخرة الكتيبة التى عينت لها ضابطاً أثق فى كفاءته وفى تقريره الشهرى

أمضيت أشهراً هادئة بمركز رئاستي كتيبة فى (ميدى) والتى تقع كمدينة على البحر الأحمر والتى يتميز أهلها بالوداعة نسبياً ، وكان هناك بالمنطقة مبانى قديمة مهجورة منزوع أبواب حجراتها وبالطبع شبابيكها أيضاً وكانت تلك المبانى يأوى إليها ليلاً خفافيشاً كبيرة الحجم كئيبة المنظر بأعداد هائلة تتدلى بأجسادها السوداء من أسقف لا إنارة لها ولا حياة ويتوسط ذلك المبنى (حوش) أقام به أحد ضباطى خيمة داخلها سرير سفري بالطبع وكان ذلك الضابط الذى نسيت اسمه للأسف شجاعاً حاصلاً على فرقة صاعقة بامتياز وحدث أن مرض وانتقلت لزيارته داخل خيمته وفوجئت بأنه كان يلضم أعداداً لا بأس بها من العقارب الصغيرة التى صادها من تحت الأرضية الخشبية أسفل سريره وكأنما يزين بها فراشه وتساعد على سرعة شفائه !!

وأتذكر أننى فى ليلة من الليالى كنت أتسلى بلعب طاولة مع ذلك الضابط على ضوء لمبة (صاروخ) لا تكاد تضئ المسافة بيننا عندما اخترق شئ ما فتحة الحجرة بسرعة كبيرة ثم اجتاز ذلك الشئ محل تواجدنا وارتطم بالحائط الذى كان يلينا فأحدث صوتاً مرتفعاً نسبياً ، وفى لحظات نهض ذلك الضابط واندفع فى الظلام نحو ذلك الحائط الذى لم يكن سوى حية (الطريشة) وقضى الأمر وانقذنا من بلاءها وربما لم أكن لأحيا حتى أذكر تلك الحادثة لكن وقانا الله ووقاكم شر المستخبى ..

(٢١)

كان عام ١٩٦٧ عاماً مليئاً بأحداث متلاحقة أليماً فى معظمها شائكاً ومحبطاً فى بعضها ليس بالنسبة لى وحدى ولا للقوات المسلحة فحسب بل للوطن كله وإن كان الأثر الأعظم والأعمق بالطبع قد شعر به كل من كان يخدم بتلك القوات أياً كان موقفه منها .. وأعنى بكل ما ذكرته حرب الأيام الستة التى كانت قد بدأت يوم ٥ يونيو ذلك اليوم الأسود فى تاريخ العسكرية المصرية ، والذى سوف أوفيه حقه من الحديث لاحقاً ..

كنت أقضى الأيام السابقة على تلك الأحداث بين مركز قيادتي بمنطقة (ميدى) أو بصنعاء قبل وبعد عودتي من أجازتي بالقاهرة لعدة أيام أقضيها في بيت المدرعات لمراجعة أحوال مؤخرة الكتيبة بمعسكر (العُرْضي) وهو المعسكر الذى يجمع بين مؤخرات الفوج المدرع اليمني وكتيبة الدبابات اليمني (كتيبتي) وبعض مؤخرات الوحدات المختلفة الأخرى (اليمنية والمطعمة بالقوات المصرية بالطبع) وكنت كذلك انتهزت فرصة تواجدى بالعاصمة (صنعاء) قبل السفر للقاهرة في شراء بعض المطالب والهدايا لعائلتي ولأقربائي وأصدقائي أسوة بباقي الضباط وان كنت اعتبر نفسي أقلهم على العموم تعاملاً مع الأسواق بصنعاء التي كانت تذخر بمعظم ما كنا نفتقده طبعاً بالأسواق المصرية في تلك السنوات (الناصرية) ، كما كنت أمضى يومين بعد وصولي لصنعاء بعد الأجازة بالقاهرة للقاء الزملاء من الضباط المقيمين ببيت المدرعات مؤقتاً لحين اتجاههم إلى محاور تواجد قياداتهم ووحداتهم أو أولئك الموجودين لمتابعة إدارة مؤخرات تلك الوحدات السالف ذكر بعضها .. أخبرهم بأحوال البلد والأهل والزملاء وأسلم البعض ما قد أكون قد أحضرته لهم من الوطن (رسائل – ملابس – مأكولات – إلخ)

كانت خيمتي ب (ميدى) مقامة على شاطئ البحر مباشرة .. وفي صباح كل يوم بعد غسيل وجهي والوضوء والصلاة والإفطار المعتاد والذى كان عادة من محتوى العلب المحفوظة (فول – عدس أسود – فاصوليا بيضاء) علاوة على ما أحضره معي من القاهرة من بقسماط وجبن رومي وغيره .. وبعد المرور على أطقم دباباتي السبعة التي أسيطر عليها ب (ميدى) ومتابعة أعمال وأحوال التدريب والصيانة وضرب النار بالعيار الصغير (المورس) توفيراً لإستهلاك الطلقات الحيّة للعمليات الحربية وللقتال الفعلي والذى لم يحدث تماماً لهدوء ذلك المحور الساحلي آنذاك .. وكنت أقضي باقي اليوم إما في التأمل وكان البحر بمده وجزره وبما يحدث به من تغيرات يومية مجالاً واسعاً لذلك التأمل الذى أسعد به ويشدّني إليه كلما خلوت إلى نفسي ، كما كان لكتابة الرسائل لزوجتي الحبيبة ولولداى آنذاك الصغيرين (شريف ومحمد) ولإخوتي وباقي أهلي وأصدقائي جزءاً من نهار كل يوم علاوة على ما كنت أكتبه من شعر غنائي ووطني إذا ما جادت القريحة بشئ يستحق الكتابة .. كما كان رفيقي الدائم ليلاً ونهاراً الراديو الترانزستور يجمعني بأخبار وأحوال الوطن علاوة على ما يذيعه من أغاني عاطفية تنقلني معها إلى آفاق الحب والشوق والحنين بما تحمله من معاني عميقة في الكلمة وأنغاماً رائعة بالألحان وأصوات تجمع بين الحلاوة والطلاوة والأصالة وصدق الإحساس والإخلاص في الأداء والتعبير ..

في صبيحة ذات يوم وكنت جالساً أتأمل البحر يمتد الجزر داخله كثيراً حتى أنه يمكن لأى فرد أن يسير لمسافة طويلة داخله دون أن يصل ارتفاع مياه البحر حتى مستوى ركبتيه وفي خلال ذلك الجزر كنت أرى الأعشاب البحرية الكثيفة والتي تشكل غابة كثيفة قزمة تجمع بين الكثير من النباتات البحرية .. وخلال ذلك التأمل لمحت طابوراً من (أبو جلمبو) يمنى الجنسية والهيئة فقد كان نحيف التكوين طويل الأرجل قادماً عن يساري ثم لمحت طابوراً آخر من نفس الفصيلة قادماً عن يميني وتقابل الطابوران تقريباً أمامي وعلى بعد أمتار من مكان جلوسي ولمحت قائد كل طابور يتحاور (طبعاً مجازاً) مع قائد الطابور الآخر ويبدو أنهما لم يتفقا على رأى واحد فشرع الاثنان بالوقوف على أرجلهما الخلفية وأخذا يتقاتلان ويتصارعان حتى صرع قائد طابور اليسار قائد طابور اليمين بعد عدة دقائق وكان لصراعهما صوتاً أجوفاً مسموعاً لي وعنئذ سار قائد الطابور الأيسر في طريقه منتشياً بنصره وتبعه أفراد طابوره والعجيب أن طابور اليمين غير اتجاهه وسار وراء طابور القائد المنتصر (هذه حقيقة وليست رواية أو تصور) ..

في إحدى الليالي وبعد أن دخلت إلى خيمتى استعداداً للنوم سمعت صوتاً لمخلوق بحرى يحاول التخلص من مأزق أو كمين وقع فيه ثم تبعته أصوات كما كان يبدو لى استغاثة لم يكن ليمكننى تلبيتها بأى حال من الأحوال وظللت ساهراً معظم الليل يزعجنى ذلك الصوت من ذلك المخلوق باعثاً داخلى رعباً إلى حد ما وقبل الفجر بقليل سكت ذلك الصوت تماماً وتوقف عن الحركة واستطعت النوم لحوالى ساعتين استيقظت بعدهما لأجد بعضاً من جنودى قد تجمعوا حول حوت صغير قذفت به الأقدار والأمواج إلى قرب الشاطئ حتى حدث الجزر فلم يستطع العودة إلى المياه العميقة مرة أخرى ونفق المسكين وسحبه الجنود بعد جهد إلى الشاطئ تماماً وأمرتهم بحفر حفرة طولية وعميقة ودفنه بها وتم ذلك رغم امتعاض البعض منهم الذين كانوا ينوون الاستفادة من جثته بأى شكل من الأشكال ورفضت بالطبع احتراماً لذكرى ذلك الحوت البائس الصغير (هذه أيضاً قصة واقعية).

من الصداقة ما أسر وكسر جيشاً وشعباً:

(٢٢)

أفلحت اسرائيل فى إثارة شهية (عبد الناصر) وطموحه فى إحياء القومية العربية ومناصرة شعوبها ضد الإمبريالية الغربية وابنتها الوحيدة الدلوعة (اسرائيل) ووجدت الأخيرة الفرصة سانحة عندما بدأت ألتحرش بسوريا ، وفى ١٥ مايو من ذلك العام ١٩٦٧ أعلن عبد الناصر المرور عبر خليج العقبة وقام بإنذارها مع حلفائها (الإنجليز – الأمريكان) وسحب قوات البوليس الدولى من قطاع غزة وأدلى بعبارات التهكم ضد الرئيس الأمريكى حينذاك (جونسون) وأصبحت المنطقة كلها فى حالة ترقب وغليان داخلى متحسبة لنشوب الحرب بين مصر واسرائيل فى أى وقت وفى ذلك الوقت كان ما يقرب من نصف القوات المصرية والأكثر إعداداً وخبرة وكفاءة تقاتل قتالاً شرساً متقطعاً بأساليب وتكتيكات مغايرة لحرب الجيوش بالصحراء المكشوفة ذات الهيئات منخفضة ومتوسطة الارتفاعات بينما القوات فى اليمن تقاتل فى مناطق جبلية وعرة للغاية ضد عدو غير نظامى ولكنه يجيد الاختباء والتخفى كما يجيد التصويب ويمتاز بخفة وسهولة الحركة فى مناطق يعرفها جيداً ويمارس حياته الدائمة بها ، كما أن تلك القوات المصرية التى كانت فى اليمن تفرغت فى أوقات كثيرة لا قتال فيها للابتياع والشراء والبيع والاتجار بكل ما يخطر على بال من أصناف الاحتياجات غير المتوفرة بالوطن (مصر) وافتقدت تلك القوات بالطبع الكثير من قواعد وأسس الانضباط والإلتزام العسكرى الواجب

استشار عبد الناصر المشير عبدالحكيم عامر نائبه والقائد العام للقوات المسلحة والذى كان بالأصل برتبة (صاغ) رائد عند قيام الثورة وقام بترقيته إلى رتبة لواء دفعة واحدة دون التدرج اللازم والواجب فى القيادة والعلم والخبرة العسكرية ثم تمت ترقيته إلى رتبة المشير وهى أعلى رتبة فى القوات المسلحة ، وكان المشير رحمه الله رجلاً طيب القلب والمعشر يحبه جميع الضباط من مختلف الرتب للمعاملة الكريمة التى يتعامل بها مع الجميع كما أنه كان صاحب (مزاج) وتزوج الفنانة (برلنتى عبد الحميد) على زوجته الأولى قريبته وأم أولاده بعد أن تزوج مدير مكتبه للشئون العامة العقيد (على شفيق) من الفنانة المطربة المعروفة والجميلة جداً أيضاً (مها صبرى) وكان يشاع نكات وحكايات كثيرة عن سهرات ومزاج المشير التى لم تكن بالطبع للدراسات العسكرية الواجبة ...

وكان المشير رحمه الله الصديق الأول والأوحد للرئيس (عبدالناصر) وموضع ثقته التامة فيما يخص القوات المسلحة واستعدادها للقتال ضد اسرائيل كما كان المشير (عامر) مسئولاً عن قطاعات مدنية كثيرة جعلته أقوى الرجال حول عبد الناصر ومن هنا وعندما دار حوار بينه وبين عبد الناصر حول استعداد القوات لقتال إسرائيل أجابه (برقبتى يا ريس) فقام الأخير بجميع الأجراءات السابق ذكرها وغيرها لاستفزاز اسرائيل للقتال وباتت الحرب وشيكة للغاية .. ولم تنتظر إسرائيل أن يبادئ عبد الناصر قتالها ففى صبيحة ذلك اليوم المشئوم (٥ يونيو ١٩٦٧) وفى حوالى الساعة التاسعة صباحاً وكنت فرغت تواً من حلاقة ذقنى داخل خيمتى ومن خلال ذلك الترانزسور إستمعت إلى بيان رقم ١ الصادر من القوات المسلحة ببدء العمليات الحربية ضد العدو الإسرائيلى وبقيام قواتنا الجوية بقصف مواقعه وحشوده وتوالت البيانات التى يذيعها المذيع الأشهر (أحمد سعيد) يعلن أخباراً عارية من الصحة تماماً من نسج خيال المسئولين بالقيادة العامة فى مصر ، وفى تلك الساعة التاسعة كان الطيران الإسرائيلى يباغت الطيارين المصريين الموجودين بالميسات يتناولون طعام الإفطار بعيدين عن طائراتهم التى تحطمها طائرات العدو علاوة على تدمير وتخريب ممرات الإقلاع والهبوط وأصبحت قواتنا البرية المحتشدة بسيناء أو تلك التى فى الأنساق التالية بلا غطاء جوى وخلال ذلك اليوم ومن بعده خمسة أيام فى الجحيم تم القضاء على معظم القوات بسيناء واحتراق مركباتها ومدافعها وجميع وسائل النقل والتموين وحوصر اللواء ١٥ مدرع والذى كان قد وصل تواً فى الليلة السابقة ليوم ٥ يونيو من اليمن إلى ميناء الأدبية بالسويس بعد انتهاء مهمته باليمن واندفع يوم ٥ يونيو داخل سيناء وعند مضيق (الجُدى) تم تدمير معظم دبابات ومركبات وأفراد ذلك اللواء بكل ما عادوا به من اليمن من مشتروات معمرة وغيرها ، كما استشهد كذلك قائد ذلك اللواء

وانتهت تلك الحرب السريعة فى ستة أيام مهينة فى حق القوات المسلحة المصرية التى لم تقاتل وجهاً لوجه والتى لم تستطع الصمود والمواجهة لأنها لم يكن فوقها غطاء جوى يمهد لها ويحميها أثناء قتالها ورغماً عن كل ذلك فلقد أبلت القوات التى كان لها حظ التعامل مع العدو لفترة صغيرة بلاءاً حسناً وكتبت لهم جميعاً الشهادة عند ربهم

احتل العدو سيناء ووصل إلى قنال السويس ولكنه لم يعبرها غرباً لاعتبارات سياسية وعسكرية وأصبحت سيناء ومدنها تحت يده تماماً ..

وتنحى (ناصر) عن الحكم وعاد عن التنحى بعد أن نزلت الجماهير إلى الشارع مطالبة بعودته وصدقت عبارة (اللى شبكنا يخلصنا) فى أغنية (حليم) (جانا الهوى) ..

وتوالت الأحداث بعد ذلك فمن القرار ٢٤٢ من مجلس الأمن الذى يقضى بوقف القتال وانسحاب القوات الإسرائيلية إلى حدود ٤ يونيو ١٩٦٧ فى كل من الأراضى المصرية وسوريا والأردن وعدم تحقيق وتنفيذ ما يخص فلسطين حتى الآن .. إلى الانتحار المشتبه فيه حتى الآن للمشير (عامر) ببيته بالجيزة إلى الإطاحة بجميع الضباط حول المشير وسجن البعض منهم إلى غيره من الأحداث المتلاحقة فى قصة درامية دامية لمصر الحبيبة ولقواتها المسلحة المظلومة ..

كنا أى القوات والقادة والضباط الموجودين باليمن فى غاية الأسى والقلق والإحباط واهتزاز الثقة بقائد الثورة (ناصر) والذى مات موتاً سياسياً بعد تلك الأيام السوداء قبل أن يموت بالفعل فى ٢٨ سبتمبر ١٩٧٠ ، ومن ناحية أخرى كنا نود أن نشارك القوات الموجودة بالوطن فى القتال حتى وان كتبت لنا الشهادة التى نرجوها دائماً وبين إحساسنا بالمهانة والنيل من أشخاصنا كلما كنا فى أجازة ميدان بعد تلك النكسة

لم نكن ندرى ما الذى يجرى بالوطن وخاصة بالنسبة للقوات المسلحة لفترة سادت بها الشائعات والتكهنات ولكن والحق يقال أن الله أراد لمصر خيراً وللقوات المسلحة أن تقوم لها قائمة بسرعة فلقد أعيد بناء القوات المسلحة بتعيين قيادات جديدة ذات كفاءة وصلاحية كما تم التركيز بالجانب المعنوى للقوات وتعيين المقدم (رشدى ابراهيم حسان) مديراً لإدارة التوجيه المعنوى والشئون العامة وهو أحد الضباط الرواد والمتمكنين ذوى حسن السمعة والانضباط العالى والفهم العميق لمعنى وغزى التوجيه المعنوى للقوات ، كما عين أصلاً اللواء (محمد فوزى) المشهور بانضباطه وحسمه وحزمه وزيراً للحربية وتم ترقيته إلى رتبة فريق ، كما عين أيضاً اللواء (عبد المنعم رياض) رئيساً لأركان حرب القوات المسلحة وهو صاحب العلم العسكرى المتقدم والشجاعة والشخصية اللائقة تماماً لهذا المنصب والذى استشهد فيما بعد أثناء تفقده للقوات فى موقع لإدارة المدافع بالإسماعيلية شرق عند المعدية رقم ٦ فى قصف متبادل مع القوات الإسرائيلية أثناء حرب الاستنزاف يوم ٩ مارس ١٩٦٩

لم تطل حيرتنا كثيراً وكان لابد من عودة القوات المصرية إلى أرض الوطن مرة أخرى انهاءاً لمهتها هناك والدخول فى معركة إعادة بناء القوات المسلحة .. وأمرت حسب تعليمات القيادة الأعلى بالتحرك جنوباً نحو(عِبْس) ومن (عِبس) إلى منطقة (وادى مور) وهو مجرى سيول عريض وعميق نسبياً حدث أن غرقت بها دبابة تماماً ولم يمكن إنقاذها أبداً فى حينه كما قيل لى من زميل ثم تحركنا فى اتجاه (الحديّدة) ولقد فوجئت أثناء تحركنا إليها ببعض الأهالى الأفارقة اليمنيين الذين يبنون أكواخ إفريقية يقيمون بها وكانت النساء عاريات الصدر تماماً يحملن أطفالهن على ظهروهن ، ولا يشعرن بأى خجل من عين غريب تنظر إليهن استغراباً لذلك المنظر غير الانسانى على أرض اليمن الذى يدين أهلهم بالإسلام وترتدى نساؤهم أردية لا تظهر منهن شيئاً أو جزءاً .. وصلنا (الحديّدة) ومنها تم تحميل الدبابات إلى صنعاء على الناقلات فوق طريق الحديّدة صنعاء وهو طريق ترى فيه الفصول الأربعة للعام اجتيازه فمن حر شديد إلى أمطار إلى سحب متناثرة تحت الطريق إلى نسيم وجو معتدل كما تصاحبك فيه أيضاً (القردة) التى تقذف بالحجارة السيارات والمركبات المارة .. أخيراً وصلنا (صنعاء) بعد أسبوع كامل وهناك تم عمل خطة للنزول وإخلاء طرفنا من الجيش اليمنى ثم طرنا عائدين إلى بلادنا الحبيبة لنبدأ مرحلة بناء جديدة لاسترداد الأرض المحتلة وإعادة الثقة بنا والشرف لنا

(٢٣)

انتهت مأمورية القوات المسلحة باليمن وابتدأت عملية إعادة بنائها بسرعة وبإصرار تام على رد اعتبار هذه القوات ومسح وإزالة آثار تلك الحرب التى انتهت فى ستة أيام عجاف وكان لى نصيب لا يذكر فى الاشتراك فى عملية إعادة البناء بشكل ما فلقد عينت قائداً للكتيبة ٢٢٦ دبابات التابعة للواء الأول مشاة ميكانيكى والتى اتخذت مواقعها بمنطقة جنوب البحيرات على الضفة الغربية لقناة السويس، وفور استلامى لأمر التعيين والخطاب الموجه لقيادة اللواء الأول مشاة ميكانيكى شرعت فى تجهيز ما يلزمنى من ملبوسات وكتب عسكرية وكافة احتياجاتى الباقية وركبت السيارة الجيب التى أرسلتها لى إدارة المدرعات لتوصيلى إلى مركز قيادة اللواء الأول مشاة ميكانيكى بمنطقة تمركزه بجنوب البحيرات ووصلت لمركز قيادة اللواء حوالى الساعة الثانية بعد الظهر بينما أسمع تبادل إطلاق النيران من نسق أول اللواء ومن رشاشات الدبابات الملحقة على الوحدات الفرعية للنسق الأول والتى كانت كلها من دبابات كتيبتى .. وقدمت نفسى لقائد اللواء الذى استقبلنى بترحاب غير مبالغ فيه بسبب استمرار الاشتباك النيرانى مع قوات العدو الرابضة فى مواقعها على حافة شرق قناة السويس

استأذنت من العقيد (محمود عمران) قائد اللواء الأول مشاة ميكانيكى وسارعت للوصول إلى موقع دبابة قائد الكتيبة ٢٢٦ دبابات الرائد (جمال حلمى) والذى تسلمت منه قيادة الكتيبة بعد أن أطلعنى على موقعها والموقف العسكرى والتكتيكى الذى يخص الكتيبة وأمضيت معه الليلة الأولى لى بموقع رئاسة الكتيبة بملجأه (قفص القرود) كما كان يطلق عليه وهو ملجأ للمبيت يقى إلى حد ما من نيران الأسلحة الخفيفة والقصف المدفعى والجوى .. وفى صبيحة اليوم التالى أخليت طرف الرائد (جمال حلمى) من رئاسة الكتيبة وأصبحت القائد الفعلى لها..

فى الأيام التالية قمت بزيارة مواقع سرايا الدبابات والتعرف على قادتها والذى أتذكر أسماء البعض منهم مثل النقيب (شريف نصر) قائد السرية الأولى والنقيب (سمير ابراهيم) قائد السرية الثانية واللذان كانا مع قائد السرية الثالثة الذى لا أتذكر إسمه ضباطاً مخلصين قائمين بوظائف أعمالهم فى تلك الظروف خير قيام بينما كان رئيس عمليات الكتيبة فى ذلك الوقت منقولاً لها من وحدة استطلاع تنقصه الخبرة اللازمة للقيام بمهام رئيس عمليات كتيبة دبابات كما يجب

تعرفت على أطقم الدبابات من الصف والجنود والذين كانوا جميعهم والحق يقال خير أجناد الأرض انضباطاً و أداءاً لمهامهم القتالية أثناء عمليات التراشق مع العدو

ظللت أعمل بإخلاص وتفانى قائداً لتلك الكتيبة وتعمقت علاقتى بالعقيد (محمود عمران) رحمه الله الذى كان يثق بى ثقة تامة

أمضيت حوالى عشرة أشهر قائداً لتلك الكتيبة ثم صدر أمر بنقلى وإلحاقى بإدارة المدرعات لحين تعيينى بموقع آخر .. بعد عدة أسابيع صدر خطاب بتعيينى لحضور الفرقة الراقية للتوجيه المعنوى رقم ١ وهذه الفرقة خصصت ليكون الحاصلون عليها موجهين سياسيين تم اختيار معظم من يحضرونها من أولئك الضباط المشهود بقدرتهم على العمل المعنوى المتميز مع الضباط والدرجات الأخرى بالوحدات المختلفة بالقوات المسلحة ، كما كان يقوم بالتدريس فيها نخبة من ألمع الأساتذة فى التاريخ العسكرى والإعلام والحرب النفسية وغيرها من المواد التى تصقل المقاتل معنوياً ونفسياً أثناء إعادة تدريبه وتأهيله للدخول فى المعركة الحاسمة المرتقبة لاسترداد الأرض.

وكنت سعيداً جداً بأن يكون لى حظ التواجد بين الضباط المختارين للحصول على تلك الفرقة التى تناسب موادها هوايتى واستعدادى الشخصى لاستيعابها وتنفيذ الواجب منها عملياً مع القوات التى أقوم بالتدريس لها أياً كانت

اجتزت الفرقة والحمد لله بامتياز كما هو منتظر واستفدت استفادة تامة بكل ما تم تدريسه لنا بها مصمماً على أن أكون أحد العلامات البارزة فى العمل المعنوى بالقوات المسلحة ..

وحتى يتم إلحاقى للعمل كرئيس قسم أو فرع توجيه معنوى بموقع ما فقد عينت للعمل كرئيس شئون إدارية باللواء ٢٢ مدرع والذى كان يقوده فى ذلك الوقت العقيد (محمد عبد العزيز قابيل) والذى يختلف قادته وزملائه ومرءوسيه فى تقييم تصرفاته وسلوكياته وصدق أسلوب معاملته مع الآخرين والذى كان قبل أن يتفرغ للدراسة والعمل العسكرى تماماً لاعباً بنادى الزمالك فى مركز الباك (المدافع الأيمن) ورغماً عن أنى قمت بعملى بكل ما أملكه من علم عسكرى وإخلاص إلا أن العقيد قابيل لم يكن ليمتدحنى أو يؤنبنى حتى جهاراً نهاراً .. وكان من طابعى دائماً المواجهة والمكاشفة وبعد أن علمت من مصدر سرى باللواء أنه لم يحرر لى تقرير سنوى عالى المستوى وواجهته بذلك فجن جنونه لمعرفتى بذلك وعرضنى على مكتب العميد حينئذ (خيرى حسين) قائد الفرقة السادسة التى يتبعها اللواء ٢٢ مدرع والذى والحق يقال أنصفنى تماماً أمام قائدى المباشر العقيد قابيل وطلب من إدارة المدرعات نقلى لإستحالة العمل مع العقيد قابيل وذلك بناءاً على طلبى الذى أقره العميد خيرى حسين رحمه الله

فور إخلاء طرفى من اللواء ٢٢ مدرع ووصولى لإدارة المدرعات استلمت خطاباً بتعيينى رئيساً للشئون المعنوية بالفرقة الرابعة المدرعة بمنطقة تمركزها ب (الجَفرة) والتى كان يقودها آنذاك العميد عبد الرحمن فهمى [١]

عن عبد الرحمن فهمى:

(٢٤)

كانت منطقة (الجَفْرة) من أسوأ المناطق بالجبهة غرب القنال وكان يذكر أمامها على الخرائط عبارة (UN HEALTHY AREA) أى منطقة غير صحية للحياة اليومية الآدمية وكانت بالفعل كذلك فحرها شديد ورطوبتها عالية وبردها قارص وخريفها كربيعها مترب .. مترب .. مترب يا ولدى

ولكن كل ذلك كان يهون أمام دفء مشاعر الزملاء والأصدقاء و خفة ظل البعض حتى مرحلة الوقوع على القفا ، وعلم لا ينضب فى شتى مجالات العلوم العسكرية والانسانية لقائد الفرقة المرحوم الغالى العزيز العميد أ . ح . عبد الرحمن فهمى (٣) ، وفى ذلك الجو المفعم بالحب والود والتآخى الذى لمسته أثناء تواجدى وعملى رئيساً لقسم الشئون المعنوية بالفرقة ..

منذ اليوم الأول الذى التقيت العميد أ . ح . عبد الرحمن فهمى قائد الفرقة الرابعة المدرعة وعرضى للتقرير الذى أعددته بعد زيارتى الميدانية السريعة لألوية الفرقة الثلاث (اللواء الثانى المدرع – اللواء الثالث المدرع – اللواء السادس مشاة ميكانيكى) علاوة على وحدات الدعم للفرقة (المدفعية – الاستطلاع – المهندسين العسكريين – الإشارة – النقطة الطبية – الشئون الإدارية .. إلخ).

---

(١) أى ثالث شخص يحمل نفس الإسم بالكامل بالقوات المسلحة حسب أقدمية الضباط بكشف ضباط الجيش.

منحنى العميد (عبد الرحمن فهمي) التصديق والموافقة على خطة عملى مع تقديم تقرير نجاح شهرى أو كلما احتاج الأمر لذلك وكنت سعيداً جداً بتلك الثقة التى منحتنى القدرة والقوة والتصميم على تحقيق الغرض المنشود (العمل على رفع المعنويات بصفة مستمرة) ويشهد الله أننى لم أبخل بوقت أو جهد فى تطبيق كل ما تعلمته أثناء فرقة التوجيه المعنوى الراقية رقم (١) باستنباط ما يسمى بعناصر التوجيه المعنوى من الجنود اللائقين القادرين على قيادة زملائهم من الناحية المعنوية وقد قامت هذه العناصر تحت إشراف ضباط التوجيه المعنوى بوحداتهم أو بوحداتهم الفرعية بعمل مشرف وخلاق ظهرت معالمه خلال عمليات قصف الطيران الإسرائيلي لمواقع بناء حائط الصواريخ المضادة للطائرات والتى كانت تقوم بالمعاونة في إقامته عناصر من الوحدات الفرعية بالفرقة وذلك خلال حرب الإستنزاف والتى أدت واجبها كاملاً واستشهد بعض من جنود الفرقة خلال قصف جوى نهارى لم يكن قد انسحب القائمين على العمل بالفرقة فى تلك المواقع بعد

كما قامت هذه العناصر (عناصر التوجيه المعنوى بالوحدات الفرعية الصغرى) بعمل المسح الكامل في عدة مناسبات للوقوف على الحالة المعنوية لباقي الجنود وظهرت العشرات من المواهب في الأدب والصحافة والشعر الوطنى بينهم عملت على مراجعتها وإرسال ما يصلح منها للنشر بمجلة النصر وجريدة القوات المسلحة

كان الجنود السوفيت موجودين كمعاونين أساسيين من أعلى حتى أدنى مستوى بالقوات وكان لهم أسلوبهم في التعامل مع القوات تختلف من خبير لآخر وذلك حسب تكوينه الشخصى ومدى فهمه واستيعابه للعلاقة مع القادة والقوات المسلحة المصرية وكان أولئك الخبراء يحتفلون عدة احتفالات تخص الجانب السوفيتي وكان أشهرها فى ذلك العام ١٩٧٠ (الاحتفال بقيام النظام الشيوعى بروسيا) وكذلك (الاحتفال بمرور ١٠٠ سنة على مولد الزعيم لينين) وكانت هذه الاحتفالات تقام قصراً بكل أفرع القوات المسلحة وبالجيوش والمناطق العسكرية والتى كان يتخللها تناول المشروبات الروحية كما هى عادتهم فى بلادهم ، وكان يسمح لنا بذلك أيضاً تعبيراً عن الصداقة المصرية السوفيتية

استدعاني المرحوم العميد (عبد الرحمن فهمى ٣) إلى مركز قيادته وكلفنى أن أستعد إستعداداً كبيراً وحافلاً احتفاءاً بذكرى المولد النبوى الشريف وطلب منى أن أقوم بالإشراف على تطبيق كل ما تعلمته ويصلح من أساليب تتناول حياة النبى محمد (عليه الصلاة والسلام) ، كما استدعى المقدم (فكرى سامى) رئيس إشارة الفرقة وطلب منه أن يستنبط أسلوباً فى الإحتفال يسمح بالترجمة الفورية المسموعة من خلال سماعات (الهلميت) (والهلميت هو غطاء رأس سائقى الدبابات) إلى اللغة الروسية لكل ما يذاع من قصائد وكلمات مدح وتعريف صفات ومآثر الرسول الكريم وخاصة وأن فى احتفال الخبراء السوفيت ذكرت مآثر الزعيم (لينين) نبى الشيوعية

وبالفعل أقيم ذلك الاحتفال الذى لا ينساه من خدم بالفرقة الرابعة المدرعة أبداً وخاصة عندما استمعوا إلى ترجمة مآثر الرسول من خلال ميكروفون الهمليت وقد ذكرنى ذلك المشهد الرائع بمشهد المجتمعين فى المجالس الدولية (الأمن – الأمم المتحدة)

في الثامن والعشرين من سبتمبر ١٩٧٠ غربت شمس ذلك الزعيم العظيم ذو الأخطاء العظيمة أيضاً (جمال عبد الناصر) ولم يكن خبر وفاته مفاجأة للشعب المصرى الذى اعتبر الكثير منهم أن (ناصر) قد مات عقب صدمة نكسة يونيو ١٩٦٧ .. وانتابت البلاد والناس فيها حالة من الاحباط بل ومن اليأس أيضاً فلم يكن النظام الذى تركه ناصر بعده محبوباً من الشعب ، بل والحق يقال أن أفراد النظام كانوا مكروهين إلى حد كبير .. ولم يكن أحداً لينتظر أن يفعل ذلك الرجل الماهر الماكر الداهية (أنور السادات) بفعلته العظيمة والتى أقصى فيها كل مراكز القوى دفعة واحدة (بضربة كانت من معلم) حقاً ، وهنا تنفس الوطن الصعداء إلا القليل من أذناب ذلك العصر والمنتفعين منه والذين انتهت سطوتهم وخبت صوتهم وذابوا مع حركة التقدم للمستقبل تحت قيادة ذلك الفلاح الفالح المنوفى الصالح الزعيم الناجح الكاسح للآلام ومحقق الأحلام (أنور السادات)

(٢٥)

حتى منتصف ١٩٧١ أمضيت أياماً كثيرة بين الألم والأمل وكانت تلك الأيام إبان حرب الإستنزاف التى قادتها وأبلت فيها قواتنا المسلحة شجاعة كبيرة وصبر إيمانى أصيل وكبدت قوات العدو خلالها خسائر كبيرة في الأفراد والمعدات وفي كسر خطوط استحكاماته ومواصلاته وبينما كان يعيد العدو بناء تلك الخطوط كانت القوات المصرية تبني حائط الصواريخ دفاعاً عن القوات المرابضة ضد طيران العدو وإعداداً للمعاونة عندما تقوم القوات المسلحة المصرية باستعادة شرفها المسلوب فى حرب الستة أيام وكان يبنى ويقام ذلك الحائط في سرية وخفاء ليلاً بواسطة مهندسى ومعدات شركة المقاولون العرب علاوة على المعدات المتوفرة من القوات المسلحة وكان عمال المقاولون العرب يقومون بأعمال البناء والتجهيز نهاراً بينما كانت أطقم كاملة من جنود وحدات الفرقة الرابعة المدرعة تحت إشراف قادتهم يستكملون أعمال صعايدة مصر الجدعان ليلاً وتحت جُنح الظلام بهمة ونشاط وبالسرعة الواجبة وأكثر لكى تصبح تلك الحوائط جاهزة لاستقبال أطقم الدفاع الجوى بصواريخهم القادرة على إسقاط طائرات العدو التى تعبث بأجواء مواقع القوات غرب القنال وكنت مكلفاً من قائد الفرقة المرحوم العميد (عبدالرحمن فهمي) أن أصاحب وأتابع أعمال الحفر والبناء تلك التى يقوم بها أفراد من وحدات الفرقة ، ويحضرني هنا أن أذكر بكل الخير المقدم (محمود الإتربى) قائد كتيبة دبابات باللواء الثالث المدرع أنه كان يحمل على كتفيه (مقاطف) مملوءة بالرمال طيلة ليلة عمل كاملة وذلك تحفيزاً لجنوده وإعطاءهم المثل الأعلى وبالفعل فقد حققت كتيبته المطلوب منها فى هذه المهمة بسرعة تامة وبأداء رجولى لأفرادها

اعتاد الطيران الإسرائيلى أن يهاجم نهاراً القوات الرابضة قرب القنال ، ولكنه كثف غاراته النهارية عندما بدأنا في إقامة حائط الصواريخ ذلك والذى يقع فى غالبه خلف قوات النسق الأول (فرق المشاة المحتلة لمواقعها على خط القنال الغربى مباشرة وبعمق بسيط) وفى أحد الأيام تلك شاهدت من موقعى بالفرقة الرابعة المدرعة (نسق ثان الجيش الثالث الميدانى) طائرات العدو تهاجم مواقع حوائط الصواريخ التى تبعد شرقاً عن موقع تمركز الفرقة الرابعة بعدة كيلومترات وأمطرتها بوابل من قنابلها وصواريخها وظهرت تلك السحابات السوداء الكريهة المحمّلة بتوقعات أليمة لما حدث لكل من وما بتلك المواقع وتوقعت أن يكون هناك إصابات أو أضرار مادية كبيرة بموقع تنفيذ الغارة ، ولم تطل حيرتى فى الإجابة على تلك الاحتمالات سوى بضع دقائق رن بعدها جرس التليفون الميدانى بموقع إقامتى

وكان الطالب على الطرف الآخر العميد (لواء فيما بعد) عبد الرحمن فهمى قائد الفرقة الذى طلب منى مصاحبته للمرور على الموقع الموقر بفعل طيران العدو في غارة ذلك الصباح الكئيب واتجهت معه بالفعل حتى قرب تلك المواقع والحوائط المهدمة والمعدات المدمرة وبقايا الجثث المتفحمة والأطراف والرءوس المتناثرة فى كل مكان وكان مشهداً أعجز عن وصفه لبشاعته فقد كانت رائحة اللحم المشوى تزكم الأنوف ومشهد النسور والصقور وطيور أخرى قد تجمعت حول الأحشاء التي خارج أجسادها وغير ذلك مما يبعث فى النفس مشاعر متضاربة بين اليأس في عدم تواجد غطاء جوى حتى ذلك الوقت يحمى القوات الأرضية وبين زيادة الإصرار على الانتهاء من بناء تلك الحوائط لتكون الصواريخ الرابضة بداخلها رادعاً لذلك الطيران الغاشم وانصرفنا من الموقع بعد أن قام قائد الفرقة وأنا معه بمحاولات حساب عدد الشهداء بالموقع بالتقريب وكانت تلك اللحظات من أسوأ ما مر عليه طيلة حياتى ، وفى طريق العودة طلب منى قائد الفرقة أن نعرج على المستشفى الميدانى ليطمئن على أحوال جرحى تلك الغارة وهالنى فى خيمة الاستقبال بذلك المستشفى الميدانى أن رأيت جسداً متفحماً بالكامل يحمل فوقه رأساً ووجهاً لا اكاد أرى منه شيئاً ، وعندما علم ذلك الجندى (النابلمى) أن قائد الفرقة موجود بالخيمة بادره بصوت خافت للغاية ولكنه كان كالطبل فى آذاننا عندما قال (فين الطيران يا افندم .. هوة مكتوب على أبويا يموت في حرب ٤٨ واخويا فى ٦٧ وانا هنا حرام عليكم والله ..) ثم سكت للحظات وسمعته يقرأ الشهادة ويودّع الحياة ساخطاً عليها بل وعلينا أيضاً

عدنا والأسى يملأ قلبينا (قائد الفرقة وانا) لا حول لنا ولا قوة غير قوة الصبر والإيمان والإعداد لحرب قادمة لا محالة لاسترداد الأراضى والكرامة

مضت أيامى بالفرقة الرابعة سريعة بحلوها ومرها أمضيتها في المراجعة على وحدات الفرقة واجراء الزيارات الميدانية والتتميم على تمام تنفيذ المهام المعنوية التى أكلف بها العناصر النشطة للتوجيه المعنوى وفى إقامة المسابقات بين الوحدات لاكتشاف المواهب الفكرية واختيار العناصر التى تصلح للعمل المعنوى بين القوات ، وأزعم أننى قد نجحت فى ذلك الإتجاه نجاحاً كبيراً وكان يشرف ويتابع العمل المعنوى بالفرقة قائدها يعاونه فى ذلك الخبير السوڤيتى بالجيش الثالث والمنوط به العمل المعنوى بها والذى كنت على غير وفاق معه فى كثير من الأمور بينما كان يؤيدنى قائد الفرقة فى معظم وجهات النظر التى أعرضها عليه والتى كانت مخالفة تماماً لتلك التى يطلب تنفيذها الخبير السوڤيتى وكل ذلك باختصار يرجع إلى أن العمل المعنوى بالاتحاد السوڤيتى هو عمل سياسى يتبع الحزب الشيوعى كلية بينما العمل المعنوى بقواتنا المسلحة عمل أخلاقى اجتماعى يؤمن بالدين لا بستالين أو لينين

كان رئيس أركان الفرقة فى ذلك الوقت هو العميد (لواء فيما بعد) فؤاد حلمى السماع وهو ضابط حاد الذكاء والطبع صاحب قرار سريع وقاطع محبوب من مرءوسيه وكان يمثل المعادلة الصحيحة فى قيادة الفرقة مع قائدها اللواء (عبد الرحمن فهمى) الذى لم يكن يصدر قراراً إلا بعد الفحص والتمحيص والتدقيق ، وبينما كان العميد (فؤاد السماع) رجلاً رياضياً يهوى الصيد وغيره كان (عبد الرحمن فهمى) رجلاً عالماً يجمع داخل جمجمته تلك معلومات لا حصر لها سواء فى العلم العسكرى أو العلوم المدنية الأخرى ، فقد كان كثيراً ما يجمعنا حوله (نخبة من ضباط قيادة الفرقة) يغنينا بدرر علمه الوافر وثقافته العظيمة النادرة وكان رحمه الله زاهداً فى هذه الدنيا لا يهتم مثلاً (بتقييف) أوڤروله الجديد أو دهان حذائه الميرى الجديد أيضاً

كما كان لا يهتم بتناول وجباته مع الضباط بالميس لأنه لم يكن ليهتم كثيراً بكمية أو نوع الأكل المقدم فقد كان رحمه الله (زاهداً للنخاع عالماً للسماء)

رقّى العميد (عبد الرحمن فهمى) إلى رتبة اللواء وعين رئيساً لأركان الجيش الثانى الميدانى بينما تعين العميد أ . ح . (فؤاد حلمى السماع) قائداً للفرقة الرابعة المدرعة بعد أن كان رئيساً لأركانها

كتبت قصيدة فى وداع اللواء عبد الرحمن فهمي من أجمل ما كتبت وكانت تعبيراً صادقاً عن حبى له وتعلقى به لاكتشافى حقيقة جوهره الثمين (الطيبين للطيبين) أيضاً فى ذلك العام صدر لى أول ديوان بعنوان (يوميات مستجد فى الميدان) بمعرفة إدارة التوجيه المعنوى وهو ديوان يحمل مشاعر جندى مستجد فى أيامه الأولى والذى يخدم بجبهة القتال مع وحدتى الرابضة غرب القنال ، مع قصائد أخرى فى حب مصر

كما كانت مجلة النصر تنشر لى شهرياً زجلاً فى موضوع سياسى أو عسكرى ولكن لكل ذلك أحاديث عندما أتناول الجزء الخاص (بالقلم) فى مذكراتى هذه (بين السيف والقلم)

رب ضارة نافعة:

(٢٦)

لقد بدأت علاقتى فى الخدمة بإدارة التوجيه المعنوى ومن بعدها إدارة الشئون المعنوية منذ أن صدر أمر انتدابى لتلك الإدارة عام ١٩٦٩ عندما عينت رئيساً لقسم الشئون المعنوية بالفرقة الرابعة المدرعة والتى قدمت فيها ولأفرادها جميعاً ضباطاً ودرجات أخرى كل ما أعرفه وتعلمته من علم عسكرى يختص بالجانب المعنوى نظرياً وعملياً حسبما تلقيته أثناء تواجدى بفرقة التوجيه المعنوى رقم (١) كما ذكرت ولقد شعرت بمشاعر متضاربة من الرضا والرفض عندما وصلنى أمر انتدابى للعمل كرئيس لفرع التوجيه المعنوى بمنطقة البحر الحمر العسكرية فى صيف ١٩٧١ فلقد كنت قانعاً بعملى المثمر بين رؤسائى وزملائى من ضباط المدرعات من جهة وبين إحساسى بأننى أنجزت إنجازاً متميزاً مع وحدات الفرقة الرابعة المدرعة ، ولما كان خطاب نقلى وتعيينى بمنطقة البحر الأحمر العسكرية بمثابة مكافأة لي وترقية تسمح لى بالعمل على نطاق أوسع مع قوات تفوق عدداً وتنوعاً الفرقة الرابعة إلا أننى كنت أتمنى بينى وبين نفسى أن أعين رئيساً لفرع التوجيه المعنوى بالجيش الثالث الميدانى الذى تشكل الفرقة الرابعة المدرعة إحدى فرقه الثلاث (الثانية والسادسة مشاة) ، ولكننى لما كنت على علاقة غير طيبة مع المستشار السوفيتى للتوجيه المعنوى لقائد الجيش الثالث فلقد آثرت إدارة التوجيه المعنوى أن تبعد (سعيد عن سعيدة) إتقاءاً لأى أسباب قد تفسد العلاقات بين القيادة العامة المصرية وتلك السوفيتية .. وتفهمت الوضع وقبلته على مضض عندما صارحنى به العقيد (فى ذلك الوقت) رشدى حسان نائب مدير إدارة التوجيه المعنوى والذى كانت تربطنى به علاقة قوية من خلال تلمسه لقدراتى الخلاقة في العمل المعنوى أثناء حضورى فرقة الوعى القومى رقم (١) والفرقة الراقية للتوجيه المعنوى رقم (١).

أخليت طرفي من قيادة الفرقة الرابعة المدرعة بعد احتفال كريم بسيط أقيم لي بهذه المناسبة التى لم تكن سعيدة أبداً على قلبى بينما التمنيات القلبية لى من الزملاء والأصدقاء ومن قائد الفرقة حينذاك العميد أ . ح . (فؤاد السماع) وقدمت نفسى إلى إدارة الشئون المعنوية واستلمت خطاب تعييني رئيساً لفرع التوجيه المعنوى بمنطقة البحر الأحمر العسكرية ومع الخطاب تسلمت استمارة السفر ومع تلك الخطابات تسلمت التمنيات القلبية لى بخدمة سعيدة وأداء متميز مع وحدات المنطقة والتى تمتد من منطقة (الزعفرانة) شمالاً حتى (راس بيناس) جنوباً ، وغرباً إلى ما يسمي بواحة (قنا) وهي أكبر مساحة على الأرض تحتلها أى عناصر أو قوات على الأرض بين قواتنا المسلحة

فى ذلك اليوم مساءاً ركبت قطار النوم المتجه إلى مدينة (قنا) كأول مرحلة من مراحل وصولي (الغردقة) حيث تقع قيادة المنطقة التى يقودها اللواء (سعد الدين الشاذلى) ذلك القائد والضابط المشهود له بالشجاعة والإقدام والجسارة والمهارة في قيادة جنوده والذى كان قد عين قائداً لتلك المنطقة بعد حادث الاستيلاء على أحد الرادارات بموقع شبه منعزل بالمنطقة لثقة القيادة في قدراتهم على القيادة والسيطرة على القوات تحت قيادته ، وقضيت ليلة مؤرقة بذلك القطار الذى يبعث على الكوابيس لا على النوم راجياً من الله أن يستطيع الوصول بمن فيه سالمين إلى (قنا) التي وصلتها أخيراً والحمد لله غير مستريح بالمرة لما سوف يحدث لي بباقي رحلة الذهاب تلك .. وفي (قنا) وما أدراك ما حر (قنا) بل و(قنا) ذاتها فى ذلك الوقت من العام حالة وطقساً

ركبت الأتوبيس (قطاع عام) المتجه إلى (سفاجة) على البحر الأحمر وأخيراً بعد ظهر ذلك اليوم وصل ذلك الأتوبيس بشخصنا الساخط المحبط نسبياً إلى (العُرْضى) بمدينة الغردقة و (العُرْضى) تلك هى أحد أحياء (الغردقة) التى ينتهى عندها رحلة الاتوبيس القادم يومياً من (قنا)

وجدت فى انتظارى ضابط برتبة الملازم أول من فرع توجيه معنوى المنطقة جاء ليصحبني إلى مكان إقامتى وبعد التعارف والتحية والذى منه أقلتنا سيارة والمخصصة لى كرئيس فرع التوجيه المعنوى إلى مقر إقامتى (الاستراحة) بمركز ١٤ كما كان يسمي .. فوجئت بوقوف السيارة أمام مبنى فخم في منطقة جميلة ذات أشجار باسقة وسور خشبي صغير يحيط بحديقة مزهرة ، ولم أكن لأصدق أن ذلك المكان مخصص للعبد لله ولا حتى لقائد المنطقة ذاته .. وبعد وضع وترتيب حاجياتي بذلك الدولاب الصاج الكبير واحتسائى لكوب من الشاى كنت أحتاج إليه قدر احتياجى لمن يفسر لى ذلك اللغز (أين ومن أنا بحق السماء ؟) فبعد أن تعودت على الإقامة بالخنادق وملاجئ الإعاشة و (قفص القرود) كما كانوا يطلقون عليه تعبث الفئران الجبلية عبثاً به وبمحتوياته ، أتخيل إقامتي في تلك الاستراحة (٥ نجوم) فوق الأرض لا تحتها أتحرك فيها بحرية وراحة تامة .. (ياما انت كريم يا رب) قلتها عشرات المرات وأنا لا أصدق نفسي أنه كان ينتظرني فرج كبير وراحة عظيمة بعد رحلة ذلك القطار اللعين والأتوبيس (المخلّع) بل وبعد رحلة عدة سنوات قضيتها تحت الأرض ولم أكن ميتاً أو من عمال المناجم لكن هكذا شاءت الأقدار.

(٢٧)

رحت فى نوم عميق في ذلك المبنى الأنيق قياساً بكل المباني المتناثرة حوله بعد أن أكرمني زملائى بالمركز وهو المركز الذى يجمع معظم الأفرع الفنية والإدارية علاوة على فرع التدريب والذى يرأسه العقيد (عادل نجيب) .. بإهدائى عشاءاً فاخراً من (الإستاكوزا) التي لم أكن قد تذوقتها في حياتي من قبل وهى تحية واجبة لكل ضابط ينضم إلى قيادة المنطقة .. كان طبق (الإستاكوزا) ذلك له مفعول السحر في تنشيط كل حواسى وأعضائى حتى أننى ظللت ساهراً لوقت غير قليل قبل أن تبرد نار الشوق يا حبيبى واستسلم لذلك النوم العميق ..

أيقظنى الجندى المسئول عن خدمتى (أحمد مصطفى) بدقات منضبطة استيقظت على أثرها ليقدم لي فوطة الوجه أمام حوض الحمام وليسألني بلهجته الصعيدية المحببة عن عدد قطع السكر بالشاى وهل أريد احتساؤه قبل أو بعد الفطار الذى أحضره لي من ميس (السقالة) والسقالة تلك هى ميناء الغردقة الذى ترسو به القطع الحربية البحرية وكذلك سفن الصيد المحلية

علاوة على مبنى ميس ومطبخ الضباط والذى لم يكن يخلو من الذباب الذى يهاجم رواد الميس رغماً عن توزيع (مزبّة) لقتل الذباب أمر اللواء (سعد الشاذلى) قائد المنطقة بتوزيعها على الضباط لمحاربة الذباب الذى كان يعشق جو وسكان الغردقة عشقاً للممات .. أنهيت الحوار مع مراسلتى (أحمد مصطفى) بخصوص الفطار والذى أصبح روتيناً شبه يومى حتى يوم تسليمه مِخْلته بانتهاء تجنيده وتسريحه على الاحتياط

ذهبت لاستلام مهام عملى رئيساً لفرع التوجيه المعنوى بالمنطقة بعد أن حدد لى اللواء (سعد الشاذلى) موعداً للقائه بعد أسبوع بالمركز ١٦ وهو مركز قيادته الميدانى والذى لم يبرحه حتى ترقيته وتعيينه رئيساً لأركان القوات المسلحة فيما بعد

انتقلت خلال ذلك الأسبوع بإعداد التقرير المبنى على المعلومات التى حصلت عليها عن وحدات وعناصر المنطقة من المصدرين إما بالزيارة الميدانية للوحدات القريبة من قيادة المنطقة أو بالإتصال الهاتفي .. أعددت التقرير وتهيأت للمقابلة الأولى مع قائد المنطقة اللواء (سعد الدين الشاذلي) لأول مرة ، وهالنى أننى وجدته مرتدياً للزى الميدانى بالكامل (الخوذة – الطبنجة – الزمزمية) فوق الأفرول البسيط والذى كان يقف خلف مكتب ميدانى صغير (واحد درج) فى ملجأ القيادة المحصن تحصيناً واجباً ضد القصف الجوى المعادى .. أديت له التحية العسكرية الواجبة وقدمت نفسى وفى يدى تقريرى الذى بدأت فى تلاوته أمامه ، ولما كان التقرير مفصلاً ودقيقاً وسوف أستغرق بعض الوقت حتى أنتهى منه فلقد تجرأت وطلبت منه الجلوس على الكرسى الوحيد بمكتبه فنظر إلى رحمه الله نظرة عميقة متفحصة وطلب من الجندى القائم بالحراسة له بإحضار كرسى ميدانى لى وبعد أن جلس أمرنى بلهجة حانية بالجلوس لأستكمل عرض ذلك التقرير الذى شعر اللواء (سعد الدين الشاذلى) بواقعيته وشفافيته والذى كان هو أول أسباب الثقة فى ذلك المقدم والوافد الجديد إلى قيادة منطقة البحر الأحمر العسكرية

كانت تمتد منطقة البحر الأحمر فى ذلك الوقت أكثر من ١٠٠٠ كم على طول الساحل الغربى ، تحدها شمالاً حدود الجيش الثالث الميدانى وجنوباً المنطقة الجنوبية العسكرية وتمتد غرباً حتى منطقة وادى قنا وكان أسلوب القيادة والسيطرة على وحدات وعناصر المنطقة يختلف عن تلك المتبعة فى الجيوش الميدانية والمناطق العسكرية الأخرى للإتساع الكبير ولإختلاف طبوغرافية المنطقة لوعورة طرق الإقتراب بها ولصعوبة بل ولاستحالة التعاون الأرضى والنيرانى بين تلك الوحدات والعناصر ولذا فقد قسمت المنطقة إلى قطاعات يضم كل قطاع مساحة من الأرض والقوات و أنا وأيضاً يكون مسئولاً عن الدفاع عنه ضد إغارات العدو الجوية والأرضية ولما كانت وسائل الدفاع الجوى ضعيفة وقليلة فى ذلك الوقت فلقد حدث أن تم مهاجمة موقع منعزل لرادار والإستيلاء عليه قبل أن تتمكن القوة المنوط بها إغاثة الموقع الوصول إليه وتم محاكمة الضباط المقصرين فى حينه ، وحدث أيضاً أن تم مهاجمة جزيرة (شدوان) التى تقع أمام الغردقة بعدة اميال بحرية ولكن القوات المحددة التى كانت بها أبلت بلاءاً حسناً ودافعت عن الجزيرة حتى تم إنسحاب القوات الإسرائيلية منها ولقد كان لى حظ التعبير عن ملحمة شدوان تلك فى قصيدة نشرتها فى حينه بمجلة النصر عن الشهيد البطل المجند (محمد أحمد الدالى) عامل اللاسلكى بالموقع والذى استشهد وهو يخفى ويحتضن جهازه (سلاحه ..) وكان أسلوب العمل الأمثل الذى ارتأيته بعد أن أخذت موافقة اللواء (سعد الين الشاذلى) أن تكون لى خطة عمل شهرية تنقسم إلى جزء بالفرع والآخر ميدانى مع القوات بالمحاور المختلفة للمرور والمتابعة والمراجعة ثم أعمال التفتيش الدورى والمفاجئ ، وكان يعاوننى بالفرع ضباط متخصصين فى التوجيه المعنوى وعلم النفس العام والعسكرى من الضباط الجامعيين علاوة على خريجى الكلية الحربية الحاصلين على التأهيل اللازم والقدرة على العمل فى ذلك المجال أذكر منهم على سبيل المثال النقيب (حينئذ) مهيب أبو حديد .. وكان زملائى فى باقى أفرع قيادة المنطقة من أرجل الرجال وأوفى الأصدقاء والزملاء أذكر منهم اللواء (على المعاش حالياً) فايق الجوهرى صديقى وزميلى منذ دخولنا المدرسة الثانوية العسكرية ، واللواء (على المعاش حالياً) أبو بكر كحيل ، اللواء (بالمعاش حالياً) محمد نبيه السيد والمقدم (آنذاك) يسرى طربوش لاعب الكرة المشهور بالنادى الإسماعيلى وغيرهم ممن لا تحتفظ بهم الذاكرة للأسف.

(٢٨)

عشت أجمل عامين خلال خدمتى بالقوات المسلحة وأنا أعمل رئيساً لفرع التوجيه المعنوى بمنطقة البحر الأحمر العسكرية متمركزاً أساساً بمدينة (الغردقة) يمتد نشاطى فى العمل حتى منطقة (الزعفرانة) شمالاً وحتى ميناء (برنيس) جنوباً وغرباً إلى منطقة (وادى قنا) أتابع تنفيذ خطتى الشهرية مع قادة الوحدات الفرعية والضباط المسئولين عن العمل المعنوى بها وكانت أياماً ذاخرة علاوة على ذلك بالسياحة والسباحة والصيد والاستمتاع بتلك المناظر الطبيعية الرائعة الصحراوى منها والجبلى علاوة على البحر الأحمر ذاته بسكونه وهياجه النسبى وألوانه المبهرة التى أبدعها الخالق الأعظم فى أسماكه وأحيائه المائية وتباين ألوان المياه بين الفيروزى الفاتح إلى الأزرق القاتم فى تناسق وتشكيل يقف الإنسان أمامه عاجزاً عن الاستيعاب أو الوصف وبين جو معتدل معظم أيام العام مع نسبة رطوبة محتملة ، وليالى قمرية خلابّة وسط سماء تعج بالنجوم المتلألئة الساطعة التى يمكن للناظر العادى أن يحاول احصاءها وللشاعر أن يستلهم منها أشعاراً وأغان صادقة الإحساس فريدة التعبير ، وهذا ما حدث مع العبد لله ولكنها قصص أخرى تذكر فى الجزء الثانى من الذكريات (بين السيف والقلم)

موضوعنا الأساسى كان نهار العمل بالمنطقة يبعث على تجديد الخلايا الشبابية بينما تبعث لياليها على السهر البرئ فى بعضها عند بعض الأفراد

كان هناك مدنيون يقيمون بمدينة الغردقة التى أتواجد بها أياماً كثيرة إذا لم أكن أنفذ خطة مرور ومتابعة على المحاور المختلفة وكان يرأس مجلس المدينة رجلاً من أكرم الرجال وأقربهم إلى قلبى خلال فترة خدمتى بالمنطقة كان هذا الرجل رحمه الله اسمه (أحمد أنيس دياب) وكان قبل أن يعمل بالحكم المحلى ضابطاً بالياوران برتبة الرائد وكان بهى الطلعة وسيماً وكان قبل ذلك ضابطاً بسلاح المدرعات وتخرج عام ١٩٤٨ ذلك العام الذى تخرج فيه (شمس بدران) والذى صعد ولمع نجمه حتى صار وزيراً للحربية وبعد نكسة ١٩٦٧ والذى صعد ولمع معه معظم ضباط دفعته بالطبع ثم خبا نجمهم فيما بعد . بعد أن تولى الفريق (محمد فوزى) وزارة الحربية لإعادة بناء القوات المسلحة وطرد وسجن معظم ضباط تلك الدفعة ، وكان من حظ (أحمد أنيس دياب) أن كان يعمل بالإدارة المحلية وعين رئيساً لمجلس إدارة المدينة تحت قيادة اللواء (سليمان مظهر) محافظ البحر الأحمر

وكان من حظى الجميل أن خصص لى اللواء (سعد الشاذلى) استراحة لأقيم وأعمل منها كما قلت سابقاً وكان موقع الاستراحة يتوسط المواقع الثلاثة للقيادة السيطرة ١٤ ، ١٥ ، ١٦ كما كان قريباً من ميناء الغردقة حيث تتواجد القطع البحرية المخصصة للدفاع عن الميناء ، كما كان قريب أيضاً من مطار الغردقة والذى لم أقلع منه إلا مرة واحدة إلى قطاع (وادى قنا) فى مأمورية تفتيشية وكان متاحاً لنا بالطبع الأتصال بالمدنيين فى عمليات الشراء (الأسواق المحلية)

مع المرحوم (أنيس دياب) رئيس المدينة والذى كان يقيم فى استراحة المجلس المخصصة له وهى عبارة عن فيلا من دور واحد (أرضى) متسعة تشتمل على أربعة غرف وحمام ومطبخ كبيرين وحديقة خلفية ، فى تلك الفيلا سهرنا ليال كثيرة نخبة ممتازة وبعدد لا يزيد عن الأربعة أو الخمسة أتذكر منهم المقدم (حينئذ) أبو بكر كحيل والرائد (آنذاك) يسرى طربوش وضابط آخر لا أتذكر إسمه والعبد لله مدعوين على عشاء فاخر يقيمه لنا (أنيس بك) كما كنا نطلق عليه يطهيه لنا طباخه الماهر جداً والمكون عادة طبعاً من الأسماك مختلفة الأنواع والمذاق مع (الكالمارى) المحشو بالأرز عوضاً عن الباذنجان الأبيض أوالأسود بل والألذ ، وأما طواجن الحمام المحشو بالأرز أو الفريك والوارد لنا من قنا بعد انتقائه كثير اللحم قليل الدهن وكان يصاحبنا فى رحلة العشاء الفاخرة تلك أكواب من النبيذ المعتق أو كؤوساً من الويسكى بلاك والتى كنا نحرص جميعنا على عدم احتساء أكثر من كأسين من النوعين حتى نعود إلى مواقعنا بلا تمايل أو تخايل

وكنا نتسلى فى تلك الأمسيات بلعب الطاولة أو (الكومى) (مُرابعة) بلا رهان أو مقامرة بالطبع

كانت جبهة منطقة البحر الأحمر هادئة نسبياً فيما عدا حادثتى جزيرة (شدوان) وحادث خطف (الرادار) والحق يقال أنه بعد تولى اللواء (سعد الشاذلى) قيادة المنطقة لم يحاول الإسرائيليون القيام بعمليات الإغارة تلك التى قاموا بها مرتين سابقاً

عندما وصلت للمنطقة فى ليلتى الأولى سألت بالطبع عن (الاستاكوزا) التى كنا نسمع عنها فى الكتب وأرسل لى المقدم (حينئذ) عادل نجيب الصحن إياه الذى فعل بى ما فعل ليلتها ، وبالطبع طلب منى حتى الأقرباء والأحباء والأصدقاء أن اهاديهم ببعضها عندما أنزل أجازتى كل ٣٦ يوم وبتوثق علاقتى بقائد وضباط (مرسى علم) أصبحت ترد لى كراتين (الإستاكوزا) تلك بأحجام كبيرة وبوفرة دائماً مما دفعنى إلى تلبية الجميع منتظراً دعاءهم لى ولكن لم يحدث (يبدو أنها كانت مضروبة !!)

كان سعر كيلو السمك فى الأسواق ما بين ٦ ، ٨ قروش وذلك حسب النوع والجودة ولكننى كمعظم الضباط الزملاء كنا نتفق مع صائد أسماك ماهر يعمل بمجلس المدينة إسمه (محمد الحراجى) على أن نصحبه معنا فى أوقات فراغنا إلى أماكن يختارها هو للصيد وننتظره على الشاطئ حوالى ساعتين أو ثلاث يخرج بعدها من البحر محملاً بما تمكن من صيده من أنواع مختلفة من الأسماك منها (الفارس والناجل والرباج وغيرها مما لا تسعفنى الذاكرة به) وكنت أملأ بها فريزر الثلاجة بالاستراحة وقد أستعين بثلاجة (ميس) الضباط لتخزين الباقى حتى إرساله مع زميل قائم بأجازة قريباً

كان فندق (شيراتون) قائماً مهدماً زجاجه مسروقاً ومنهوباً معظم صنابيره و أدواته الصحية مخلوعاً أبوابه فلقد هاجمه من هاجمه من سامحهم الله وأصبح منظره يصعب على الكافر وكان مربوطاً به لنش مخصص للواء ١١٩ مشاة كان بعضنا يستعيره للتنزه والصيد بطريقة (التسقيط) وعلى فكرة الصيد يتم بثلاث أشكال إمّا بطريقة التسقيط بأن تسقط خيطك محملاً بالسنارة والطعم بالمياه العميقة نسبياً أو طريقة (الجر) وهى أن يقوم الصياد بتنزيل خيطه الطويل محملاً بالطعم (مختلف الأنواع والأحجام) وذلك أثناء إبحار المركب أما الطريقة الثالثة فاسمها (التوشيح) وهى أن يقف الصياد على الشاطئ ويلقى بخيطه بكل قوة ذراعه إلى أبعد مدى داخل البحر وفى جميع الأحوال (ربك كريم رزاق)

زرت جزيرة (شدوان) ضمن زياراتى الميدانية وهى جزيرة صخرية قاحلة منعزلة إلى حد ما وكانت المياه حول الجزيرة شفافة اللون لدرجة أنه كان يمكن صيد الأسماك التى نراها بالعين المجردة

زرت أيضاً مبنى الأحياء المائية بالغردقة والذى كان عامراً بالأنواع الغريبة من الأسماك مثل (الكاريوكا) وهى فعلاً سمكة راقصة و (عروسة البحر) التى كانت قبيحة المنظر لا تستأهل هذا الإسم الجميل وأنواع من سمك القرش المفترس وغيره ، وقمنا مرة برحلة بحرية فى لنش حربى ولأول مرة أرى أعداداً من (الدرافيل) تسبح حول المركب فى سعادة وتصحبنا معظم الرحلة ..

فى أحد المرات التى قمت بالمرور والمراجعة الواجبة على القوات (بمرسى علم) وفى الاستراحة التى أخبرت أنها كانت استراحة صيد للملك فاروق تم اصطياد غزال وقام بطهيه طباخ قيل لنا أنه أحد طباخين الملك وحقيقة لم استسغ لحم الغزال تماماً لقوة عضلاته وربما لتقدمه فى العمر وتذكرت ساعتها أغنية (كعب الغزال يا متحنّى بدم الغزال) لحسين السيد ومنير مراد ومحمد رشدى

نمت ليلة فى (قنا) لمأمورية عاجلة (اللهم قِنا حر قِنا وشر ليلة أيامها فى قِنا)

فى إبريل ١٩٧٢ رقيت إلى رتبة العقيد ، ورحل اللواء سعد الدين الشاذلى ليتولى منصب رئيس أركان حرب القوات المسلحة وتولى اللواء محمد محي الدين ابراهيم قيادة المنطقة ومعها صدر أمر نقلى إلى مدرسة الشئون المعنية بألماظه بعد أن أمضيت تقريباً أجمل عامين بها وأسعد مرحلة من مراحل خدمتى بالقوات المسلحة (يأتيك الخير حسب لا تنتظر أو تحتسب ..) فقد كان الغرض من نقلى إلى منطقة البحر الأحمر إبعاداً عن مستشار التوجيه المعنوى السوفيتى فى قيادة الجيش الثالث الميدانى

(٢٩)

علي قدر ما آلمني وداع تلك الحياة السعيدة والهادئة نسبياً بالقياس بأماكن أخرى فى جبهة القتال مع العدو الإسرائيلى و على قدر حزنى لفراق أصدقاء وزملاء عسكريين ومدنيين سعدت بالحياة بينهم ما يقرب من عامين ، كل يوم فيهما بذكرى عطرة أو خبرة حياتية جديدة أو تجربة لا تتأتى إلا فى مثل منطقة البحر الأحمر مع رجالها من القادة والضباط والدرجات الأخرى ، على قدر ما سعدت بنقلي للعمل في مجال التدريس ثانية بمدرسة التوجيه المعنوى الكائنة بمنطقة (ألماظة) أى بالقاهرة التي ابتعدت عن الخدمة بها لحوالى ست سنوات خلت ، ولأعود مرة أخرى إلى دفء البيت والأسرة فى نهاية كل يوم

أقيم لى حفل أنيق وبسيط أقامته لى قيادة المنطقة مع هدية تذكارية رمزية تعبر عن امتنان ضباطها بالأعمال والمهام التى قمت بها خلال مدة خدمتى معهم وبينهم ، علاوة على حفل آخر أقامه لى المرحوم (أنيس بك دياب) رئيس مجلس المدينة على غرار الحفلات فى ليالي كثيرة سابقة وعدت ومعى ذكريات لا أنساها ما حييت ومحملاً بهدايا فى معظمها من الأحياء المائية (٢ أباجورة من جلد وأشواك سمكة « الدرمّة والشكعة » وعصا من سلسلة العمود الفقرى لسمكة «قرش» وطفايتان للسجائر من المحار الكبير ذو الشكل المتميز) وهدايا أخرى مختلفة تعبر عما يكنه لى من أهداها من ود وامتنان

فى رحلتى الأخيرة من الغردقة للقاهرة تكرمت قيادة المنطقة بتخصيص سيارة جيب جاز ٦٣ (أربعة أبواب) لتوصيلي إلى منزلي وشقتى الكائنة بوسط القاهرة وكانت رحلتى الأخيرة تلك ممتعة للغاية من الغردقة إلى رأس غارب – الزعفرانة – إلى الكريْمات – إلى الصف فحلوان فكورنيش المعادى حتى نهاية الرحلة والتى استغرقت حوالى سبعة ساعات وكانت تلك أول مرة أقوم بتلك الرحلة فى وضح النهار متعرفاً على معالم الطريق الذى سلكته قبل ذلك مرات ليلاً فى رحلة الأجازة الميدانية التي كنا نبدأها بعد منتصف الليل بدقيقة لا نرى خلالها شيئاً سوى الظلام حتى تظهر خيوط الفجر تقريباً عندما نصل إلى الكريمات أو الصف

انتهت رحلتى بسلام وقابلتني أسرتى الصغيرة (زوجتى وولداى وابنتى الصغيرة) بالقبلات والأشواق والذى منه ، وفى اليوم التالى قدمت نفسى إلى قائد مدرسة التوجيه المعنوى العميد (لواء فيما بعد) رشدى ابراهيم حسان المعلم والاستاذ والصديق الذى حمل وتحمّل مسئولية العمل المعنوى بالقوات المسلحة بعد نكسة ١٩٦٧ وذلك عندما تعين مديراً لإدارة التوجيه المعنوى وهو برتبة المقدم فى أول نشرة تعيينات صدرت بعد أن أصبح الفريق محمد فوزى وزيراً للحربية والمسئول الأول عن إعادة بناء القوات المسلحة

فى مدرسة التوجيه المعنوى كنت رئيساً لفرع التوعية القومية والذى مارست من خلاله التدريس لدفعات متلاحقة من الضباط والدرجات الأخرى وفى تلك الفترة تم تجنيد عدد كبير من خريجى المعاهد والكليات الفنية وتم تجنيدهم بالتوجيه المعنوى وألحقوا بالمدرسة ليتم تأهيلهم علمياً للقيام بذلك الدور فى وحداتهم فيما بعد وأذكر على سبيل المثال لا الحصر أنه كان بينهم (المطرب هانى شاكر ، المطرب محمد رؤوف والممثلين أحمد بدير وأحمد ماهر وغيرهم).

الحرب خدعة حققها السادات للعلم والبنيان:

(٣٠)

و فجأة وبدون سابق علم أو إنذار قامت الأنساق الأولى بالجيشين الثانى والثالث بأعظم عملية خداع استراتيچى فى الحروب الحديثة وذلك بعبورها فى الثانية وخمس دقائق بالتمام قنال السويس على طول تمتد حوالى ١٧٠ كم وفى سيمفونية قتال رائعة اقتحمت المانع الخرافى الذى كان يسمى بخط (بارليف) والذى ظن القادة الإسرائيليون بأن القوات المصرية سوف تنال عقاباً قاسياً عند أى محاولة للاقتراب منه لإقتحامه ، ولكن فعلها المصريون (جند الله) وكانت صيحة الله أكبر تجلجل وسط انفجارات دانات المدافع التى أمطرت مواقع واحتياطيات العدو القريبة ومراكز القيادة والسيطرة بوابل قاتل منها وكان بالفعل عملاً اسطورياً رائعاً من هؤلاء الجنود الذين كانوا يحتلون خنادقهم المواجهة لشاطئ القناة الغربى لسنوات .. هب المارد رافضاً ان يستسلم لليأس وأن يظل الحال كما هو عليه لأكثر من ذلك وكان ذلك العمل المدهش والجبار نتيجة تدريب مضنى وتوعية مستدامة وتصميم على ان يسترد العرب كرامتهم والمصريون فوق ذلك أرضهم وكان البطل الحقيقى لتلك الملحمة الأسطورية هو بلا شك الزعيم الخالد والسياسى المحنّك والقائد الواعى (محمد أنور السادات) الذى خطط و راوغ وخدع الجميع بموعد ساعة الصفر لمعركة الشرف والكرامة والتى كللها فيما بعد بمعاهدة السلام والتى استردت فيها مصر أرضها بالكامل والذى كان يتمنى الرئيس السادات أن يتم ذلك فى هضبة الجولان بسوريا واسترداد الأراضى الفلسطينية التى تم احتلالها فى نكسة ١٩٦٧ ولكن هذا حديث آخر ..

طرنا بالطبع من الفرح وعشنا أيام لم نعشها منذ عدة سنوات وارتفعت الروح المعنوية للشعب ولباقى القوات التى لم تشارك فى القتال إلى السماء وزادت سعادتى عندما عينت قائداً لمأمورية شئون معنوية تتألف منى ومن الضباط المتخصصين فى التوعية والحرب النفسية والوعاظ العسكريين وكانت مهمة هذه المأمورية التواجد بمنطقة (الجفرة) والعمل مع ضباط وأفراد اللواء الثالث المدرع وباقى وحدات الفرقة الرابعة المدرعة الذى كان يقودها فى ذلك الوقت العميد أ . ح . (محمد عبد العزيز قابيل) .. وكان قائد اللواء الثالث العقيد أ . ح . (نور الدين عبد العزيز عبد الغنى) صديقى وزميلى بالفرقة الرابعة وبمدرسة المدرعات سابقاً قد استشهد فى مركبة قيادته بسيناء وتولى قيادة اللواء العقيد (لواء) فيما بعد (حسين منصور) رئيس أركان اللواء وتقدمت قافلة التوعية على طريق القاهرة الإسماعيلية الصحراوى حتى منطقة وصلة الملاك حيث قابلت قائد الفرقة العميد قابيل فى مركز القيادة المتقدم وكان يتابع الأعمال القتالية لكتائب الفرقة غرب القنال بعد أن حدثت الثغرة وتوسعت وتسربت منها المدرعات الإسرائيلية القائمة بالاشتباك مع دبابات الفرقة وأشهد الله أننى استمعت إلى مكالمة هاتفية بين العميد قابيل والرئيس الراحل محمد أنور السادات يؤكد فيها العميد إصراره هو وجميع أفراد الفرقة على تحقيق شعار المدرعات (النصر أو الموت) وسمعته يقول للرئيس جملة (مصر فى رقبتى يا ريّس إطمن) .. قدمت نفسى للعميد قابيل لإبلاغه بالغرض من المأمورية فطلب منى التوجه إلى منطقة تمركز الفرقة (بالجفرة) ومقابلة رئيس أركان الفرقة العميد (ابراهيم المغربى) والتنسيق معه وهناك تم توزيع أطقم التوعية والحرب النفسية على الوحدات الموجودة والعائدة من خط القتال للقيام بالإجراءات الواجبة (معنوياً ونفسياً) وظلت المأمورية (بالجفرة) لمدة ثلاث أيام عدنا بعدها لإدارة التوجيه المعنوى بعد تقديم تقرير بما تم فى تلك المهمة ..

أصبحت رئيساً لفرع التعليم بالمدرسة حتى تم ترقيتي إلى رتبة العميد عام ١٩٧٥ وبعد عام ونصف تقريباً تم تعييني رئيساً لفرع التوجيه المعنوى بقيادة الدفاع الشعبي والعسكرى حيث كنت مسئولاً عن العمل المعنوى مع المستشارين العسكريين للمحافظات المختلفة وعن مراجعة التربية القومية بالمدارس والمعاهد مع مديريات التربية والتعليم .. وفى ذلك المجال اكتسبت خبرة واسعة فى العمل مع المدنيين بوجه عام ، علاوة على زيارتى لمعظم محافظات الجمهورية لمتابعة تنفيذ خططها الخاصة بالتوجيه المعنوى والوعى القومى ..

فى يوليو ١٩٨١ تم ترقيتي إلى رتبة اللواء وإحالتى إلى التقاعد بعد حوالى ٣٢ عاماً امضيتها طالباً وضابطاً وقائداً ومدرساً وتعرفت خلالها على ضباط وقادة عظام وإخوة وأصدقاء كرام مازلت أرى أمام ناظرى شعاراً دائماً يلاحقنى منذ نعومة أظفارى وحتى وأنا جالس الآن بمكتبي أخط هذه الذكريات وهو شعار (الواجب .. الشرف .. الوطن) وأحمد الله أنه طيلة تلك المدة بحلوها ومرها وانتصاراتها وانكساراتها ظللت مؤمناً محافظاً على ذلك الشعار الذى يتحلى به كل من سلك سلك الجندية وأحس بمسئولية أن يكون وأن يعمل بكل إخلاص فى سبيل أن تظل راية بلاده عالية خفاقة وإرادة شعبه فوق كل إرادة ..

تلك كانت ذكرياتى الخاطفة عن مرحلة السيف ، أتبعها بحلقات من نوع آخر أكثر جذباً لجمهور المهتمين وهى مرحلة القلم .

شخصيات وانطباعات:

- **الطالب حسين محمد حسنى**

زاملنى منذ إلتحاقى بالمدرسة الثانوية العسكرية ١٩٤٩ ولم أنقطع عن الإتصال به حتى وفاته رحمه الله.

- **الطالب سعيد محمد فوزى**

زاملنى في المدرسة الإسماعيلية الإبتدائية ثم فى الكلية الحربية ثم سلاح المدرعات ، شاءت ظروف ما ان يحال للتقاعد مبكراً برتبة الرائد ولكننا ظللنا على علاقتنا المتينة وصداقتنا العميقة حتى وفاته رحمه الله (شقيق الفنانة ليلى فوزى).

- **الطالب ابراهيم صديق**

زميلى وصديقى منذ إلتحاقنا بالمدسة الثانوية العسكرية مازلنا على اتصال دائم حتى الآن.

- **الطالب أحمد رأفت مصطفى طاهر**

زميلى بالكلية الحربية وجارى عندما كنت أسكن مع عائلتي بالدقى .. رجل حتى النخاع .. تم إحالته للتقاعد وهو برتبة الرائد لأنه تطاول على الرئيس جمال عبد الناصر بعد هزيمة يونيو ١٩٦٧ .. وكان السبب فى نقلى إلى سلاح المدرعات بعد عام ونصف تقريباً قضيتها بسلاح المشاة .. انقطعت صلته بى تدريجياً حتى وفاته رحمه الله.

طالب صفى الدين أبو شناف

زميلي المقرب بالمدرسة الثانوية العسكرية أصبح فيما بعد ضابطاً متميزاً ورقىّ ترقية استثنائية خلال حرب اليمن .. عين رئيساً لأركان حرب القوات المسلحة وقدم لى خدمة شخصية كريمة أشكره دوماً عليها .. رحمه الله رحمة واسعة توفاه الله بعد مرض عضال كان أثناءه فى العناية المركزة لمدة شهر ولكن تلك ارادة الله

- **طالب محمد السعدى عمار**

زميلي فى الكلية الحربية الباش جاويش الطالب الذى عُزل لدفاعه عن زملائه ورفضه الانسياق إلى تعليمات مخالفة لإدارة الكلية الحربية ، توفى فى حادثة سقوط الطائرة التى كان بها المشير أحمد بدوى والقادة والضباط الآخرين فى صحراء مصر الغربية إبان حكم الرئيس الأسبق محمد أنور السادات وكان وقتها برتبة العقيد .. رحمه الله

- **طالب فاروق محمود رزق**

زميلي بالكلية الحربية ودفعتي وصديقي بالسلاح .. هادئ الطبع .. تولى إدارة سلاح المدرعات .. صلتنا قائمة حتى الآن

- **الزميل الاصغر سناً ورتبة طارق بدر منتصر**

من أكثر الضباط رجولة رغم صغر سنه يتميز بالذكاء الحاد .. رحمه الله

- **محمد عادل عبدالله**

زميلي بالمدرسة الثانوية العسكرية والكلية الحربية .. ضابط شهم شجاع .. هو فى القلب دائماً رغم الظروف والمشغوليات

- **يوزباشى (نقيب) محمد عبد اللطيف الغزالى**

قائد السرية بالمدرسة الثانوية العسكرية .. ضابط بمعنى الكلمة شكلاً وموضوعاً .. يجعلك تحب العسكرية وتحبه من أول وهلة

- **يوزباشى (نقيب) عبد الرحمن الرافعى**

كان يعرف بشاربه الكث وبانضباطه العالي ، يحترمه الطلبة ويخشونه دون أن يوقع عقاباً على طالب أو يتجرأ طالب على الخطأ فى يوم (نوباتچيته)

- **يوزباشى (نقيب) ممدوح جُبّة**

أأنق من أرتدى الزى العسكرى فى نظرى

- **بكباشى (مقدم) يوسف محمد محمد السباعى**

أحببته ظابطاً تمنيت أن أكونه

وعشقته أديباً أعترف أننى دونه

- **عميد (مشير فيما بعد) محمد عبد الغنى الجمسى**

تعلمت منه الانضباط الفكرى والرصد المعلوماتى فى ذاكرتى العقلية.

- **عميد (لواء فيما بعد) عبد الرحمن فهمى (٣)**

عندما يكون العلم سائراً على قدمين
والحكمة جالسة على كرسى الحياة
بسيط كالحقيقة
عميق كالصداقة

- **لواء رشدى حسان**

عاش منضبطاً ومات منضبطاً

- **لواء سعد محمد عثمان**

لو نسى أنه دفعة المشير عبد الحكيم عامر لكان أكثر عقلاً وحباً وعدلاً ولكنه كان بالفعل رجلاً ..

القسم الثانى : ثم تبعته رحلة القلم

(١)

من المهد إلى المجد:

قد يبدو غريباً ما أبدأ به كلامي عن رحلة القلم بأن أذكر ما خطر لى على التو أنه بينما اسم والدتى رحمها الله الحقيقى (فاطمة) كان كل الناس من حولها قريب أو بعيد يناديها بإسم (بُلبلة) ولم يتبين لى على وجه اليقين سبب هذه التسمية هل لحلاوة فى صوتها الهادئ رحمها الله أم لجمالها الفائق ولبياض بشرتها الذى يمتزج باللون الوردى .. على كل كانت البداية تتمثل فى إسم أمى (بلبلة)

بالمدرسة الإسماعيلية الإبتدائية بشبرا كنت لا أميل كثيراً لحصة (القص واللزق) أو العكس لضعف مهاراتى اليدوية مع رداءة خطى من يومى ، بينما كنت أعشق حصة الموسيقى عشقاً بالغاً ولكن كان حظى على قدى في توزيع الآلات الموسيقية وكان نصيبى منها آلة (الإكسلافون) وهي تلك الآلة التي كانت عبارة عن مثلث معدني وعصا قصيرة يتم العزف عليها حسب إرشادات وتعليمات مدرس الموسيقى الذى لم يمنحني شرف العزف على (الترومبيت) أو (الصاجات) رغماً عن إنني كنت أحافظ على (الواحدة) من تلقاء نفسى في جميع الأحوال والألحان ظللت متمكناً منها طوال حياتي وإن لم أشتغل بالموسيقى أبداً بل اقتصرت المسافة والرحلة إلى (سجع) الكلمة ثم ضبط ميزانها الشعرى فيما بعد

بعد وفاة والدتى فى ١٩ يناير ١٩٤٥ وحصولي علي شهادة إتمام الدراسة الإبتدائية فى صيف نفس العام ارتأى والدى أن أنتقل للعيش فى بيت عمتي ذات الزوج الطيب المتسامح والبنات الأربعة اللاتى كن يدرسن جميعهن (بالإنجلش ميشن كوليدچ) وهناك تحسنت وتقدمت لغتى الانجليزية بشكل واضح بالطبع ، كما عشقت اللغة الفرنسية التي يتحدث بها والدى مع عمتى رحمهما الله وصرت محباً لسماع والإستماع إلى الأغانى الأجنبية بشكل كبير ومحاولة فهم المعانى التى تدور حولها تلك الأغانى

أمضيت فى مدرسة مصر الجديدة الثانوية العامين الأولين من الدراسة الثانوية (خمس سنوات) ثم انتقلنا مرة أخرى أبى وأنا للعيش والسكن فى شبرا محبوبتي القديمة الجميلة ، وفى صيف ذلك العام ١٩٤٧ بدأت أولى علاقاتى الغرامية بالموسيقى والغناء (إن صح التعبير) ولتلك العلاقة حكاية وذكريات يجب ألا أغفلها أو أنساها ما حييت ... فقد كان والدى رحمه الله من هؤلاء البشر الذين يجيدون الإستمتاع بحياتهم وشغل اوقات فراغهم (الليلى خصوصاً) فى أماكن اللهو والسمر وكان أحب الأماكن إليه وأشهرها (كازينو بديعة) الصيفى والذى كان يقع فى نفس المكان الذى يحتله فندق شيراتون حالياً بمنطقة ميدان وكوبرى الجلاء والذى كان معروفاً وقتها باسم كوبرى (بديعة) ..

وكان والدى يصطحبنى معه معظم ليالي صيف تلك السنة (١٩٤٧) إلى كازينو بديعة والتى كانت صاحبته الفنانة اللبنانية (بديعة مصابني) تقدم فيه كوكتيلاً من الرقص والغناء والتمثيل فى شكل اسكتشات فى معظمها فكاهية يكتبها فى الغالب أبو السعود الإبيارى وآخرين

ويغنى خلالها مطربون مثل ابراهيم حمودة ، كارم محمود ومطربات منهن الشقيقتان بديعة وكوكب صادق وسعاد مكاوى وملحنون منهم عزت الجاهلى ، محمود الشريف ، محمد الشاطبى ويقدم الفقرات الفكاهية إسماعيل ياسين ، محمد الجنيدى ، ثريا حلمى بينما كان يشرف على تدريبات الرقص فنانون أجانب وكانت راقصات مصر الأوليات أمثال تحية كاريوكا وسامية جمال أهم من يعملن بالصالة الشهيرة .. دخلت ذلك العالم المشوق والمبهج والمشرق بنجومه فى عالم الموسيقى والغناء من خلال الأجازة الصيفية لتلك السنة فلم تبرح شخوصها وأحداثها ذاكرتى منذ ذلك الحين أبداً وأصبحت دون أن أدرى شغوفاً بها متعلقاً بأذيالها والفضل كل الفضل يرجع لوالدى رحمه الله الذى لم يحرمنى من متعة الاستمتاع بما شاهدته أو سمعته من تلك الأكاديمية الفنية العليا للفنون وأعنى بها صالة وكازينو بديعة مصابنى الذى كان لى الحظ بأن أتعرف عليها للحظات عندما قدمنى والدى لها لتحيتها

فى أحد أيام ذلك الصيف المبهج وانتقلت من وسط تعليمى هادئ بحى مصر الجديدة إلى وسط مناكف مشاكس يخرج طلبته فى المظاهرات طوال العام تقريباً مع وزارة ضد الأخرى واندمجت بسرعة مع الشقاوة وأصبحت أحد الذين يكتبون شعارات مظاهرات تلك الأيام (بيقن .. بيقن .. يسقط بيقن – اليوم حرام فيه العلم – صدقى .. صدقى عدو الشعب عاهد بيقن إبن الكلب) وغيرها من الشعارات التى كانت تثير حماس جموع الطلبة ويحصلون على علم مدرستهم ويخرجون إلى الشوارع منددين بالمواقف السياسية للحكام مع بعض الشعب لزوم (الشغل) .. وكان العبد لله أحد من يكتبون تلك الشعارات فى المدرسة التوفيقية الثانوية عامى ١٩٤٨ و ١٩٤٩ والتى بسببها وبسبب غيرها من الشقاوة عوقبت بعض العقوبات التربوية التى أعادتنى إلى السير على الصراط المستقيم

فى سنوات التوفيقية اشتركت فى النشاط الثقافى الصيفى الذى كانت تشرف عليه إدارة المدرسة ضمن نشاطات أخرى متعددة وألفت بعض الأزجال (على قدى) مختلة الأوزان فى معظمها وإن كنت حريصاً على التزام القافية لتواردها المتدفق داخلى .. كان من زملاء الصف الدراسى (ثالثة ثانوى) والتى كنت أعيدها بسبب مرض (التيفود) الذى داهمنى بشدة والذى أنقذت منه بلا (توابع) بسبب وصول دواء علاجه متأخراً لكنه كان على كل حال قد وصل لإنقاذى ولأعيد للمرة الثانية (ثالثة ثانوى) بعد أن رفض والدى أن أدخل امتحانات الدور الثانى لتلك السنة خوفاً علىّ من الإجهاد فى الإعداد والمذاكرة وعلى كل فقد حسناً فعل فإننى فى العام التالى قدم من مدرسة الأمير فاروق بمنطقة روض الفرج الطالب محمد سالم الذى أصبح صديقاً مقرباً لى ودامت بيننا الصداقة حتى وفاته رحمه الله بعد أن كان نجم الإخراج فى التلفزيون المصرى منذ افتتاحه حتى رحيله .. كما وأننى حتى عندما أعدت السنة تلك كنت صغير السن بالنسبة للكثير من أقرانى .. على كل كانت سنتيى التوفيقية هما بمثابة الشحن والإعداد والتجهيز لحلم لربما تحقق فى ميلاد موهبة قد يغمرها الضياء أو تخبو وتموت مع قادم الأحداث والأيام

يبدو أن أصدقاء والدى المخلصين رحمهم الله نصحوا والدى بأن يتزوج فلقد مر على وفاة والدتى ثلاثة أعوام ونصف ، كما أننى أصبحت فى سن المراهقة ، شديد الشقاوة لن يكبح جماحى غير بيت مستقر وزوجة ودودة قادرة على أن تحل محل الأم الراحلة إلى حد كبير ..

وبالفعل فقد نجح أبي رحمه الله فى انه يتزوج من شابة جميلة عاقلة قادرة على القيام بدور الأم الحنون مع الحزم الواجب .. وأصبح لى أم جديدة كنت ألقبها (أبلة) حسب تقاليد تلك الأيام وأصبحت العلاقة بينى وبين (أبلة) على ما يرام تماماً وأنقذت تماماً من (عُلَق) والدى بسبب حكمتها وعطفها على الولد الصغير الشقى ..

وكأنما أراد الله سبحانه وتعالى أن تظل العلاقات بينى وبين والدى و (أبلة) فى تمام التوافق والأريحية فلقد تم الإعلان عن القبول بالمدرسة الثانوية العسكرية الملكية لطلاب السنوات الثلاث ثالثة ورابعة وخامسة ثانوى بتلك المدرسة بعد اجتياز الاختبارات والشروط الموضوعة للقبول وتقدم فى ذلك العام ١٩٤٩ حوالى ٣٦ ألف طالب قبل منهم ٦٠٠ طالب موزعين على السنوات الثلاث وكنت أنا من ضمن الناجحين والمقبولين بعد كشف الهيئة بالصف الرابع الثانوى ودخلت تلك المدرسة التى وجهتني إلى الحياة العسكرية من جهة وفتحت لى أبواب الموهبة والشهرة فى عالم الشعر الغنائى من جهة أخرى .. إنها لعبة الأقدار .. ولسنا نحن من نختار والله أعلم ..

(٢)

تمنت أن اكون :

كان تواجدي بالمدرسة الثانوية العسكرية الملكية تلك بمثابة خط البداية فى ماراثون امتد طيلة هذه الرحلة أى حوالى ٥١ سنة في سباق ليس المهم أن تكون فيه الأول بقدر أن تكون منتظم الخطى والأنفاس لنظل نتابع ونتابع إلى أن يشاء الله أن يضع القلم في غمده وأن يتوقف الفكر عن العطاء إما لحدوث ما لامهرب منه (الموت) أو لتوقف ذلك البئر عن ملء ما بجوفه من جرار ..

قطعاً لم أكن أتصور أن أصبح ما انا عليه الآن من شهرة ونجاح لأننى لم أكن بدأت بعد خطواتى الفعلية لتحقيق ذلك ولأننى لم أكن أفهم معنى الشهرة فى ذلك الوقت كما أستشعرها وأفهمها الآن ولكأنما أراد الله لى أن أتحسس الطريق خطوة خطوة ورويداً رويداً حتى تصبح هذه الشهرة أكيدة وفاعلة ..

وفى الواقع أنه عندما بدأت فى تقبل أحوالنا المعيشية اليومية داخل أسوار ذلك المبنى ذو الطلاء الأبيض الناصع كقلوب معظم من فيه مدرسين (عسكريين ومدنيين) وطلبة رغماً عن الشقاوة المعتادة ممن كانوا فى نفس أعمارنا بين الرابعة عشر والتاسعة عشر والتى حاولت على قدر موهبتى المحدودة أن أحولها إلى أزجال انتقادية للأحوال وتصوير أبسطها على أنها أهوال ومخاطر خرافية وذلك بأسلوب فكاهى بسيط محبب إلى النفوس وخاصة فى الفترة بعد نوبة رجوع وحتى نوبة النوم أو ما بعدها في معظم الأحيان وكنا ننام حاملين أحلاماً سعيدة على ما أعتقد بسبب الابتسامة التى أضعها على وجوه الطلبة المجهدين من يوم طويل به كثير من الأحداث التى تثير مختلف المشاعر والأحاسيس ..

وكان لوجود ذلك البكباشي أ . ح . (يوسف السباعى) ذو الطلعة البهية والعيون التى نسيت للأسف لونها الحقيقى (خضراوان أو زرقاوان أم بين بينين) وذو القوام الممشوق وزى الفرسان المرموق (البيريه الأخضر والسنفرة) وعلاوة على كل ذلك أن ذلك (البكباشى) أديب كبير يشار إليه بالبنان يناطح قامات أخرى سبقته أو زاملته أو تبعته فى مسيرته الموفقة فى عالم الأدب والشهرة .. ذلك (البكباشى) الأديب حملنى على التجرأ بأن أسأل نفسى (ممكن يا واد يا صلاح يبقى اسمك لامع زى الراجل ده .. واعمل إيه عشان أحاول !!).

وكل مرة كنت أسأل فيها نفسى نفس السؤال أو كنت أخشى وأخاف من صدمة الإجابة (يا شيخ اتنيل على روحك انت عارف تكتب بيتين موزونين حتى) ولكن ذلك الحوار كان فى النهاية مفيداً فلقد أفلحت في النهاية أن أكتب نشيداً متواضعاً سمح لي اليوزباشي (عبد اللطيف الغزالى) قائد السرية أن أقرأه .. أمام طلبة السرية فى طابور الصباح ومنذ ذلك اليوم بدأ إسم الطالب صلاح فايز يتردد بين طلبة السرية بل والمدرسة كلها وكان ذلك موضع زهوى وافتخارى ..

قرأت معظم روايات (البكباشى) يوسف السباعي وأعجبنى أسلوبه السهل الآخاذ ورومانسيته البيضاء فى رواياته العاطفية (نادية ورد قلبى .. بين الأطلال وغيرها) كنت دون أن أدرى أتبع تلك المدرسة من الناحية العاطفية ولكن مدرسة الواقعية كانت تشدنى وتجذبنى إليها أحياناً ، أذهب إليها طائعاً راضياً

فى صيف ١٩٥١ تم حصولي علي شهادة التوجيهية (القسم الأدبي) بتفوق واضح فى اللغات الإنجليزية والفرنسية واللغة العربية بالطبع وفى مادة التاريخ التى كنت أعشقها منذ وقعت عيناى على صور التاريخ الملونة للفراعنة الأمجاد بالصف الثالث الإبتدائى

وبالطبع تقدمت للالتحاق بالكلية الحربية الملكية مع معظم أصدقائي وزملائى بالمدرسة الثانوية العسكرية وفى الكلية ازدادت براعتي فى كتابة الأزجال الانتقادية والوطنية فصار ينشر لي زجل واحد على الأقل فى مجلة الكلية الحربية وزجل آخر للزميل الراحل اللواء الشاعر (عصمت الحبروك) الذى كان يسبقنى بعام دراسى بالكلية وأصبحنا فيما بعد صديقين عزيزين نتزامل فى الخدمة بمدرسة المدرعات فيما بعد رحم الله عصمت الحبروك رحمة واسعة فلقد كان ضابطاً ذكياً للغاية وشاعراً جميلاً له نبرة خاصة

مساء بحجرات النوم بالسرية الرابعة (إعدادى – متوسط) ثم السرية السادسة (نهائى) كنا نقضى ليالى فى الغناء وبعض التهريج الذى كان يودى ببعضنا إلى الرفت والعياذ بالله ..

قامت ثورة يوليو ١٩٥٢ أثناء تواجدنا بالإجازة الصيفية السنوية وعند عودتنا قوبلنا بأسلوب جديد في التعامل معنا وخاصة بين صف ضباط القسم النهائى وطلبة نفس القسم وانتصر الطلبة أخيراً فى كل موقف جمعهم أمام زملائهم من ضباط الصف حتى أن أكثر من ضابط صف طالب تم عزله نتيجة لبعض التصرفات التى لم يكن من الواجب حدوثها منهم

فى يوم جميل مشرق ركب طلبة نهائي ٦ و نهائى ٨ لوريات متوجهين خارج مبنى الكلية لأداء طابور طبوغرافيا بطريق مصر السويس الصحراوى وبالطبع لم يجلس الطلبة كلهم فى مكان واحد لكنهم تزاحموا فى الاتجاه المفتوح طلباً للهواء ولمشاهدة الدنيا خارج الكلية ، وأخذ الطلبة وكنت أنا بالطبع واحداً منهم نغنى أغنية جميل جمال التى كانت مشهورة فى ذلك الوقت لبساطة كلماتها وألحانها وعلا صوتنا رويداً رويداً كلما اقتربنا من باب الخروج ، وعند إحدى المنعطفات داخل الكلية فوجئنا بالقائم مقام (محمد فوزى) كبير معلمى الكلية واقفاً يشاهد منظر خروج السيارتين ويستمع فى ذات الوقت للأغنية الجميلة (جميل جمال) .. خبت الأصوات عند رؤية القائم مقام محمد فوزى وخرجت العربتان وتساءل من شاهد ذلك الموقف عما سوف يحدث وكان يوماً أسوداً تبعته أيام أسود من التحقيق والتدقيق وخوف البعض من المصير المنتظر ، وفى حصص المذاكرة ليلاً انبرى أحد الزملاء رحمه الله وقال ما تعترف يا صلاح يا فايز وتخلصنا

وكان ردى هل كنت أغنى لوحدى ولما لم يجيئنى الرد قررت بينى وبين نفسى أنه فى الاجتماع اليومى بخصوص هذا الموضوع سوف أقول أنا اللى غنيت .. هدأت احوال إدارة الكلية نسبياً لمعرفة (المجرم الحقيقى) وتم قيادتنا فى (طابور الإعدام) إلى مكتب مدير الكلية الحربية المرحوم القائم مقام (عبد الواحد عمار) وعندما أعلن الضابط المسئول عن الطابور عن اكتشاف المذنب سألنى مدير الكلية (إنت كنت بتغنى تقول إيه يا طالب) فقلت له (كنت باقول جميل جمال يا افندم) وهنا فوجئت به يقول لى (لأ قولها زى ما كنت بتقولها فى العربية) فاضطررت أن أغنيها بلحنها وليسامحنى فريد الأطرش على رداءة صوتى آنذاك)

انتهى موضوع (جميل جمال) بأن تم عزل ٢ صف ضابط وتنوعت الجزاءات على باقى الطلبة أما محطم قلوب العذارى (العبد لله) فلقد تم حبسى بزنزانة الكلية لمدة ٧٢ ساعة .. لا أدرى كيف أمضيتها ولكنى قطعاً كنت أردد (جميل جمال) وغيرها طوال تلك الليالى

تخرجت والحمد لله يوم ٢١ يوليو ١٩٥٣ وأصبحت ضابطاً برتبة الملازم ثان وتم توزيعى طبعاً دون رغبتى الأكيدة على ذمة سلاح المشاة وألحقت بالكتيبة التاسعة مشاة المرابضة بسكنات العباسية وابتدأت فى اكتساب خبرات جديدة في حياتى العملية وتعرفت على شخصيات ذوى أخلاق وسلوكيات متباينة جعلتنى أندمج مع البعض وأنفر من البعض واستغل أوقات فراغى فى تحسين لغتى (العربية) طبعاً وقراءة الجديد من روايات يوسف السباعى وإحسان عبد القدوس وكتابة بعض القصص القصيرة التى اودعتها ادراج النسيان لأنها لم تكن على المستوى حتى لإلقائها على زملائى فى الكتيبة .. وبعد عام وعدة أشهر وبعد معرفتى أن الكتيبة التاسعة سوف تنقل إلى منطقة (منقباد) طلبت من والدى رحمه الله أن يجد واسطة تبقينى بالخدمة بالقاهرة وأفلح بالفعل فنقلت إلى الكتيبة الثالثة عشر مشاة وهى ما كانت تسمى كتيبة الثورة لأنها إحدى الوحدات التى كان لها السبق فى القبض على قادة الجيش ليلة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ وكان ضباط الكتيبة فعلاً من نوع آخر من الضباط سلوكاً وانضباطاً ولياقة وبانتقالى للعمل بالكتيبة الثالثة عشر انتقلت من حال إلى حال وإلى شكل آخر مغاير لنوع الخدمة فقد كانت الكتيبة الثالثة عشر مشاة مسئولة عن الحراسة على ذخيرة سلاح الفرسان التى جمعت ونقلت إلى مخازن بسراى القبة وكانت هناك حراسة قائمة عليها من الكتيبة ١٣ ، كما كانت الكتيبة مسئولة أيضاً عن أداء الخدمات اليومية بالقيادة العامة للقوات المسلحة ، أما الخدمة الثالثة فقد كانت تتم بمعسكر الكتيبة ذاتها وكان من نصيبى أن أعين لأتولى الخدمات اليومية على مبنى قيادة القوات المسلحة (القيادة العامة ووزارة الحربية) وهناك وخلال أيام الخدمة كنت قريباً من رئيس أركان حرب القوات المسلحة (لواء محمد ابراهيم) والذى كان قبل قيام الثورة كبير معلمى الكلية الحربية وكان يلقبه الطلبة (ش . ف) أى شديد الإنفجار ، وكان قريباً أيضاً من المشير (عبد الحكيم عامر) الذى كان وقتها برتبة اللواء ويعمل كقائداً عاماً للقوات المسلحة ولذلك التقارب قصة أسردها فى عجالة ، فقد حدث أن قام اليوزباشى فى ذلك الوقت (يحيى زغلول) أركان حرب القيادة العامة بأجازة زواج وفكر من بيده الأمر فيمن يتواجد بمكتب اليوزباشى (يحيى زغلول) أثناء فترة قيامه بالأجازة فوقع إختيارهم على العبد لله باعتبارى الضابط الذى يقوم بالخدمة يوماً بعد يوم بالقيادة ومسئولاً عن حراستها وبالفعل جلست على المكتب الوثير والمثير الذى صمم بحيث يتمكن الجالس على كرسيه أن يرى الداخل والخارج من باب القيادة العمومى ..

ويوماً بعد يوم طيلة الشهر الذى قضاه اليوزباشى (يحيى زغلول) مع عروسه كنت أقضى أوقاتى فى استقبال كبار زوار المشير (عبد الحكيم عامر) من مديرى الإدارات والهيئات المختلفة وبعد ان كنت أقف عند مرور اللواء محمد ابراهيم (ش . ف) لدخول مكتبه وأؤدى له التحية العسكرية كما يجب ، أصبح هو الذى يبادرنى كل صباح بجملة (صباح الخير يا صلاح) وأصبح مديرى الإدارات الذين كان يستحيل على من هو يمثل رتبتى أن يقابلهم ينتظرون بمكتبى أوقات تطول أو تقصر حسبما يتراءى لمدير مكتب اللواء (عبد الحكيم عامر) الصعود إلى مكتبه لمقابلته .. والحمد لله أنه لم تطل اجازة اليوزباشى (يحيي زغلول) عن ذلك الشهر وإلا لربما (أخذت فى نفسى قلم) وانا الضابط صغير الرتبة والسن

كنت أقضى أمسيات السهر بمكتبى فى الجرى وراء بنات افكارى أبحث عن معنى جديد أو جملة تحمل معانى الغزل البرئ فى الخطابات التى كنت أكتبها وأبعث بها إلى صديقتى فى حي الدقى الذى كنت أقطن به مع أهلى وانتظر منها رداً او لقاء والذى لم يكن يحدث كثيراً للأسف ..

سبق وذكرت كيف تم نقلى إلى سلاح الفرسان (المدرعات الآن) ، كما ذكرت أننى عندما كنت أخدم بالآلاى السادس مشاة ميكانيكى ضمن المجموعة الأولى المدرعة بمنطقة (بئر الجفجافة) كان هناك متسع من الوقت لإرسال وتبادل الخطابات بينى وبين الأديب الكبير يوسف السباعى والذى أشار علي فى إحدى خطاباته بأن احاول كتابة الرواية الطويلة أو القصة القصيرة أو الشعر أيهم أقرب إلي نفسى واستعدادى ، كما سبق أن ذكرت أننى كنت أراسل صديقة جديدة لى بالقاهرة وأشار علىّ زميل رحمه الله بأن ما اكتبه من سجع فى خطاباتى الغرامية لها يقترب بكثير من شكل الأغانى التى كان يغنيها (عبد الحليم حافظ) ذلك الشاب الأسمر ذو الصوت الحنون والحس المرهف وكأنما كانت نصيحة الأديب الكبير والزميل بنفس الخيمة هى جرس التنبيه والإيقاظ للموهبة النائمة بدلال داخلى لتصحو وتحاول أن تبدأ أولى خطواتها فى طريق الشعر والغناء الذى أراده الله لى طريقاً موازياً لحمل السيف ..

(٣)

حديقة المعهد وبدايات المشهد:

بدأت أتحسس خطواتى فى هذا الطريق الوعر أحياناً والسهل احياناً أخرى محاولاً أن ألملم بخيوط اللغة كلها وأن أملك أدواتها رويداً رويداً ..

كانت أولى رحلاتى إلي ذلك المجهول بأن تجرأت وتعرفت على الشاعر الكبير (حسين السيد) عن طريق أحد معارفى المقربين فقابلته بمكتبه فى بدروم العمارة التى كان يمتلكها أمام وزارة الأوقاف ، وكان استقباله دافئاً كمشاعره على الورق أو تلك التى تغنى فى ذلك الوقت ومعظمها لموسيقار الأجيال محمد عبد الوهاب أو لليلى مراد أو للمطرب الصاعد عبد الحليم حافظ ... احتوانى حسين السيد فى لحظات ببساطته وشاعريته فى الحوار وبوسامته المتدفقة وكان ذلك اللقاء فى أواخر عام ١٩٥٦ على ما أتذكر وبعد أن عرضت عليه نماذج مما كتبته أبدى إعجابه ببيتين أتذكرهما حتى الآن وكانا (عايز أقولك كلمتين .. كلمة واحدة مش كفاية .. قلبى حبك مرتين .. وانت قلبك مش معايا) وقال لى بالحرف الواحد رحمه الله (إنت يا واد إنت شقى .. فيك منى حاجة) ومنذ تلك اللحظة بدأت صداقة وطيدة عميقة بين ذلك العملاق والعبد لله دامت حتى وفاته فى فبراير ١٩٨٣ رحمه الله رحمة واسعة

فقد كان نعم الصديق الصدوق والأخ الكبير الحنون والأستاذ الذى علمنى من الحياة ومن دنيا الشعر ما لا أستطيع وصفه أو نكرانه ..

ودعنى حسين السيد وهو يقول لى أكمل ما أسمعتنى للتو وأنصحك بعد ان إستمع إلى نماذج أخرى أن أقرأ بعضاً من كتاب الأغانى للأصفهانى لضبط الأوزان التى كنت لا أجيدها فى حينه ..

كانت خطوتى التالية إلى معهد الموسيقى العربية الكائن بشارع رمسيس بجوار مبنى الإسعاف والذى كان يرتاده كل من له صلة بالشعر أو الألحان أو الغناء وهناك تعرفت على معظم أهل المغنى من المشهورين وأنصافهم ومن المخضرمين والمحدثين ، فهناك تعرفت على محمد الموجى وفؤاد حلمى وعبد العظيم محمد وبليغ حمدى ، محمود الشريف ، منير مراد ، عبد الرؤوف عيسى محمد الشاطبى ، أحمد صدقى ، حسين جنيد ، محمد شطا وغيرهم من الملحنين الذين لا تحضرنى أسماءهم الآن وهناك تعرفت على الشعراء على مهدى ، عبد الوهاب محمد والذى أصبح أصدق صديق لى وأقربهم إلى قلبى وإلى جيلى ويجمعنا برج واحد (برج العقرب) ، فتحى قورة ، مرسى جميل عزيز ، عبد العزيز سلام ، عبد السلام أمين ، محمد كمال بدر ، صلاح محمد على ، مصطفى الطائر ، محمد حمزة ، محمد البحطيطى وغيرهم ومن المطربين عبد الحليم حافظ ، محرم فؤاد الذى جمعتنى به صداقة عمر وشعر لم تنتهى منذ أوائل عام ١٩٥٧ وحتى وفاته فى ٢٦ يونيو ٢٠٠٢ ، ماهر العطار ، عبد اللطيف التلبانى ، محمد رشدى ، محمد العزبى ، جلال فكرى ، جلال حمدى ، مها صبرى ، عايدة الشاعر ، شريفة فاضل ، شريفة ماهر ، لبلبة ، فايدة كامل ، هدى سلطان ، أحلام ، ثريا حلمى ، سعاد مكاوى وغيرهن ومن الموزعين أندريه رايدر ، على إسماعيل ومن الموسيقيين أحمد فؤاد حسن ، صلاح عرام ، حمادة النادى وغيرهم الكثير

كنت أجلس بين معظم تلك الكوكبة مستمعاً تارة ومتحدثاً تارة وصارت بينى وبين معظمهم علاقات وصلات امتد بعضها مع بعضهم حتى كتابة هذه السطور ، فمثلاً بدأت علاقتى بمحرم فؤاد عندما كان يسمى بإسمه الحقيقى (محرم حسين) وكان يغنى فى ملهى (سيروس) بمبنى سينما (ريفولى) وكان وقتها يشغل غرفة فى بنسيون بمنطقة الظاهر أوصلته إليه بعد أن أخذ كل منا رقم هاتف الآخر وكان ذلك قبل أن يتعرف على الفنانة الكبيرة (تحية كاريوكا) ويتزوجا بعد أن نجح نجاحاً كبيراً فى أداء دور حسن وتمثيله فى فيلم (حسن ونعيمة) أمام النجمة المفردة (سعاد حسنى)

فى مساء أحد الأيام التى كنت أجتمع فيها مع أهل الفن بالمعهد تشجعت وألقيت على الحاضرين أغنية جديدة من تأليفى ... بعد أن ألقيتها إستحسنها الجميع ولكن أحدهم وكان شاعراً غنائياً نصف مشهور وأكبر منى بسنوات يدعى (محمد الفيومى) انبرى قائلاً لى (الغنوة دى حلوة .. دى من بحر إيه يا كابتن) قاصداً إحراجى أو الوقوف على مدى إلمامى ببحور الشعر .. عندما قال لى ذلك فى الحقيقة أنا غرقت يا ولدى .. وعجزت عن الإجابة ولكن شاعراً كريماً من جيل (الفيومى) همس فى أذنى وقال لا تقلق .. أراك غداً.

وفى مساء ذلك الغد حضر الأستاذ (ابراهيم رجب) ومعه ثلاث ورقات دوبل فولسكاب وسلمها لى بعد أن أفهمنى فى عجالة أنها تحتوى على نماذج للستة عشر بحراً من بحور الشعر المتعارف عليها بنماذج مدونة عنها بتفعيلاتها المختلفة وقال لى أقرأها جيداً واكتب شعراً غنائياً حسب تفعيلات كل بحر وسوف تجد نفسك قد أصبحت ملماً بجميع تلك البحور الذى كدت أن تغرق فى إحداها عندما سألك (محمد الفيومي) عن البحر الذى كتبت منه أغنية الأمس والتى كانت للعلم من بحر الرَمَل والذى من مجزآته (فاعلاتن) ، (فاعلات)

وانصرفت إلى المنزل مبتدءاً رحلة جديدة مع بحور الشعر المختلفة ...

(٤)

حبى لشادية مراهقة لازمت عمرى:

بدأت قصة حبى الأولى يوم (شم النسيم) عام ١٩٥٨ وكان الجو فى ذلك اليوم عاصفاً ترابياً مما جعلنى امتنع عن النزول وفضلت البقاء بالمنزل إتقاءاً لكل ما يحمله الجو من مفاجآت غير سارة من رياح وزعابيب .. إلخ .

وفجأة يرن جرس التليفون بالمنزل وأرفع السماعة لأسمع على الجانب الآخر من الخط صوت أنثوى رقيق يسأل فى حرص وعدم اطمئنان (هل هذا رقم اليوزباشى صلاح فايز) ولما أجبت بنعم ، أتبعته بالتساؤل المنتظر هل أنت هو أجبتها بنعم أخرى أكثر ترحيباً وترغيباً فى إطالة المحادثة وامتد الحديث بينى وبين صاحبة المكالمة المجهولة لساعات طوال أنستنى رداءة الجو وأنستني بحلو الكلام وأعذبه ، وعندما سألتها عن المصدر الذى حصلت منه على رقمى راوغتنى باقتدار وفى آخر المكالمة سألتها عن إسمها فصنعت من السؤال فزورة علىّ حلها ويعلم الله أنه عندما قالت لى (تفتكر إسمى إيه !!) لم يخطر على بالى حينئذ غير إسم واحد وهو إسم والدتى فبادرتها به وهنا سقطت سماعة التليفون من يدها لأنها لم تتصور للحظة ولا أنا أن يكون إسمها هو نفس إسم والدتى رحمها الله وبدأت منذ تلك اللحظة قصة حب انهتها بعد عام ونصف بغدر خارج عن إرادتها كما عرفت من سياق الأحداث فيما بعد ، وإن بدأت بأحداث ومشاهد أقرب إلى قصص أفلامنا العاطفية الدرامية

كانت حبيبتى مولعة بأغانى (عبدالحليم حافظ) الأولى التى واكبت سنتى ١٩٥٨ و ١٩٥٩ وكانت تحفزنى على الإستمرار فى كتابة الأغانى مع نقدها نقداً موضوعياً صادقاً وفى عام ١٩٥٩ كتبت أغنية مكتملة العناصر شكلاً وموضوعاً وقدمتها للمرحوم (سعيد أبو السعد) الذى كان موظفاً كبيراً بالإذاعة وعمل بجانب المرحوم (محمد حسن الشجاعي) المسئول عن الموسيقى والغناء بها وكان المرحوم (سعيد أبو السعد) صديقاً لوالدى الذى أوصاه بى خيراً .. وذهبت لمقابلته والذى رحب بى وبالأغنية التى أحملها معى ووعدنى خيراً .. بعد عدة أيام طلب منى المرحوم (سعيد أبو السعد) أن أقابله بمكتبه لأنه (محضّر لىّ مفاجأة حلوة) وذهبت في الموعد حسب اعتيادى وبعد التحية والسلام والذى منه .. انفتح باب مكتبه ودخلت منه مفاجأته لى ..

معبودتى الأولى والدائمة صاحبة أرق وأعذب الأصوات وألمع الأغنيات وأكثر ممثلات الشاشة الفضية وأقدرهم على اكتساب محبة واعجاب المشاهدين .. دخلت (شادية) بدمها ولحمها وببساطتها الطبيعية لتحيى الأستاذ (سعيد أبو السعد) ومن بعده أنا بإيماءة لطيفة من وجهها الصبوح الضحوك وبعد (أهلاً وسهلاً وتشربى إيه يا شوشو ..)

قدمني لها المرحوم سعيد أبو السعد وقالها أهو ده الشاب الجديد اللى اسمه صلاح فايز واللي كتب لك الأغنية الجميلة اللى قريتهالك ثم أخرج النص من درج مكتبه وقرأها عليها للمرة الثانية فاستحسنتها وكدت أطير من الفرح عندما عقبت قائلة (حلوة قوى نديها لمنير) قاصدة بالطبع منير مراد .. لم تسعني الدنيا على رحابتها فها هي شادية وها هى ستغنى أول أغنية من تأليفى معقول يا ربى الحلاوة دى كلها .. استأذنت لأنفرد بفرحتى فى دنياى بعد أن مددت لمعبودتى يدى لأسلم عليها ولأرى أجمل وأرق أنامل أنثى شاهدتها ولامستها فى حياتى

طرت لأهاتف حبيبتى وأعلن لها عن النبأ السار الذى هنئتنى عليه وتمنت أن يكون فى هذا التعاون مع معبودتى شادية التى لم أكن قد رأيتها أبداً عن قرب من قبل والذى كان كل محور إعجابي بها مشاهدتى لها فى أول فيلم لها (العقل فى أجازة) أمام النجم محمد فوزى وذلك بسينما شبرا بالاس عام ١٩٤٧ أو ١٩٤٨ على ما أتذكر

شاء الله ألا تكون فرصتى الأولى مع شادية أرجأها لألقاها مع من قاسمها فيلمها الأول (العقل فى أجازة) فيما بعد ولكن تلك قصة أخرى وذكرى أخرى تأتى فى موضعها بإذن الله ..

صدمتنى مكالمة (سعيد أبو السعد) لى عندما قال لي معتذراً (معلش يا أبو الصلح خيرها فى غيرها .. لأن منير مراد أعتذر لى ولشادية عن تلحين الأغنية حيث أن الشاعر الكبير (فتحى قورة) متعهد كتابة الأغاني لأفلام شادية ، وكان قد كتب أغنية تتقارب معانيها مع الأغنية اللي انت كتبتها ..) أسودت الدنيا أمامى وأحسست بالإحباط وسوء الحظ وتمنيت لو أننى لم أر (شادية) فى ذلك اليوم الذى آلت إليه هذه النهاية الحزينة .. ولم أجد سلواى إلا فى كلمات حبيبتى وتشجيعها لى على اجتياز الموقف البائس برضاء نفسي بأن كل شئ (قسمة ونصيب) و (الجايات أكتر من الرايحات) ومن مثل هذه التعبيرات المصرية المتوارثة جيلاً بعد جيل ..

اجتزت الأزمة والحمد لله وظللت أؤلف وأؤلف وأؤلف أغانى كثيرة كنوع من التدريب والتجهيز لما هو آت وكان لحبيبتي مفعول السحر في معاونتى على ذلك بحنوها وعطفها وأسلوبها الذكى رغم حداثة سنها في الإمساك بمهارة بدفة مركبى نحو الصعود إلى أعماق بحار التأليف الغنائى حتى إنها عندما تركتنى بدون سابق إنذار أو سبب كتبت فيها أغنية من أروع أغنياتى العاطفية (غدارين .. مش باقولك غدارين).

(٥)

لولاه ما كان هذا الكتاب ولا هذا الصلاح:

بعد مأساتى العاطفية التى انتهت نهاية ما كنت أفكر فيها ولا أعتقد أنها سوف تترك بداخلي ذلك الجرح الدامى الذى مازالت تقطر بعض نقاطه على وسادة الزمن طيلة هذه السنين الطوال المليئة بالخبرات فى المجال العسكرى وفي المجال الحياتى ولكن رغم كل شئ قد حدث فى حينه تحملت الصدمة رغماً وانتقلت للعمل كرئيس عمليات الكتيبة ٢١٣ دبابات بالفوج الثانى المدرع الذى كان وقتئذ يتشكل بمنطقة (الهايكستب) تأهباً لانتقاله للتمركز بقرية (فنارة) بمنطقة (فايد) العسكرية فى صيف ١٩٥٩ ومع انشغالى باستلام دبابات الكتيبة من مخازن (وادى حوف) بمنطقة حلوان وإعداد الكتيبة أفراداً ومعدات للسفر بدأت أنشغل مرة أخرى باهتماماتي الذاتية في مواصلة التدريب على كتابة وتأليف الأغانى فى موضوعات وأشكال مختلفة ، وكنت أداوم على الذهاب لمعهد الموسيقي العربية للقاء الزملاء والأصدقاء من الوسط الفنى كالمعتاد وفى تلك الفترة حدثت واقعة الأغنية التي فشلت فى معرفة من أى بحر شعر كانت والتى غرقت ساعتها لولا أن أنقذنى الشاعر الراحل الودود (إبراهيم رجب) بتلك الوريقات التى اعانتني فيما بعد وإن لم أستخدم معظم بحورها في النظم الغنائى لأنني اكتسبت من ناحية موسيقية التفعيلات الشعرية بالمران والمراس ومن ناحية أخري كانت بعض البحور لا تستهويني أبداً فى استخدامها عند شروعي فى كتابة أى معنى غنائى ولكننى كما استفدت الشئ الكثير من تلك الوريقات لم أبخل بها على زميل ناشئ كان يهوى كتابة الأغانى ولكنه كان كمعظم الناشئين لا يجيد ضبط الأوزان وهو المرحوم عميد الشرطة فيما بعد (منير المهدى) وبقيت عنده الأوراق حتي رحيله على حد علمى ، وقد نجح ذلك المؤلف فى كتابة أغنية غنتها له المطربة الفاتنة (مها صبرى) رحمهما الله ..

فى أحد أيام شهر يوليو وقبل الاحتفال بعيد الثورة الثامن بعدة أيام .. كنت مع كتيبتى ٢١٣ دبابات قد وصلنا للقاهرة وعسكرت الكتيبة فى منطقة حى (جاردن سيتى) وبالذات على مقربة وحول اعلى عمارة بالحي وكانت تسمى عمارة (بلمونت) استعداداً للمرور أمام المنصة التى كانت أمام ثكنات قصر النيل (محل مبنى الجامعة العربية الآن) والمواجه للنيل والتي كان سوف يجلس بها الرئيس الأسبق جمال عبد الناصر وسط كوكبة كبيرة من الوزراء والسفراء وكبار رجال الدولة ، وقد أجرت الكتيبة ضمن دورها في المرور لتحية الرئيس عدة بروفات سابقة على يوم العرض والاحتفال فى ٢٣ يوليو ، وبعد الإنتهاء من أحدى تلك البروفات ، جلست على السور الحجرى لكورنيش النيل مواجهاً بالمصادفة عمارة (بلمونت) تلك وما هى إلا عدة دقائق وإذ بى ألمح المطرب والملحن ونجم السينما الكبير فى ذلك الوقت النجم (محمد فوزى) خارجاً من العمارة يصاحبه عازف الكمان الأول في ذلك الوقت (أنور منسي) وفى طريقهما إلى جراج العمارة فاندفعت جارياً عابراً لطريق الكورنيش الذى كان يسهل عبوره فى ذلك الوقت لندرة السيارات المارة يميناً ويساراً ولم أكن أعرف على وجه التحديد ما الذى دفعني لفعل ذلك وأنا الذى عادة ما أتردد فى مثل هذه المواقف لكنها مشيئة الله ولعبة الأقدار التى لا تتكرر كثيراً والفرص التى إن لم تغتنمها فلن تأتيك مرة أخرى ..

(صباح الخير يا أستاذ فوزي) موجهاً حديثى له بلا وجل متابعاً (أنا اليوزباشي صلاح فايز وانا باكتب أغانى يا ريت تسمعنى) وبكل الحنو والدفء والبساطة رد علي قائلاً (طيب يا صلاح .. أنا رايح أعمل مونتاج لأغنية وأشار بأصبعه إلى علبة شريط باسف كبيرة في استوديو لا أتذكر إن كان مصر أو غيره الآن .. وعند عودتى نتغدى سوا .. وتسمعنى بتقول إيه يا صلاح)

تخللت هذه الكلمات السريعة المطمئنة مسمعي بسرعة وسهولة ويسر وكأنما كنت فى حلم جميل لا أريد الإفاقة منه .. وعندما تركنى مشدوهاً مع الموسيقار (أنور منسى) ليستقل سيارته ، لم أكن حريصاً بالقدر الكافى وأنا أعود إلى موقعي على السور الحجرى للكورنيش وعندما أفقت خاطبت نفسي قائلاً (قاعدلك .. قاعدلك .. تيجى بعد ساعة .. بعد عشرة .. ح استناك .. ح استناك) لا أعرف كم مضى من الزمن بين خيالاتى وأحلام اليقظة منتظراً عودة الفارس الذى إما أن يلقينى من فوق حصانه الجامح ، وإما ان يحتضننى لينقلنى من عالم إلى عالم آخر أرغب بكل حواسى ومشاعرى أن أكون أحد أفراده ونجومه فى يوم من الأيام ..

بعد حوالى ما يقرب من ٣ ساعات وأنا أترقب الطريق عن يمينى عينى على سيارته الفارهة ذات اللونين .. وهاهى قد دنت وأبطأت ودلفت إلى الجراج حاملة صاحب أحلامى فى مستقبل أيامى (محمد فوزى).

وقفت تأدباً فى انتظار إشارته لى بعبور الطريق وفعلاً فعل وفعلت واصطحبنى إلى داخل العمارة المشهورة وصعد بي إلى الدور السادس والعشرين حيث يقطن وعندما فتح لنا طباخه (على ما أظن) الباب قال له يا فلان الأستاذ صلاح ح يتغدى معايا .. إنت عامل إيه النهاردة فلما أخبره بأن الغذاء سوف يكون ملوخية وأرز ودجاج إبتسم ابتسامة خفيفة وسألنى هل تحب الملوخية فأجبته طبعاً هوة فيه حد مصرى ما بيحبش الملوخية ، أعجبته الإجابة واستأذن منى لتغيير ملابسه .. وانتظرت بالريسبشن عدة دقائق ولاحظت وقتها أن الشقة يجرى استكمال بعض ديكوراتها ثم ظهر (محمد فوزى) بعد عدة دقائق مرتدياً جلباباً بلدياً وينتعل (بُلغَة) فى قدميه وشاهدت فوزى آخر غير فوزى الأفلام بالروب دى شامبر والفولار وغيرهما مما يرتديه أولاد الذوات فى منازلهم وأفلامهم ، واصطحبني فوزى إلى رحلة لا أنساها ما حييت إلى التلقائية والبساطة والحضور الطاغى الطبيعى ، فكان حواره معي خلال ذلك الغذاء دافئاً وكان حريصاً طوال الوقت أن يشعرنى أننا أصدقاء منذ فترة طويلة ولست عابر سبيل قابلنى ذات يوم أمضى ويمضى كلانا إلى حال سبيله ..

بعد الغذاء بادرنى (قول بقى يا ابو صلاح كاتب إيه وعندك إيه !!) فارتجلت أربعة أغانى توسمت أن تلاقى استحساناً لديه وكانت أولاها هى أغنية (بعد بيتنا ببيت كمان) ولما انتهيت من ارتجال الأربعة طلب منى أن أعيد على مسامعه كلمات الأغنية الأولى (بعد بيتنا ببيت كمان) وقال لى بالحرف الواحد (الله .. حلوة قوى الغنوة دى يا ابو الصلح .. فكرة جديدة .. وانت عندك الصور حاضرة فى ذهنك .. من فضلك اكتبلى الأربعة أغانى دول وخد رقم تليفون البيت والمكتب بالإيموبيليا وسيبلى رقم تليفونك .. وانتظر خيراً باذن الله)

بعد أقل من عشرة أيام سمعت أختى (منى) الأصغر منى تقول يا (أوبى) وأوبى ذلك هو اسم التدليل لى من إخوتى جميعاً لا أدرى معناه وعندما أعرف سوف أعلمه لكم .. وأردفت (الأستاذ فوزى على التليفون) وحقيقة رغم أملى أن يكون هو (الأستاذ محمد فوزى) لكن لسبب أو لآخر لم يكن ذهنى حاضراً بالقدر الكافى لأتأكد أنه هو فعلاً (محمد فوزى) ذلك المطرب والملحن والمنتج والفنان العظيم .. (آلو مين يا افندم) كاعتيادى عند الرد على الهاتف لمن يطلبنى .. جاءنى صوته المميز سريعاً متدفقاً .. (إسمع كده يا صلاح) .. وظل ذلك الصلاح يستمع حوالى ٧ دقائق للحن الكامل لأغنية (بعد بيتنا ببيت كمان) مشدوهاً بالطبع معجباً لا أدرى متحمساً لا أدرى وعندما انتهى من عزف اللحن كله على العود سألنى ذلك العملاق (إيه رأيك يا ابو الصلح) ولأن أبو الصلح كان لا يملك حق ولا جرأة القرار فلقد قلت له (رائع جداً يا استاذ فوزى) وعندها قال لى (طيب نسجلها بقى لهدى) وهنا انبريت محتداً فى اعتراضى بأدب جمّ .. (هدى مين يا أستاذ !!) .. (هدى سلطان طبعاً يا صلاح) ولكننى وجدت نفسى وللمرة الأولى والأخيرة التى أقاطع فيها الأستاذ قائلاً (ماتنفعش مدام هدى تغنيها يا أستاذ فوزى) وعندما سألنى ليه يا صلاح فسارعت قائلاً فى إقناع (هو فيه راجل لما حبيبته تبتسمله يجرى يدخل من كسوفه) وهنا تنبه الأستاذ على الفور وقال لى (عندك حق يا صلاح إذن أنا اللى ح أغنى الأغنية دى) ..

فى يوم التسجيل اصطحبنى معه فى سيارته إلى استوديو مصر وكان المرحوم الأستاذ (نصرى عبد النور) أشهر من يسجلون الأغانى وغيرها هو القائم على التسجيل وكنت مبهوراً عندما حضرت داخل الاستوديو أشاهد من خلال الكابينة الأستاذ فوزى وهو يعطى تعليماته لقائد الفرقة الموسيقية .. ثم يقف أمام الميكرفون ويقوم بتسجيل مقطع تلو الآخر وكان ذلك العمل مضنياً حتى لمن يحضرون عملية التسجيل لا المطربين والموسيقيين فحسب

لم أحضر معه عملية المونتاج لإنشغالى بعملى بالطبع ولكنه طلب منى مقابلته بمكتبه بعمارة (الإيموبيليا) بوسط المدينة وهناك سلمنى شيكاً بمبلغ خمسة عشر جنيهاً قائلاً (الشيك ده المبلغ اللى فيه مش كتير وفى نفس الوقت مش قليل بالنسبة لناشئ) وكل ما ح نسجل سوا أغنية جديدة ح ازودك ولقد فعل فعندما كتبت أغنية (يا حلو بينى وبينك تار) لتغنيها الشحرورة (صباح) سلمنى شيكاً بخمسة وعشرين جنيهاً

وللعلم فإننى ظللت محتفظاً بأول شيك لا أقدم على صرفه لمدة طويلة اعتزازاً بالشيك وبصاحبه ..

ظلت علاقتى قوية متينة بمحمد فوزى طيلة فترة حياته التى انتهت فى أحد أيام أكتوبر ١٩٦٦ بعد مرض عضال أصاب عظامه بسرطان خبيث لم تفلح معه مهارة الأطباء داخل وخارج مصر فى إنقاذه منه وكأننا نصدق المقولة التى تقول أن (الثورة تأكل أبناءها) فلقد كان محمد فوزى علاوة على أنه مطرب وملحن ومنتج جيد ماهر فانه كان أول من أنتج الأفلام الملونة علاوة على أنه أول من أنشأ مصنع لتعبئة الاسطوانات وشركة انتاج اسطوانات باسم (مصر فون) وكان يطبع الاسطوانات بمصر بعد أن كانت تطبع باليونان وتكلف الآلاف من العملة الصعبة التى وفرها للدولة.

وعندما قامت الوحدة بين مصر وسوريا بين عامي ١٩٥٨ – ١٩٦١ وصدور قرارات يوليو الاشتراكية فى ١٩٦١ والتي قام الإقليم الشمالى (سوريا) على إثرها بفك إرتباط الوحدة ، طالت هذه القرارات مصنع (محمد فوزى) فأممته وعينته مديراً رمزياً له بعد أن كان صاحبه ومارست عليه السلطات فى ذلك الحين إجراءات تعسفيه أودت بصحة ونفسية ذلك الفنان العبقرى ورجل الأعمال العصامي فقضت عليه دون أن تدري أو حتى لو كانت تدرى ، وأصبح محمد فوزى الذى كان ملء الأسماع والأبصار رجلاً نحيفاً ضعيفاً مريضاً بذلك المرض الذى سمي فيما بعد بإسم فوزى وهو (سرطان العظام) والذى لم يتحمل آلامه لوقت طويل فبارح هذه الدنيا بأوجاعها ومقالبها بعد أن عاش زمناً كان فيه النجم المتألق فناً ووسامة وخلف لنا ألحاناً ستظل تعيش معنا وبيننا إلى زمن بعيد كان لى نصيب ثمانية أغان بين ١٩٦٠- ١٩٦٤ هى (بعد بيتنا ببيت كمان) بصوته و(بينى وبينك تار) لصباح و (يا ولاد بلدنا يوم الخميس) بصوته ذات الصيت الآن العالى منذ أن ولدت وإلى أن يشاء الله و (خفة دمك مش على حد) لعبد اللطيف التلبانى و (اللى حسبته لقيته) بصوته و (قد القول و كلامنا عمره ما يقع الأرض) بصوته عن تحويل مجرى نهر النيل وبناء السد العالى و (شد الحزام) للمجموعة أما الأغنية الأخيرة فكانت بعنوان (يا حبيبى قلبى ده اللى انت ناسيه) للتلفزيون والتى تم تسجيلها ولكنها لم تذع أبداً

فى إحدى الزيارات (لمحمد فوزى) تواجدت النجمة (نبيلة عبيد) قبل أن تعمل بالفن وتشتهر تعرض عليه مقدرتها على الرقص الشرقى وبالفعل كانت متمكنة، كما شاهدت عنده للمرة الأولى المطربة (مها صبرى) فى بدايات حياتها الفنية

كان مكتب (محمد فوزى) بالإيموبيليا ملتقى لكثير من أهل المغنى والفن فهناك كان يتلاقى ويلتقى بليغ حمدى ، عبد الوهاب محمد ، محمد حلاوة ، سيد مرسى ، سعيد المصرى وغيرهم علاوة على العبد لله

رحم الله محمد فوزى رحمة واسعة وأسكنه فسيح جناته وأمتع أصدقائه ومحبيه ومريديه بفنه الرائع

(٦)

جواز المرور بتوقيع مدير الجوازات:

دارت عجلة الذيوع والشهرة لشخصى الضعيف ببطء لكنها دارت على كل حال وأصبح اسمى يتردد بين أهل معهد الموسيقى من الأصدقاء والمعارف وبينما تفتحت أبواب السماء كلها لصديقى المفضل من شعراء الأغنية (عبدالوهاب محمد) لتغنى له كوكب الشرق ونجمة كل الأزمنة (أم كلثوم) رائعته (حب إيه) من ألحان الشاب المعجزة صديقى وجارى السابق بحي شبرا وشقيق زميلي النقيب حسام الدين حمدى والذى كان رحمه الله دمث الخلق إلى درجة عالية وأقصد به (بليغ حمدى) الذى لمع نجمه فيما بعد وصار من أصحاب علامات الموسيقى الشرقية بما جادت به قريحته المتفوقة من ألحان أمتعت الجمهور العربى ومازالت بالنغمات الشجية والتجديدات اللحنية .. أقول بينما كان (عبد الوهاب محمد) و (بليغ حمدى) يقتحمان عالم (أم كلثوم) باقتدار شعراً ولحناً ..

كان العبد لله يقتحم عالم صاحب النغمة السهلة التي اجتذبت عالم كبير من مستمعي الإذاعة المصرية ومشاهدى أفلامه الشيقة وأقصد به عالم (محمد فوزى)

فبعد نجاح أغنية (بعد بيتنا ببيت كمان) أصبح يقترب مني أهل المغني أكثر وأكثر وخاصة وأن أغنية (بعد بيتنا) تلك كانت أول أغنية تعرض بالتلفزيون المصرى الذى تم افتتاحه فى احتفالات أعياد الثورة ١٩٦٠ .. وعرضت على الملحن (سليمان فتح الله) رحمه الله أغنية بعنوان (إعلان زواج) اقتبست فكرتها من ذلك الباب بنفس العنوان بمجلة (صباح الخير) وفكرة الأغنية تدور حول إعلان فتاة عن مواصفاتها الكاملة شكلاً وموضوعاً وقامت بغناء تلك الأغنية فتاتان هما (هادية ونادية) اللتان عملتا في السنوات الأولى لافتتاح التلفزيون ثم اختفتا فى ظروف غامضة فيما بعد ، وكنت قد كتبت أغنية بعنوان (راح أغير تليفونى) يقول مطلعها راح أغيّر تليفوني .. وح أغيّر عنواني .. علشان مهما تدوّر .. مش ممكن تلقاني .. وكانت أغنية خفيفة الظل جديدة فى مفرادتها وفى أسلوب تقطيع تفعيلاتها عرضتها على صديقتاي (صفاء و سناء) عضوتي الثلاثي المرح والتي كانت ثالثتهم (وفاء) ومن قبلها (سهام) التي تركت ذلك الثلاثي الذى كان يطلق عليه (الثلاثي المرح) وكونت ثلاثي آخر باسم (الثلاثي الطروب) والذى لي معه تجربة أخرى أعرضها في حينه .. طارت الصديقتان بالأغنية فطارتا بها إلى الملحن (المِذوق) (المُقل) (رؤوف ذهني) الذى امتدح كلمات الأغنية جداً عند مقابلته فيما بعد بشقته الكائنة بشارع ٢٦ يوليو (شارع فؤاد سابقاً) بعمارة (الجندول) التي يمتلكها موسيقار الأجيال (محمد عبد الوهاب) والذي يمت (رؤوف ذهني) له بصلة نسب باعتباره كان أحد أقرباء زوجته السابقة (إقبال نصار) رحم الله الإثنين

وضع (رؤوف ذهني) لحناً جميلاً للأغنية .. وفي أول حفلة اشترك بها الثلاثي قمن بإنشادها وللحقيقة رغم الفكرة الشيقة واللحن المودرن إلا أنها لم تنل النجاح الذي كنت أنتظره لها ، بقى ان أقول أنني تسلمت من (الثلاثي المرح) مبلغ خمسة جنيهات عن تأليف تلك الأغنية ولاحظ أن رقم (٥) لا يقبل القسمة على (٣) ولكن هذا ما حدث والذى تقبلته بطيب خاطر ربما مجاملة وربما قلة خبرة فى عملية الفصال

قبل أن ينتهى عام ١٩٦٠ كنت قد سجلت مع (محمد فوزى) أغنية للصبوحة (صباح) بعنوان (بيني وبينك تار) والتي كان مطلعها يا حلو بيني وبيتك تار .. يا حلو حبي ماعادش هزار .. ح اغلبك وح اتعبك .. واخلي ناري تلهلبك .. وبكرة تشكي لسابع جار .. مافيش حلاوة من غير نار ... وأتذكر أن (محمد فوزي) طلب مني أن أرفع شطرة مافيش حلاوة من غير نار واستخدمها فى أغنية تالية وبالفعل رفعت الشطرة واستخدمتها في أغنية أخرى من ألحان العظيم (عبد العظيم محمد) للمطرب صاحب الصوت الحريري (محمد قنديل) كما اقتبس نفس الشطرة المرحوم الزميل سمير الطائر فى أغنية لنفس (صباح) من ألحان الصديق العزيز معتاد الاقتباس بلا استئذان الملحن هادى الإعلام والكلام (حلمي بكر) .. و نلت شيكاً آخر بقيمة أعلى كما وعدني (محمد فوزى) وكان المبلغ ٢٥ جنيه ولكن هناك بركة فى ذلك المبلغ أكثر من آلاف مؤلفة من نقود هذه الأيام ...

أخذت العجلة تدور بسرعة أعلي وبأغاني أكثر تنوعاً وكان عام ١٩٦١ هوالعام الذي بدأت فيه علاقتى بالإذاعة المصرية وأقصد بذلك مكتب الرجل الذى كان مسئولاً عن الموسيقى والغناء بذلك المبنى العتيد بشارع الشريفين بمنطقة (نص البلد) وأقصد بالرجل (محمد حسن الشجاعى) صاحب تأشيرة المرور إلى داخل المبنى ودنيا النغم أو الكارت الأحمر لطرد من لا يستحق اللعب فى ذلك الملعب الرحب .. الذى أديت فيه واستخدمت كل مهاراتى ولم أعتزل اللعب به وحتى الآن والحمد لله ..

فى مساء ذلك اليوم بحديقة معهد الموسيقى سألنى فجأة الملحن الكبير (فؤاد حلمى) إنت رحت الإذاعة ولاّ لسة يا صلاح ولما أجبته بالنفى قال لى سوف أحجز لك موعداً مع (الشجاعى) فحضّر نفسك كويس وهات معاك نماذج من شغلك .. شكرته بالطبع وانتظرت مكالمة لى تعلن عن موعد اللقاء المرتقب مع ذلك المتجهّم دائماً والعادل والمقتنع بمدى موهبة من يحاوره دائماً أيضاً .. وفى الموعد قابلت (فؤاد حلمى) خارج مكتب (الشجاعى) واصطحبنى بيده قارعاً على باب حجرة العملاق ودخلنا سوياً وهالنى هيئة ذلك الرجل المهيب بحق الصارم صراحة (أبو الهول) .. وقفت فى جانب من الحجرة الكبيرة بينما تقدم (فؤاد حلمى) ومال يهمس فى تلك الأذن التى تحكم على كل ما تسمعه شعراً ونغماً وصوتاً .. وهنا رفع (الشجاعى) رأسه الضخم ناظراً نحوى بنفس الصرامة وبادرنى قائلاً تعالى قرب هنا فاقتربت منه سريعاً فى حرص وعندما وصلت إلى حافة المكتب الذى يجلس خلفه سألنى إنت إسمك إيه !! فأجبته ثم عقب إنت بتعمل إيه !! فقلت له ضابط بالقوات المسلحة قالى قصدى بتكتب شعر وأغانى ولاّ بتلحن فأفهمته أننى أكتب أغانى ولى أغانى تم تسجيلها مع (محمد فوزى) ، (صباح) وآخرين فسألنى معاك حاجة تورهالى فأخرجت من جيبى أغنيتين كنت قد أخذتهما للعرض عليه عند المقابلة.. و أخذ يقرأ ويقرأ ثم قرأ ما هو مكتوب بالورقة الثانية وفاجئنى قائلا (إنت عاملّى فيها حسين السيد) فأجبته على استحياء وأنا إيه اللى يوصلنى يا افندم لحسين السيد فرد علىّ بلهجة غاضبة (أنا مش قصدى فى قيمته طبعاً ، أنا باقصد فى إسهابك فى الشرح والوصف) ولم أعقب ، وكان قد بدأ يمسك بقلمه ويختصر الأغنية الأولى ثم فعل ما فعله بالأولى بالأغنية الثانية ولمحته يكتب أعلى كل أغنية كلمة تلحين ثم كلمة غناء ولم أستبن بالضبط ما الذى فعله ولكنه لم يطل حيرتى طويلاً فقد خاطب بصوت مسموع قائلاً يا جلال لحن الأغنية دى (لعيشة) ونظرت خلفى فوجدت المخاطب هو المطرب والملحن القديم (جلال حرب) أمّا المطربة فكان يقصد بها المطربة (عائشة حسن) ثم وجه الحديث لى قائلاً (الغنوة التانية دى ح يلحنها حلمى أمين ليغنيها المطرب الجديد مصطفى فتحى) ثم تبعها بكلمة خلاص ..

خرجت من المكتب لا أصدق ما حدث فقد حصلت للتو على جواز وتأشيرة المرور إلى دنيا طالما حلمت بها يرجع الفضل فيها للصديق المرحوم الملحن الكبير (فؤاد حلمى) رحمه الله وجازاه خيراً عما فعل ، أما مطلع أغنية عائشة حسن فقد كان

يللى الزمان غيرك ... آخرتها إيه وياك

خايفة ليوم أهجرك ... من كتر غُلبى معاك

أما أغنية مصطفى فتحى (موظف بنك مصر) فكان مطلعها

أعاتبه ليه ... واحاسبه ليه

عشان كلام ... قالوه عليه

لا عمره حب ... ولا كانله قلب

ولا له حبيب ... يعود إليه

وللعلم فإن (حلمى امين) ملحن تلك الأغنية هو إبن عم الملحن الكبير (محمد الموجى) وشقيق الشاعر الصديق العزيز (عبد السلام أمين) رحم الله الجميع ، كما أن (حلمى امين) هو صاحب أغنية (عنابى) لحناً ، كما كان نقيب المهن الموسيقية الأسبق.

(٧)

بدأت واعداً فى طريق الإبداع:

خلال عامى ١٩٦١ ، ١٩٦٢ فتحت لى الإذاعة المصرية ذراعاها لتحتضن تلك الموهبة الجديدة المتمثلة فى شخصى الضعيف

تعددت صداقاتى بأهل المغنى ومن حولهم من موظفى الإذاعة المسئولين عن البرامج والإخراج .. إلخ وبدأت صلتى وصداقتى مع زميل رحلة العمر الإعلامى الكبير (وجدى الحكيم) رحمه الله والذى كان وقتها يعمل كمقدم برامج جديد بإذاعة صوت العرب وما أدراكم بإذاعة صوت العرب فى ذلك الوقت والتى غطت موجات الإرسال من الخليج إلى المحيط علاوة على تأثيرها البالغ على دولة العدو الدائم (إسرائيل) وعلى دول الاستعمار الأوربى والتى كانت أى إذاعة (صوت العرب) تحت قيادة الإعلامى ذائع الصيت (أحمد سعيد) والذى كانت كلماته أكثر تأثيراً من دانات المدافع ووابل الرصاص وتعرفت أيضاً على المخرج الإذاعى اللامع (فؤاد شافعى) نجم الإخراج فى ذلك الوقت للأعمال الدرامية بإذاعة صوت العرب وصار (كامل البيطار) أمتعه الله بالصحة أحد أصدقائى الإذاعيين المقربين وكان السر وراء علاقتى الحميمة بالثلاثة إنهم جميعاً كانوا إما مذيعين أو قائمين بالإخراج فى أقوى شبكة إذاعية فى ذلك الوقت ولم يكن هناك من يقاربنى عمراً فى الشبكات الأخرى أتخذه صديقاً ورفيق درب فى مجالى الجديد ، كما تأكدت صداقتى الحميمة بالمطرب النجم (محرم فؤاد) وكانت سهراتى الليلية إما معه أو مع أصدقائى الإذاعيين وعلى رأسهم (وجدى الحكيم) وكان ذلك قبل وبعد زواجى من رفيقة دربى أعقل وأجمل بنات الجنس اللطيف ومازالت أطال الله فى عمرها ومنحها كامل الصحة وأمتعها بصحبة أولادنا وأحفادنا طول الوقت وبمناسبة الكلام عن زوجتى فانها كانت الحب الثانى لى ولكنه كان الحب الأكيد الذى ولد لكى يشب ويعيش بيننا طيلة تلك السنوات جارفاً أمامه أوراق أشجار الصعاب والمشاكل التى عادة ما تكون بين حتى أحب الأزواج فى كافة مراحل العمر ومن جهة أخرى فإن تلك الإمرأة الرائعة كانت تتفهّم مشاعر ومطالب وظروف زوجها الذى اختار أن تكون حياته متوازية ومتوازنة بين السيف والقلم فأمسكت معى بدفة سفينة حياتنا الزوجية بقوة عابرة امواج الغضب طيلة الوقت وأمواج الشطط والخطأ حتى سكنت بعض رياح شبابى الأهوج فعدت إلى مرفأ العقل والندم فاستقبلتنى و صاحبته بكل الحب والعطف والفهم الذكى ..

خلال تلك السنتين ١٩٦١ ، ١٩٦٢ كتبت بعض الأغانى الناجحة جماهيرياً بشكل ملفت للنظر وعلى قمة تلك الأغانى أغنية (يوم الخميس) ولتلك الأغنية قصة وأحداث لا أنساها أبداً ، فلقد طلب منى أستاذى ومكتشفى (محمد فوزى) أن أكتب أغنية أفراح للاذاعة أسوة بالأغانى التى كانت تسجلها الإذاعة فى ذلك الوقت وتذيعها فى برنامج (عقبال عندكم) والذى كان له شهرة كبيرة وقال لى (فوزى) مشجعاً أنا عارف أنك ح تقدر تكتب اغنية أفراح حلوة لأن مفرداتك جديدة وأفكارك تجرى وراء الصور باستمرار والغنوة دى بإذن الله ح نقدمها للإذاعة وأديك أهه خدت كارنية العضوية و (الشجاعى) بقى عارفك كويس ، وحمسنى كلامه جداً فانفردت بنفسى داخل غرفة الطعام جالساً على أحد كراسيها وبدأت فى كتابة ما فتح به ربى علىّ فكان مطلع تلك الأغنية عابرة الأزمنة.

يا اولاد بلدنا يوم الخميس
ح اكتب كتابى وابقى عريس
الدعوة عامة وح تبقى لمّة
وح يبقى ليّة فى البيت (ونيس)
وطلبت المرحوم (فوزى) وقرأت المطلع عليه فقال لى هايل كمّل فكتبت
ح اكتب كتابى ع الحلوة زوبة
وافقت علىّ من غير خطوبة
وابوها قالّى .. ليه السؤال !!
وانت ف بلدنا زين الرجال
أنا اشتريتك .. لمّا لقيتك
(كسيب) و (عِتْرة) و (حِمِش) فى بيتك
ومادام عايزها .. وح تبقى جوزها
الغالى لاجلك يبقى رخيص
إكتب عليها يوم الخميس

واتبعت ذلك الكوبليه بكوبليه آخر ثم أمليته على (فوزى) الذى امتدحى وقالى شفت مش قلتلك .. إنت واد شاطر .. إكتبها بقى ووديها للإذاعة .. وفى ذلك الوقت كانت الأغانى المطلوب عرضها على لجنة النصوص التى يرأسها (الشجاعى) نفسه وأعضاءها الشاعر الكبير (محمود حسن إسماعيل) و شاعر الشباب (أحمد رامى) وبالفعل سلمتها وتم إجازتها مع تنويه جميل من اللجنة جميعها بأنه نص جيد .. وتم تسجيل الأغنية وإذاعتها في اول برنامج (عقبال عندكم) ونالت نجاحاً أحمد الله عليه وظلت تذاع حتى اكتشفها ثانية النجم اللامع والشامل (سمير صبرى) الذى غناها فى جميع حفلات الأفراح التى كان يحييها على مدى عشرين عاماً خلت فأصبحت تلك الأغنية (نجمة شباك) إذا صح التعبير .. ولمن اطلع على ما كتبته عن تلك الأغنية بين قوسين أريد أن أوضح الآتى :-

- (ونيس) كان هناك جار يقطن بنفس العمارة التى أسكنها إسمه (ونيس) كما إنه يمتلك محلاً أسفل العمارة بنفس الإسم وداعبته وقتها قائلاً شهرتك يا خواجه ونيس فى أغنية أخيرة كتبتها ، اما باقى الكلمات بين القوسين هى مفردات لم يسبق لشاعر أغانى أن أوردها فى نص كتبه .. وهذا فقط للعلم لا للتفاخر

فى ذلك العام أيضاً ١٩٦١ كنت قد عرضت على (محرم فؤاد) أغنية (غدارين) الذى سبق التنويه عنها فطار بها لأنها لمست جرحاً غائراً فى قلبه رحمه الله بعد أن غدرت به من وجهة نظره الفنانة الكبيرة (تحية كاريوكا) التى تزوجته لبعض الوقت وقام (محرم) فى سرية تامة بتلحين الأغنية وغناها فى حفل أذيع بالتلفزيون والإذاعة في نهاية عام ١٩٦١ فاستحسنها الجمهور جداً وكنت أنا طبعاً فى غاية السعادة لتلك الخبطة الثانية فى عام واحد

في عام ١٩٦٢ كتبت أكثر من أغنية ناجحة (للثلاثي المرح) أولها كانت أغنية (جانا تلات عرسان) والتي بها بدأت أشتم رائحة التحول الإشتراكي وأستطيب مذاقه مع المد الثوري الناصري الذى قطعاً أثر فىّ بشكل كبير حينئذ ولحن (جانا تلات عرسان) الملحن المتنوع والمقتدر (محمد الموجى) بينما أتبعت الأغنية السابقة بأغنية (للثلاثي المرح) أيضاً بعنوان (حبيبي عامل بيومية) والتى يفهم موضوعها من عنوانها لحنها الملحن والموزع الماهر (على اسماعيل) بينما كانت الأغنية الثالثة للثلاثى هى (خلاص كبرنا على الشكولاته) والتى لحنها الموزع الشاب المجدّ والمجدد (حلمى بكر) .. ولم يفتني أن أتعاون مع من كان له فضل التعرف على (الشجاعى) صديقى الأستاذ (فؤاد حلمى) فلحن لى (للثلاثى الطروب) أغنية بعنوان (ماما يا ماما) بجانب عدة أغانى أخرى من مختارات الإذاعة أو من إنتاج التلفزيون لم تنل نجاحاً بارزاً للحديث عنها

(٨)

أنا وصديقى الأمريكانى من شبرا:

كانت السنوات من ١٩٦٣ – ١٩٦٦ سنوات الإخصاب والإنتاج المتميز كماً وكيفاً ، كما تعددت فى تلك السنوات علاقاتى وصلاتى مع الكثير من أهل المغنى وخاصة الملحنين والمطربين وبدأت أغزو ميادين إنتاج لم يكن لى بها صلة من قبل.

فى عام ١٩٦٢ على ما أتذكر وأثناء تصفحى لمجلة (الجيل الجديد) وقعت عيناى على صورة فى باب الفن يضع صاحبها على رأسه تاجاً من الريش ممن يستخدمه عادة (الهنود الحمر) وتحت الصورة خبر عن اسم صاحب الصورة (محمد سالم) زميلى بمدرسة التوفيقية الثانوية عامى ١٩٤٨ ، ١٩٤٩ وقد أوضح الخبر عن صاحب الصورة ملخصه كالآتى (عاد من الولايات المتحدة الأمريكية الممثل والمخرج الشاب الذى أدى دراسته الأكاديمية بأحد كليات الفنون بهوليود .. وتذكرت على الفور أن (محمد سالم) قد فعلها فعلاً وسافر إلى أمريكا لدراسة التمثيل والإخراج والذى كان قد عرض علىّ ذلك ملحاً خلال الدراسة بالمدرسة التوفيقية الثانوية ولكننى أفهمته حينئذ أننى لا أستطيع أن أعبر حتى بعد كوبرى شبرا دون إذن والدى فما بالك بسفرى إلى أمريكا .. لأ يا عم سافر إنت لوحدك والله يوفقك ، وها هو (محمد سالم) قد وفقه الله فعلاً والذى علمت بعد قراءتى لذلك الخبر بأيام قليلة أنه أصبح مخرجاً بالتلفزيون المصرى الذى كان يقع فى المبنى الذى يشغله بالعمارة خلف العمارة التى أسكن بها ويشغل فيها التلفزيون آنذاك الدورين السادس والسابع على ما أتذكر ..

قررت الذهاب للقاء (محمد سالم) بمبنى التلفزيون خلف منزلنا وكانت مقابلة حارة بالسلامات والأشواق ولاحظت أن (محمد سالم) أصبح أكثر تلقائية وعفوية وباختصار شديد أصبح (واد أمريكانى بصحيح) .. أهلاً يا ابو الصلح يا بتاع زمان .. إنت بتشتغل إيه ؟ فأفهمته أننى نقيب بالقوات المسلحة وضمنياً أوضحت له أننى أصبحت شاعراً غنائياً لى عدة أغانى تم إذاعتها أو عرضها على شاشة التلفزيون فصاح بطريقته الجديدة فى التعبير very good أنا ح أعوز منك شغل كتير بإذن الله بس أنا مركز دلوقتى مع حسين السيد ومحمد الموجى ومحمد عبد الوهاب ..

انصرفت من عند (محمد سالم) بعد هذه الليلة الإفتتاحية أطمئنت نفسى بانفتاح أكبر على دنيا التلفزيون والذى أصبح (محمد سالم) أحد مخرجيه الكبار والمشهورين .. ويجدر بى هنا أن أذكر أهم ما يميز شخصية ذلك المخرج الكبير فيما بعد بالتلفزيون والذى كان يعتمد ويثق فيه ثقة عمياء الدكتور (حاتم) رجل ثورة يوليو والذى كان مسئولاً عن الإعلام في مصر لمدة ليست بالقليلة ثبت فيها دعائم ذلك المبنى الكبير على كورنيش النيل وحتى من قبل ذلك وقت أن بدأ إرساله من المبنى القديم بعمارة (ڤينوس)

تبنى الدكتور (حاتم) (محمد سالم) فكرياً وفنياً وأصبح موضع ثقته الكاملة حتى أنه فى مرحلة من المراحل منح (محمد سالم) الصلاحية الكاملة فى التوقيع على أية ميزانيات تخص الإنتاج الفنى بهذا المبنى الكبير وكانت هناك تشنيعة شائعة عن سلطات (محمد سالم) فى أنه كان يوقع على أية أوراق تعرض عليه دون النظر فى فحواها وأنه قام بالتوقيع على تصريح أجازة لمجند بالقوات المسلحة مانحاً إياه إمتداداً بتصريحه ، وكانت تلك بالطبع تشنيعة (أوڤر) ..

لكن (محمد سالم) كان أمريكى السلوكيات للنخاع وحدث أنه كُلف بالإشراف على حفل زواج السيدة (منى) إبنة الرئيس الراحل جمال عبد الناصر وأرتأى الرئيس أن يتأكد من تمام الترتيبات فاصطحبه (محمد سالم) للمرور والتأكد من انتظام العمل .. إلخ .. وإلى هنا وأترك الحديث لزميلنا الثالث بالمدرسة التوفيقية والذى أصبح فيما بعد زميلاً لى بالمدرسة الثانوية ثم الكلية الحربية وضابطاً بسلاح المشاة ثم انتقل للحرس الجمهورى إلى الحرس الخاص للرئيس جمال عبد الناصر .. والكلام هنا كله كان على لسان (جلال فرج) .. بصيت يا صلاح ولقيت (محمد سالم) الله يخرب عقله يضع يده على كتف الرئيس جمال عبد الناصر فى تلقائية وعفوية أمريكية و هو يشرح له ما تراءى له أثناء سيرهما سوياً ويعقب (جلال فرج) قائلاً بقيت مش عارف أعمل إيه أو أنبه (محمد سالم) إزاى .. لكنه يبدو وأنه تنبه لذلك فأنزل يده بعد قليل دون اعتذار أو وجل وابتلعها الرئيس (جمال عبد الناصر) الذى كما يبدو قد فهم بالطبع أن (محمد سالم) لا يقصد أو يقدّر معنى ذلك السلوك المتناهى فى الديمقراطية الأمريكية لا ديمقراطية (عبد الناصر) ..

أصبح محمد سالم فى سنوات قليلة أشهر إسم مخرج منوعات بالتلفزيون المصرى ، كما أخرج فيلمين سينمائين هما (منتهى الفرح) و (القاهرة بالليل) وبعد نكسة عام ١٩٦٧ وإبتعاد الدكتور (حاتم) عن إدارة الإعلام .. ابتعد أيضاً (محمد سالم) وافتتح مكتباً للانتاج بشارع قصر النيل وظف فيه أحد مساعديه السابقين (محمد عيسى) وأنتج أغانى مصورة ووزعها بالبلاد العربية ، واتجه (محمد سالم) للأعمال التجارية فافتتح سينما (المعمورة) وأدار عدة نشاطات حتى رحيله المفاجئ فى عز شبابه بعد أن تزوج زواجاً سريعاً غير موفق وأنجب بنتين من ذلك الزواج .. رحم الله (محمد سالم) نجم التلفزيون فى عصره الذهبى

(٩)

علشان خاطر عيون عمتى:

فى تلك السنوات أيضاً تعرفت على (محمد ضياء الدين) زوج المطربة السورية (ندى) واللذان أنجبا الملحن (محمد ضياء) الإبن وكان الأبوان يُعرفان فى أول عهدهما الفنى بمصر باسم الثنائى (ضيا وندا) وكان الشاعر الكبير (مأمون الشناوى) يشنع عليهما بتسميتهما (غدا وعشا) أى بمعنى أنهما كان دوماً على موائد الفنانية الآخرين على الغذاء أو العشاء ..

بعد سوء تفاهم حاد فى موقف ما لا أتذكره تماماً تم التصالح بينى وبين ذلك الأصلع الذكى والذى كان يمتلك القدرة على إقناع كائناً من كان بوجهة نظره حتى وإن كانت وراءها (خلاص حاضر ما تقرفنيش بقى) ، كما كان يمتلك خفة ظل تلقائية تسهل له أموراً كثيرة وتفتح له جميع الأبواب المغلقة ، كما كان علاوة على صوته الحسن ملحناً صاحب جملة موسيقية جديدة متمكناً ومتنوعاً .

بعد تأميم شركة (مصر فون) التى أنشأها (محمد فوزى) أصبح إسمها شركة (القاهرة للصوتيات والمرئيات) و دعم (محمد ضياء الدين) علاقته بقوة وتأكيد مع نائب رئيس الشركة والمسئول عن الإنتاج وتوج تلك العلاقة بالروابط الأسرية ومن هنا أصبح لو أراد (محمد ضياء الدين) أن يسجل كل يوم أسطوانة لتلك الشركة لفعل وقد نابنى من ذلك الحب جانب والحمد لله بفضل (محمد ضياء الدين) عدة أسطوانات (لندى) ، (مها صبرى) و الممثلة الكبيرة (ماجدة) ، ونشيد وطنى (جيل الثورة) من أجمل ما كتبت أشترك فى غنائه (فايدة كامل) ، (سعاد محمد) ، (شريفة فاضل) ، (ندى) ، (عادل مأمون) كما سجلت لى (شادية) أغنية (أنا أترجاه) ، كما سجلت أسطوانة (إضحك للدنيا) التى جمعت بين (يوسف بك وهبى) ، (أمينة رزق) ، (وداد حمدى) ، الموسيقار (أحمد فؤاد حسن) صاحب الصوت الأجش لعيب خلقى فى حنجرته ولكن تعمد (محمد ضياء الدين) أن يشركه أيضاً فى تلك الأسطوانة العجيبة ، كما سجلت أيضاً الفنانة (سميرة أحمد) لنا أسطوانة تحمل أغنيتى (سهانى) ، (دوقنى حنانك) وسجلت لنا (شريفة فاضل) اسطوانة بعنوان (يا واد أنت) كما سجلت (طروب) أغنية لنا بعنوان (دو رى مى) ولم يقتصر نشاطنا سوياً (محمد ضياء الدين) وأنا على تلك الأغانى فحسب بل سجلنا أغنية (مشتاقالك) التى غنتها (ليلى مراد) لشركة (صوت الفن) وأغنية (نازلة السلالم) وهى أغنية أفراح (لشريفة فاضل) ولشركة (بيبلوس) سجلت (شريفة فاضل) أغنية (حبنّى) ، أغنية (يا هوى يا ابو العجايب) وغنت لنا (شادية) أغنية من مختارات الإذاعة باسم (كلك حنية) وفى فيلم حارة السقايين غنت لنا (شريفة فاضل) أغنية (سنية) كما سجلنا سوياً عدة أغانى أخرى لإذاعة الكويت علاوة على الأغانى الخاصة وكما بدأت علاقتى (بمحمد ضياء الدين) بإشكال انتهى على خير انتهت العلاقة بلا مناسبة وآدى وش الضيف ورحل (محمد ضياء الدين) عن عالمنا تاركاً عدة أغانى جميلة أشهرها للأطفال كما ترك بعده زوجته (ندى) تجر أذيال الذكريات مع ذلك الأصلع الذكى كما ترك وراءه إبنا صاحب موهبة واضحة فى مجال التلحين .. رحم الله (محمد ضياء الدين) ملك المفاجآت السعيدة كثيراً والأليمة قليلاً ..

سمح لى جواز مرورى للإذاعة أن أتجرأ وأتحمس وأكتب أغنية اجتماعية ناجحة ظلت عند تسجيلها بالإذاعة عام ١٩٦٣ وحتى وقتنا هذا من أكثر الأغانى الإذاعية الإجتماعية نجاحاً وانتشاراً .. ألا وهى أغنية (أكتر تلاتة باحبهم) التى لحنها (ما أعرفش إزاى) الملحن (المودرن) (منير مراد) ذلك اللحن المتناهى فى شرقيته والذى غناه (إسماعيل شبانة) صاحب الصوت الرخيم والشقيق الأكبر للمطرب ذو الإحساس المرهف (عبد الحليم حافظ)

كان يسعدنى كثيراً وبعد أن أذيعت تلك الأغنية فى مطلع ١٩٦٣ أن يمتدحها القريب والغريب والزملاء من الشعراء وخاصة بعد أن كانت تذاع تقريباً يومياً فى برنامج (ربات البيوت) الذى كانت تقدمه الإذاعية المخضرمة (صفية المهندس) زوجة (بابا شارو) رحم الله الإثنين ، وكان أشد ما أسعدني من إطراء فى وقته عندما قال لي زميل شاعر معروف (إذا كان حسين السيد كتب أغنية « ست الحبايب » عن الأم فأنت كنت أول من كتب عن الزوجة والأولاد فى أغنية جميلة)

صارت الإذاعة بيتي الفني الأول الذى أقصده بما احمله من أغانى جديدة وفى عام ١٩٦٣ كتبت للإذاعة بعد أغنية (أكتر تلاتة باحبهم) أغنية (زى البحر غرامك) والتى لحنها الملحن الكبير (محمود الشريف) وغناها عندليب الإذاعة (محمد قنديل) وفى تلك السنة أيضا كتبت عدة أغانى أخرى كان أشهرها وأقربها لقلبي أغنية (اربع بنات) ولهذه الأغنية التي لحنها (عبد المنعم الحريرى) وغناها (إسماعيل شبانة) قصة قصيرة أحكيها فى عجالة

كانت لي عمة رحمها الله لديها أربعة بنات وفقدت بالموت خمسة بنات أخريات وكانت هذه العمة قريبة إلى قلبى عشت فى بيتها وبين بناتها الأربع من بينهن أثنتان أكبر منى وأثنتان أصغر منى قرابة العامين بعد وفاة أمى ، ويبدو أننى أردت أن أهون عليها عدم إنجابها لأولاد ذكور عندما أصبحت صاحب حضور فكرى يسمح لى بتوجيه مشاعر إنسانية واجتماعية تخفف من آلام نفسية قد تكون قد ترسبت بداخل عمتى ومن هن على شاكلتها فكتبت تلك الأغنية التى يقول مطلعها:

أربع بنات من غير ولد ... طيب وماله يا اهل الملام

إحنا النهاردة . فى البلد ... البنت زى الولد تمام

وان كان حرمنى من الصبيان

عوضنى عنهم كل حنان

يا رب زيدنى كمان وكمان .. خِلفة بنات ..

وبعد أن أذيعت تلك الأغنية التى وافقت عليها بالطبع لجنة النصوص فوجئت بقرار تعسفى لا أدرى ممن وهل هو قرار إجتماعي تربوى ، أم أنه مثل كثير من قرارات ذلك العهد المتربص بمثل من هم مازالوا فى بداية طريقهم إلى النجاح ، ومنعت إذاعة الأغنية التي فرحت بها عمتى طبعاً جداً والتي كتبتها لخاطرها وخاطر أمثالها ولست مشجعاً كما أتهمنى من أوقف إذاعة الأغنية بالتشجيع على زيادة النسل !!

لكن بعد سنوات أفاق الغافلون وسمح بإذاعتها مرة أخرى

(١٠)

الليلة العظيمة أبعدتنى عن ليالى بليغ حمدى:

في عام ١٩٦٣ كان أول لقاء لى مع عبقرى الموسيقى بحق (بليغ حمدى) عندما جمعتنى به أغنية خاصة بإذاعة أمريكا لمغنية إسمها (وفاء بغدادى) وكان عنوان تلك الأغنية (من تلاتة ونص) ويقول مطلعها :-

من تلاتة ونص واقفة فى الميدان

لما دقت ساعته خمسة

ناس كتيرة جت ومشيت من زمان

وانت ليه ماجيتشى لسه !!

خايفة أمشى تيجى بعدى

بس خايفة استنى وحدى

من تلاتة ونص واقفة ..

وهى أغنية كما يبدو ومن مطلعها أغنية درامية تحمل فى جنباتها مشاعر وأحاسيس ثقل الإنتظار على محب يُشك فى استجابته للإلتزام بموعد قطعه سابقاً وكانت هذه الأغنية مع أغانى أخرى لحنها لى بليغ بالإذاعة وبالتلفزيون ولكنها لم تنل النجاح الذى كنت أنشده مع ذلك الفنان العبقرى الذى بدأت علاقتنا سوياً منذ أن كنا يعرف كلانا الآخر بسبب الجيرة من جهة بحى شبرا وكان شقيق بليغ الأصغر (حسام حمدى) زميلى وصديقى بالمدرسة التوفيقية ثم بالثانوية العسكرية ثم بالكلية الحربية ثم ضابطاً حتى وفاته رحمة الله عليه وهو برتبة العقيد المهندس بعد أن ألتحق بالكلية الفنية العسكرية

كان (بليغ حمدى) رحمه الله فناناً بوهيمياً عبقرياً بينما كنّا أنا وأخيه (حسام) ملتزمين إلى حد كبير بحكم طبائعنا المشتركة وطبيعة الحياة العسكرية وتقاليدها المعروفة

بالطبع كان يسعدنى جداً ان أتعاون مع (بليغ حمدى) وأشاركه نجاحه غير المسبوق لملحن فى زمن الفن الجميل ولكن هكذا شاءت الأقدار والخير فيما أختاره الله عز وجل

للإذاعة لحن لى (بليغ حمدى) لحناً واحداً لأغنية بعنوان (عزيزنا المحرر) وغناها (الثلاثى المرح) وموضوعها (تشكى أختان لمحرر باب المشاكل بأحد المجلات من أن والدهما يرفض أن تتزوج الأثنتان قبل الأخت الكبرى ويطلبان من المحرر أن يخاطب عقل وقلب الأب بعدم التمسك بتلك العادة التى كانت متوارثة جيلاً بعد آخر إلى وقت قريب وانتهت أو كادت على ما أعتقد الآن ..)

أما فى التلفزيون حيث أتاح لى (محمد سالم) فرصاً أكبر وأكثر فقد لحن لى (بليغ حمدى) أغانى كان أولها (العصفورة) التى غنتها المطربة (ضحى ابراهيم) خالة المطربة (أنغام) وأغنية (شريفة فاضل) (م الباب للطاق) وأغنية (من أولها) (لنادية نور) ، أغنية (شكوة حب) (لعبد اللطيف التلبانى) وانتهى تواصلى فنياً مع (بليغ حمدى) لأسباب كثيرة منها ما ذكرته قبل ذلك فبليغ رحمه الله جمع حوله شعراء قادرين على مسايرته فنياً وانسانياً فى جميع شطحاته إيجاباً وسلباً ولم أكن أنا من ذلك النوع من البشر ..

وفي عام ١٩٦٣ كتب الله لي أن أدلى بدلوى فى أوبريت (الليلة العظيمة) المستقاه أحداثها من تاريخ الشعب المصرى صعوداً وهبوطاً عبر القرون والأجيال المتلاحقة حتى قيام ثورة ٢٣ يوليو ..فكان أن أستعان بي الملحن الكبير (عبد الحميد عبد الرحمن) مع المخرج (فؤاد الجزايرلي) فى كتابة سيناريو الأوبريت الذى استوفيت المعلومات التاريخية الخاصة بالعمل من قراءاتى للمؤرخ الكبير (عبد الرحمن الرافعي) ومن أبواب الميثاق الوطنى الذى كنت احفظ أبوابه العشرة تقريباً عن ظهر قلب بحكم تدريسى للطلبة الضباط والدرجات الأخرى فى محاضرات التوجيه المعنوى ومنها بالطبع دراسة الميثاق الوطني الذى صدر بعد الإنفصال عن سوريا وصدور القرارات الإشتراكية والاتجاه الإشتراكى للدولة وكتبت أيضاً بعضاً من الأغانى الوطنية والحماسية المواكبة للأحداث بالأوبريت والتى لحنها أ / عبد الحميد عبد الرحمن وتم عرض أوبريت (الليلة العظيمة) على مسرح البالون الموجود بمنطقة نيل العجوزة لمدة عامين متواصلين واشترك فيه نخبة من الفنانين تمثيلاً وغناءاً

عام ١٩٦٣ أيضاً كتبت أغانى مسرحية (لوكاندة الفردوس) التي لحنها الملحن المتمكن (عبد العظيم محمد) وغناها (الثلاثى المرح) وبمناسبة ذكر اسم (عبد العظيم محمد) فإنه كان ملحن يجمع ما بين الثقافة الموسيقية العالية والروح الإنسانية المتناهية في الدعة والسكون وكان بحق مثال الملحن الملتزم (م البيت للاذاعة والعكس) ولم يكن يسعى إلى شهوة المال ولكنه كان يهمه فى المقام الأول أن يثنى النقاد والعامة على أعماله الغنائية التى برع فيها وأعطى لها كل جهده وفكره حتى وفاته رحمه الله ..

كان أول لحن لأغنية أكتبها (للثنائي بدر) هو صاحبه باسم (التالتة تابتة) للتلفزيون ثم أتبعه بلحن أغنية (اليوم العظيم) عن تحويل مجرى النيل لتغنيه (سناء البارونى) للتلفزيون ثم لحن (عايزين نخش الكلية) (لثنائى بدر) أيضاً بالتلفزيون ثم لحن (فستانى الجديد) (لوفاء مصطفى) بالتلفزيون

وتتابعت الأغاني مع هذا الملحن الخلوق العظيم (عبد العظيم محمد) فيما تلى ذلك من سنوات بالإذاعة والتلفزيون وصوت القاهرة يأتى ذكر بعضها فى مجاله ومناسبته

كان (عبد العظيم محمد) لا يلحن إلا فى حضرة المؤلف أو المطرب حسب الحالة وكان موعدنا دائما بشقته الكائنة بالدور الرابع في المنزل الذى فى دروه الأرضى أحد أشهر مطاعم الفول وهو مطعم (نجف) بشارع رمسيس .. أذهب في الموعد تفتح لى المرحومة زوجته أم (طارق وإيمان) وادخل إلى حجرة مكتب (عبد العظيم) وأجلس أمامه بعد التحية و إحتساء كوباً من الشاى وبعض قطع من بسكوت (أم طارق) ثم يخرج النص الغنائى من درج المكتب ويمسك بعوده ويقول بسم الله الرحمن الرحيم ثم يبدأ في استحضار ما ألهمه به فكره من نغمات وعندما يستقر على ما وصل إليه يسمعنى إياه ويأخذ رأيي وبعد الموافقة كان يبدأ في كتابة النوتة الموسيقية للحن حتى الانتهاء من الأغنية بكاملها يطمئن لرأيى النهائى ثم أتركه ليحجز موعداً للتسجيل بعد أن يحفظ اللحن المطرب أو المطربة المختارة ..

كانت هذه طريقة (عبد العظيم محمد) فى التلحين يبدأها وينهيها أمام باقى أضلاعها (المؤلف أو المطرب)

كانت أيام وكان أسلوب وكانوا فنانين

(١١)

ويمضى قطار الإبداع:

كانت ابتسامة القدر السعيد لى فى تلك السنة ١٩٦٣ وما بعدها فاتحة خير كللها تلك العلاقة الوثيقة مع (محمد سالم) فتى الإخراج التلفزيوني الأول والذى تحمس للغاية عندما كتبت فى تلك السنة أغنية بعنوان (جيم ميم ألف لام) وهى حروف إسم جمال وطبعاً كنت أقصد به الإسم الأول للرئيس الراحل (جمال عبد الناصر) وتحمس أكثر وسعد عندما عرض على الموسيقار والموزع الموسيقى المشهور (أندريه رايدر) نص الأغنية لتلهمه بلحناً أوركسترالياً استخدم فى تنفيذه جميع الآلات بفرقة الموسيقى العسكرية والتى استعان بها وبكورال الأوبرا ليضع لحناً عظيماً ظل يعرض ويذاع طيلة أربعة سنوات تالية وحتى نكسة عام ١٩٦٧ ، ولقد أبدع (محمد سالم) في إخراج ذلك العمل الذى نال شهرة وثناء يستحقه بلاشك .. ولم يكن نفاقاً أو تذلفاً للرئيس الراحل (جمال عبد الناصر) ولكن ذلك كان بدافع الحس الوطنى والإيمان بإنجازات زعيم ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ التى لا تخفى على أحد أو ينكرها إلا مكابر..

وكان أيضاً اول لقاء بينى وبين المطربة الحسناء (مها صبرى) خلال أغنية (عندى شوق) التي لحنها محمد الموجي والتي اختارها محمد سالم ليضعها فى فيلم (القاهرة فى الليل) السابق التنويه عنه والتى يقول مطلعها :-

عندى شوق مالهوش نهاية ... عايزة أقولك ميت حكاية

ربع ساعة مش كفاية ... نص ساعة مش كفاية

عايزة أشوفك كل ساعة ... يا حبيبى ..

فى تلك السنة أيضاً فاتنى أن أذكر أن العبقرى (بليغ حمدى) قد لحن لى أغنية بعنوان (أقدر قوى) والتى سجلتها المطربة الكبيرة (صباح) لإذاعة الكويت والتى يقول مطلعها :-

أقدر قوى ما اقدرش ليه

واهجر قوى راح تعمل ايه !!

هوة انت مين يعنى عشان

تعمل كده واسكت عليه

كان حظى عظيماً عام ١٩٦٤ عندما لحن لى العملاق (رياض السنباطى) أغنية لإذاعة فلسطين التابعة لشبكة صوت العرب بعنوان (ساعة الصفر) ليغنيها المطرب ذو الصوت القوى المعبر (كارم محمود) وكانت كلمات الأغنية كلها بالطبع موجهة تنذر إسرائيل بأنه فى (ساعة الصفر) ستقوم جحافل الجيوش العربية لمحوها من الوجود (هكذا كنت آمل كما كانت كل الشعوب العربية تأمل) ولكن الأمل شئ والعمل على تحقيق الأمل شئ آخر .. وفى عام ١٩٦٤ كتبت أكثر من أغنية وطنية تدعو و تثنى على الخط الإشتراكى الذى سارت فى طريقه الدولة فى ذلك الوقت فكان من بين تلك الأغانى أغنية (أنا خدت وسام) التى لحنها الملحن المخضرم (محمد عمر) وغناها المطرب الشعبى الشاب فى ذلك الوقت (محمد العزبى)

يدور موضوع الأغنية عن سعادة فلاح بحصوله علي وسام من الدولة لتفوقه فـي انتاجيـة أرضـه واقبالـه علـى زوجتـه يعلـن عليهـا الخبـر السـار معاهـداً الله والوطن على استكمال ومداومة النجاح

وفى عام ١٩٦٤ أيضاً كان بداية تعاونى من الملحن الكبير (أحمد صدقى) فى أغنية (جالك وقتك) والتى غناها (كارم محمود) ويقول مطلعها :-

جالك وقتك يا ابو الهول

تتكلم ع الاتنين دول

اللى جهادهم بيكرمهم

واللى عرقهم ملو هدومهم

فى الجلابية والأفرول

مـن ضـمن الأغـانى التـى سـجلتها فـى عـام ١٩٦٤ لا أنسـى ان أذكـر أغنيـة (العقل زينـة) التـى لحنهـا (عبد العظيم محمد) وغناهـا (محمد قنديل) وسـجلها التلفزيون لتذاع فى قنواته وفـى عدة حفلات (لأضـواء المدينـة) فيمـا بعد ويقول مطلعها :-

مادام ناسينا وبيجافينا ... وكل همّه يتسلى بينا

إتقل يا قلبى واعقل وخبّى ...ده التقل صنعة والعقل زينة

فى عام ١٩٦٥ لحن لى الموسيقار الكبير (رياض السنباطى) أغنية للمطربـة (ضحى إبراهيم) الوافدة من الأسكندرية فى ذلك الوقت والتـى اختارهـا (محمد سالم) لتغنى أغنية (باستغرب)

فى نفس العام أيضاً كتبت للمطرب الكبير (محرم فؤاد) أغنية (يا أيام) والتى وضعها فـى فيلم (عتـاب) الذى مثلـه وصـوره بلبنـان بـدلاً من مصـر لأسباب لا أعرف حقيقتها بالضبط ، كما لحن لى حلمي بكر أغنية (النص الحلو) للمطـرب الشاب آنذاك (ماهر العطار) والتى سجلها لشركة (صـوت القـاهرة) والتـى يقول مطلعها :

النص الحلو مدوبنّى ... لكن يا خسارة مغلبنّى

أول ما افتحله وارتاحله ... وأدوق من عسله ألاقى نحله

يقرصنى ف قلبى ويسيبنى

كما غنى لى (محمد قنديل) فـى تلك السـنة أيضـاً أغنيـة (دلوعـة) التـى لحنهـا (عبد العظيم محمد) وكان مطلعها :-

دلوعة متوهانى ... فى ليالى من الأمانى

توعدنى وتخلى بيّة ... مش مرة ولاّ ميّة

ما اعرفشى محبة منها ... ولاّ واخداها غيّة

في نفس العام كلفتنى إدارة الشئون المعنوية للقوات المسلحة أن أكتب نشيداً لسلاح المدرعات لحنه الملحن الكبير (محمود الشريف) وسجله بأصوات كورال فريق الموسيقى العسكرية للقوات المسلحة باستوديو مصر وأذيع النشيد عدة مرات باحتفالات القوات المسلحة حتى نكسة عام ١٩٦٧

فى عام ١٩٦٦ كلفتني شركة (صوت القاهرة) بكتابة أغنية للمطرب الشعبى الكبير (محمد عبد المطلب) فكتبت له أغنية (المرتاحين) التى لحنها عديله (محمود الشريف) وكان مطلعها يقول :-

المرتاحين فى الحب مين ... يا قلبى قولّى

لما اللى حبّوا سهرانين ... يشكوا تملّى

ولا حد مال ... إلا امّا قال

المرتاحين فى الحب مين

كان لقائى الأول مع المطربة (هدى سلطان) شقيقة (محمد فوزى) فى أغنية اجتماعية لحنها (عبد المنعم الحريرى) بعنوان (على باب شقتنا) التى كان مطلعها

على باب شقتنا الحلوة

يا شريك أيامى الحلوة

حطيت خمسة وخميسة

وسنابل قمح وحدوة

يكتبوا لنا حظ سعيد

و يودوا الشر بعيد

عن باب شقتنا الحلوة

وفى تلك السنة أيضاً كتبت للاذاعة أغنية (كلك حنية) التى غنتها معبودتى (شادية) من ألحان (محمد ضياء الدين) ويقول مطلعها :-

كلك حنية يا حبيبى .. كلك حنية

ولا فيش زيك فى الدنيادى ... واحد فى المِيّة

الحب الله يعمر بيته أتوصّى بقلبى

وبعقلى هواك يملى حياتى ... ودى أغلى هدية

وكان لى أول تجربة فى كتابة المونولوجات مع (لبلبة) التى أدت مونولوج (بص شوف حبى عملك إيه !!) التى لحنها الملحن السكندرى الذى رحل شاباً (منير المليجى)

لم تغن لى (فايزة أحمد) رحمها الله سوى أغنية واحدة سجلتها لإذاعة الكويت من ألحان د/ يوسف شوقى ولعدم استمرار تعاونى مع المطربة الكبيرة (فايزة أحمد) قصة وأسباب أذكرها فى حينه

كانت أغنية (بس بس نوّ) لشادية هى أحد أهم الأغانى التى كتبتها عام ١٩٦٦ وتقول الكلمات الأولى للأغنية التى لحنها الملحن الكبير قامة وقيمة (محمد الموجى) والتى هنأنى على تأليفها قبل تسجيلها بالإذاعة رئيسها فى ذلك الوقت المرحوم (عبد الحميد الحديدى) ومطلعها كان :-

بس بس نوّ يا بس بس نوّ ... الأيام عمالة تحلوّ

شمس الخير طلعت ع الطير ... باس الأرض وطار فى الجو

عمّال يِعلا وشايل شُعلة ... مهما الريح تعاكسها ولو

الأيام عمالة تحلوّ

فى عام ١٩٦٧ لم يكن لى من الإنتاج سوى ٣ أغانى بسبب ظروف تواجدى باليمن ثم أزمة ونكسة عام ١٩٦٧ والتى كان لها تأثير نفسى سلبى بالطبع لم يستمر طويلاً والحمد لله ..

(١٢)

حبايبى ولاد كارى:

قبل أن يمضى بى قطار الذكريات إلى محطات أخرى فى رحلتى المتواضعة بالوسط الغنائى والفنى ، أجد أن لزاماً علىّ أن أذكر نبذاً خاطفة عن شخصيات من جيلى وضعت بصمة واضحة على سجل التأليف الغنائى صاحبتنى ولازمتنى وكُتب لبعضها التميز والتفوق والريادة ، كما أن لذلك الفارس الجامح الذى إسمه (الحظ) دور كبير وخطير فى شهرة وانتشار أسماء أخرى كما هو الحال عادة فى كثير من شئون الناس والحياة ..

- كان الصديق الصدوق .. الرقيق الخلوق .. العملاق المتواضع بصدق وحق .. الشاعر العظيم ذو الخلق الكريم والإنتاج الغزير بالفكر المستنير والقلم القدير على تخطى حدود أشعر شعراء جيله ، بل وحتى من هم أشعر شعراء جيل العمالقة .. إنه أخى وحبيبى (ألفا) دفعتى والأستاذ بمعهد تجديد أفكار ومفردات الشعر الغنائى منذ أواخر خمسينيات القرن الماضى وحتى رحيله فى ١٩٩٦/١/١٥

إنه (عبد الوهاب محمد) ذلك الإسم الذى بدأت شهرته وذيوع صيته بأغنية (ماتحبنيش بالشكل ده) للراحلة ذات الصوت الدافئ العميق المطربة الكبيرة (فايزة أحمد) وتلحين عبقرى عباقرة التلحين فى جيله والذى يمتد صدق عبقريته وابداعاته حتى الآن ولسنوات قادمة كثيرة (بليغ حمدى) ، وكانت تلك الأغنية من انتاج الإذاعة المصرية عام ١٩٥٨ على ما أتذكر ،

كان عبد الوهاب محمد يكبرنى بعدة سنوات فهو من مواليد نوفمبر ١٩٣٠ ولكنه كان يسبقنى بمراحل فى قيمته وقدرته الشعرية والتى أعترف بأننى تأثرت به وبأسلوبه إلى حد ما فى مقتبل حياتى الفنية ولمَ لا وقد كتب لسيدة الغناء العربى وكوكب الشرق وربما الغرب أغنية (حب إيه اللى انت جاى تقول عليه) وهو فى العشرينات من عمره والتى انتقلت بأم كلثوم من مرحلة الخنوع والخضوع والضعف فى الحب الذى كان أستاذ كرسيها شاعر الشباب (أحمد رامى) إلى مرحلة الرفض والنديّة والثورة الأنثوية على جبروت الرجل وغروره .. لمَ لا وقد كتب لها بعد ذلك (ح اسيبك للزمن) من ألحان (بيتهوفن) الموسيقى الشرقية (رياض السنباطى) ..

لِمَ لا وقد أضاف إلى مكتبتها (للصبر حدود) من ألحان الفلاح الفصيح (محمد الموجى) لِمَ لا وقد أبدع وأمتع وأشبع آذان المتلقى العربى بباقى أغانى أم كلثوم التي تحمل كل معاني الكرامة والشموخ العاطفى .. رحم الله (عبد الوهاب محمد) الذى منحه ضالة الجسد بجانب عملقة الفكر وسوف يبقي (عبد الوهاب محمد) أعز الناس وأقربهم إلى قلبى والذى كان يبادلنى نفس المشاعر يقيناً كما اتضح لى فى عدة مواقف وأحداث خلال صداقتنا وعلاقتنا التى بدأت فى عام ١٩٥٧ وحتى رحيله في ١٩٩٦/١/١٥ بعد معاناته مع مرض السكر الذى كان يغار من حلاوة مذاقه الشعرى بلا شك .. ومعه حق

- فى عام ١٩٦٢ حملت رياح الجنوب الحارة عملاقاً آخر من عمالقة الشعر العامى بلهجة صعيدية خالصة .. جاء متسللاً متوجساً خيفة من ذلك الوسط القاهرى البرجوازى والتى لا تمس مفردات أغانيه رائحة (العيش الشمسى والشاى المُغالى فى غليه) ولم يكن المجتمع المصرى فى ذلك الوقت مرحباً بهؤلاء الضيوف الجدد من الجنوب وعلى رأسهم (عبد الرحمن الأبنودى) رقيق الحال شحيح المال المتخم بحكايات الأمهات والخالات والأولاد والبنات التى يرويها ويلقيها شعراً بكرياً فى قصيدة أو موال وعلى مقهى الفن الصعيدى على الربابة ... هكذا كان الذى أصبح بثقته وجرأته وإصراره أن يصل إلى أحضان وقلب الإذاعة وإلى إقناع (الشجاعي) بقيمة ذلك الولد الأشعث القادم من جوف الصعيد ليمنحه الفرصة تلو الأخرى ليسطع نجمه بسرعة ليبهرنا جميعاً مستمعين وزملاء ومتخصصين برائعته (تحت الشجر يا وهيبة) مع الملحن الكبير والقدير (عبد العظيم عبد الحق) ومع الصوت المعبر جداً والذى أصبح فيما تلا تلك الأغنية شريك الأبنودى فى معظم أغانيه ألا وهو المطرب الشعبى الكبير (محمد رشدى) رحمهم الله

كان (الأبنودي) بشعره ومفرداته وموضوعات أغانيه طبعاً فريداً لذيذاً له مذاقه الخاص الذى يضيف متعة ولكن لا تسبب تُخمة فهو قليل الدسم سهل الهضم ، رحم الله الأبنودى زميل الدفعة وصاحب (الهوى هوايا) ، (أنا عايز صبية) ، (ساعات .. ساعات) وغيرها من أجمل الأغنيات والأفكار والصياغات فى الأشعار .. توفى فى ٢٠١٥/٤/٢١ .

- فى عام ١٩٦٣ كان الشاب الوسيم الموسيقار الكبير (محمد سلطان) يخطو أولى خطواته فى عالم التلحين والذى استهله بأغنية للمطربة الكبيرة (فايزة أحمد) والذى قال أنه كان قد تزوجها ، فى ذلك الوقت كانت الأغنية لمؤلف مغمور يعمل بمطابع دار مجلة (روز اليوسف) إسمه (محمد حمزة) وكانت تلك الأغنية بعنوان (رشوا الورد مع الياسمين) ابتهاجاً باستقبال أول فوج من القوات المصرية التى تحارب فى اليمن فى ذلك الوقت والتى لاقت نجاحاً مقبولاً حينها ثم استمعت إلى أغنية أخرى من ألحان (محمد سلطان) وغناء (فايزة أحمد) ومن تأليف (محمد حمزة) بعنوان (أؤمر يا قمر أمرك ماشى) فأعجبتنى بحق نظماً ولحناً وغناءاً واشتهرت تلك الأغنية شهرة كبيرة دعمت كل من (محمد حمزة) و (محمد سلطان) اللذان كانا فى بداية طريقهما الطويل والجميل إلى رحاب الشعر والموسيقى والغناء ..

ارتبط (محمد حمزة) بعض الوقت بسلطان وفايزة ثم ابتعد كل منهما عن الآخر لأسباب لا أعلمها ولكن ما أعلمه أن (محمد سلطان) ارتبط بالوافد الجديد على الوسط الغنائى (عمر بطيشة) الذى كتب لفايزة أغنية (غريب يا زمان) والتى نجحت نجاحاً كبيراً تابعها بأغانى أخرى طويلة وقصيرة نجح بعضها ولم يصب النجاح البعض الآخر لعدة أسباب ليس هنا مجال أو وقت لذكرها يعلمها كل من (سلطان) و (بطيشة) وهم أحياء أطال الله فى أعمارهما ..

بينما سعى (محمد حمزة) بذكاء ودهاء شديدين إلى الارتباط بأمل مصر في الموسيقى على حد قول العندليب الأسمر (عبد الحليم حافظ) وأقصد (بليغ حمدى) بعد أن قدم أغنيات ناجحة مع (منير مراد) ل (شريفة فاضل) و (مها صبرى) كما كتب أغاني أفراح ناجحة ل (عايدة الشاعر) من ألحان زوجها في ذلك الوقت (سيد إسماعيل) .. لكن رحلته الموفقة إلى قارة (بليغ حمدى) الغنائية جعلته أشهر وأكثر شعراء الأغنية دخلاً مادياً من عائد بيع أغانيه ومن حقوق الأداء العلني والطبع الميكانيكى ليس بين زملاء دفعته فحسب بل مع كل من سبقوه من كبار الشعراء الغنائيين أمثال (حسين السيد) و (مرسى جميل عزيز) و (مأمون الشناوى) وذلك اعتباراً من أواسط الستينيات وحتى وفاته في ٢٠١٠/٦/١٨ .. كتب (محمد حمزة) عشرات الأغاني التي نجحت نجاحاً مدهشاً والتى لحنها (نصفه الحلو جداً) فناً وإبداعاً بدءاً من أغنية (زى الهوا) ، (موعود) ، (عاشق القمر) ، (حاول تفتكرنى) وغيرها من روائع أغانى ذلك الزمن ، كما كتب (محمد حمزة) أغنية (العيون السود) ، (حكايتي مع الزمان) وغيرها لوردة وكتب لنجاة (الطير المسافر) ، (وسط الطريق) وغيرها و (لشادية) كتب (عالي) ، (خلاص مسافر) ورائعتها الخالدة (يا حبيبتي يا مصر) وأغانى أخرى ، وكتب (لمحمد رشدى) أغنية (ع الرملة) ، (خدنى معاك) وغيرها و (لمحرم فؤاد) أغنية (ماعرفتش تحبنى) وكتب (لعفاف راضى) أغانى (وحدى قاعدة فى البيت) وغيرها

وباختصار غير مخل فقد تعاون (محمد حمزة) مع (بليغ حمدى) تعاوناً مثمراً أخاذاً جذاباً لا يمكن إغفال قيمته أو أثره وقد قيل والعهدة على من قال وذاع وأشاع أن (بليغ حمدى) هو الذى يكتب أغانى كثيرة ينسبها (لمحمد حمزة) باعتبار ان الناس لن تقبل بسهولة مسألة التأليف والتلحين مجتمعتان كموهبتين داخل دماغ (بليغ) ذلك من جهة ومن جهة أخرى أنه هو و (حليم) يستبشران بوجه (حمزة) فى نجاح الأغانى فلا مانع من وضع إسمه كمؤلف للأغانى التى يكتبها (بليغ) وللحقيقة وللتاريخ أشهد أمام الله أننى سألت (بليغ حمدى) مباشرة فى ليلة جمعتنا سوياً بمفردنا داخل شقة مكتبه بشارع أبو الفدا بالزمالك فى شتاء عام ١٩٨٢ وسألته سؤالاً مباشراً هل صحيح ما يردده الخاصة من أنك مؤلف جميع الأغانى التى تذاع بإسم (حمزة) وكنا فى ذلك الوقت نستمع إلى أغنية (موعود) من راديو بحجرة مكتبه فقال لي بالحرف الواحد (لم يكتب حمزة أى أغنية من أغانى حليم بالذات إلا وكنت الشريك الأساسى فى نظم كلماتها !!)

على كل فقد كتب (حمزة) أغانى كثيرة من ألحان مبدعين آخرين غير بليغ أمثال (محمد الموجي) ، (منير مراد) وحتى (محمد عبد الوهاب) فى أغنية (نبتدى منين الحكاية) وهكذا تظل حقيقة ذلك الأمر مجهولة وعلمها عند الله ولكن كان (محمد حمزة) أشطر وأشهر شعراء جيلى رحمه الله رحمة واسعة

لم تبخل حديقة الشعر الغنائي على أبناء جيلى من المتميزين والقادرين على الإسهام كل بنصيبه وبقدر ذكائه الاجتماعي في وسطنا الفني وبقدر حظه المكتوب والمرسوم له في مسيرته الفنية فأغدقت عليهم من ثمارها المتنوعة بين المتناهي في حلاوته وطلاوته وبين ذي الطعم اللذيذ وبين الثمر النادر العزيز فلمعت أسماء أخرى بجانب من سبق ذكرهم أخص بالذكر منهم ثلاثة لتأثيرهم الواضح فى مجال الأغنية منذ أوائل ستينيات القرن الماضى.

كان أولهم وأحقهم بالذكر و الإشادة الصديق العزيز وزميل السلاح لفترة والذى أصبح بإصراره وبامتلاكه لأدواته الأدبية والشعرية أكثر من أثرى شاشة التلفزيون بأروع الأعمال خلال شهر رمضان لسنوات طويلة ومن خلال أعماله الصوفية والدينية الذى كان فارسها فى تلك الأعوام الذاخرة بالفن النظيف وأصحاب القلم العفيف والذى كان (عبد السلام أمين) أحد فرسانه الكبار فى مختلف العصور ، كان لقائى الأول به كما كان مع عدد كبير من شعراء وملحني ومطربى الستينيات بمعهد الموسيقى العربية .. شاب فى مقتبل العمر باسم الثغر تكسوه ملامح وطيبة شعب مصر وطين ريفها ، هو الأخ الأصغر للملحن الكبير (حلمى أمين) نقيب الموسيقيين فيما بعد وصاحب لحن أغنية من أجمل أغانى المطرب الكبير (كارم محمود) .. (عنابى) .. ابن عم الموسيقار الكبير (محمد الموجى) ذائع الصيت فى ذلك الوقت لجملة أعماله الناجحة جداً مع طابور طويل من المطربين والمطربات يتقدمه عندليب مصر الأوحد لرقة وصدق إحساسه (عبد الحليم حافظ) ، كان (عبد السلام أمين) وقتها رقيباً متطوعاً بالقوات المسلحة ولأن عائلة (الموجى) أصابها الله بداء الفن اللذيذ فقد انتقل ذلك الداء إلى الوافد الجديد على معهد الموسيقى ومعه بشائر أغانى جميلة واعدة أظن أن أولها كان من نصيب المطرب الراحل (عبد اللطيف التلبانى) فى أغنية (بيقولولى أنساه) وأغانى أخرى لا أتذكرها ولكنها كلها كانت محل تقدير وإشادة من استمع إليها واستمتع بها .. كان طموح (عبد السلام أمين) أكبر بكثير من أن يجتزأ منه العمل بالقوات المسلحة بحكم صرامة النظام العسكرى هذا من جانب ومن جانب آخر أنه كان يطمح فى استكمال دراسته لينطلق إلى آفاق أرحب وإلى دنيا الخيال وعريض الآمال فى مجال الشعر الغنائى بل والشعر والأدب على وجه العموم

حصل (عبد السلام أمين) على التأهيل العلمى وحصل على ما أتذكر على منحة من كلية الآداب للسفر إلى إيطاليا والتعمق والتخصص فى الأدب العربى عاد بعدها (عبد السلام) برؤى جديدة وثقافة أكيدة ودخل إلى الإذاعة المصرية من بابها الكبير (بماسبيرو) ممتطياً جواد اللغة العربية شاهراً سيف موهبته التى نضجت نضوجاً سمح له بأن يكون شاعر الاذاعة الأول منذ أواسط السبعينيات متقاسماً مع أستاذه وأستاذنا جميعاً الشاعر الكبير (عبد الفتاح مصطفى) مركز الصدارة فى أعمال كثيرة واحتضن التلفزيون المصرى (عبد السلام أمين) لأنه وجد فيه ضالته فى الأعمال الدرامية وخاصة تلك التى يتم تمثيلها باللغة العربية الفصحى فأجاد فيها وبرز ثم تلقفه المخرج التلفزيونى العبقرى (فهمى عبد الحميد) فأسند له مسئولية كتابة فوازير كل من النجمتين (نيللى) و (شيريهان) فصال وجال وأبدع وأمتع بأسلوبه الشيق وخياله الخصب وجمعه بين رصانة الفصحى وبساطة العامية فكان بحق الملك المتوّج على عرش المنوعات لسنوات طويلة مرت وسنوات أطول آتية

وكما أبدع فى فن الفوازير لم يبخل على الدراما التلفزيونية ببراعته فى الصياغة والحبكة وبالذات من خلال حكايات (ألف ليلة وليلة) ، لم يغفل (عبد السلام أمين) كتابة الأغاني الدينية فصاغ أغنية من أجمل الأغاني مع المسيقار (جمال سلامة) وهى أغنية (محمد يا رسول الله) ، كما كتب فى الليالى المحمدية أغانى أخرى لا تقل قيمة وإبداع مثل (يا آمنة أم الرسول)

بخل (عبد السلام أمين) على مستمعي الإذاعة بأغنيات كثيرة كان يقدر بها على الحصول على مقاعد الأولين بين شعراء الأغنية ، ولكننى أعتقد أنه كان يميل أكثر لعدة أسباب أدبية ومادية إلى كتابة الأعمال التلفزيونية والإذاعية الضخمة ، ولكنه ترك لنا أغنيتان جميلتان من ألحان الملحن الكبير (محمد الموجى) أحداهما بعنوان (يا دلالى عليه يا دلالى) للمطربة (وردة).

كان (عبد السلام أمين) صديقاً كريم الخلق نقي السريرة زاملني في عضوية مجلس إدارة جمعية المؤلفين والمحنين عام ١٩٨٦ والتي كان يرأسها الموسيقار العظيم (محمد عبد الوهاب) فكان (عبد السلام) قوى الحجة يعمل على إصلاح أحوال الجمعية مع صديق عمره وعمري (عبد الوهاب محمد) الذي لازمنا بنفس المجلس وكنا نحن الثلاثة عنصر الشباب الواعد والصامد امام عكوسات أحوال وأعمال الجمعية

رحل (عبد السلام أمين) عن عالمنا في ٢٠٠١/٢/١١ تاركاً للمستمع والمشاهد العربي والمصري سجلاً حافلاً بالأعمال الدرامية والاستعراضية والغنائية لا يقدر بثمن رحم الله (عبد السلام أمين) زميل السلاح رفيق النجاح

- جسد ضئيل وصوت خافت .. رقيق المشاعر .. رسام وشاعر .. له أسلوبه الخاص .. أعماله قليلة نسبياً لكنها معروفة جميعاً لجمهور المستمعين من متذوقي الشعر العامي والغناء الجميل .. إنه الشاعر (الدفعة) صديقي دائماً (مجدى نجيب) صاحب أغاني (قولوا لعين الشمس) ، (كامل الأوصاف) ، (لما ضاع الصبر مني) وغيرها من الأغاني مرهفة الحس ، رقيقة المعنى عميقة المغزى ، قيمته وقامته الشعرية لا غبار عليها سوى قلة المعروض منها على اتساع سنوات إبداعه التي ربما يراها أفيد وأقيم في مجال شعر العامية ورسم اللوحات الزيتية .. أطال الله في عمره أوصيه ألا يبخل علينا بما لديه من لآلئ وجواهر

- أما ثالث هؤلاء فهو أيضاً من تراب الصعيد وطينه لكنه بنزوحه إلى القاهرة عاصمة عواصم الفن العربي والشرقي أصبح قاهرياً أكثر من أهلها ولم يتبق منه كليّة سوى لكنته الصعيدية المحببة لنا وله بالفعل إنه النسخة المطورة من (الأبنودى) لأنه ابتعد عن الاشتراكية الفكرية المزعومة التي صاحبت (الأبنودى) طويلاً حتى ذاق حلاوة البرجوازية التي عاداها وكرهها طويلاً فعندما وطأت قدما (عبد الرحيم منصور) أرض ميدان (رمسيس) قادماً من الجنوب خلع ثوب العامية المفرطة في وصف أحوال الناس والبيئة ولبس ثوب (الحياة للحياة) ، (الفن للفن) فكان شريكاً فعالاً في أغاني كثيرة متنوعة مع أكثر من ملحن كبير بدءاً من (منير مراد) ، (كمال الطويل) واستقر عند (بليغ حمدى) فاشتهرت له أغاني مثل (بكرة يا حبيبي) لوردة و (حبيبي يا متغرب) لفايزة و (أم الصابرين) لشادية و (تساهيل) لعفاف راضي وغيرها الكثير و كانت كلها قاهرية بألفاظها السهلة والشائعة فأحبها الناس منه ومعه

لم تطل حياة (عبد الرحيم منصور) طويلاً ولا أريد هنا ان أذكر أسباب الوفاة المفاجئة لأنها عند ربي أولاً وأخيراً .. رحم الله (عبد الرحيم منصور) نجم الصعيد صعيدي المولد قاهري الهوية .. الشاعر ذو (الضبّ) المبتسم للناس و للفن وللحياة توفى في ١٩٨٤/٧/٢٨

تعقيب :

❖ بطبيعة الحال لم أذكر كل أو معظم أغاني هؤلاء العمالقة جميعهم فقط نماذج (فلا ملام) لأن الغرض كان اختصار الموضوع وليس التوسع الغير لازم

❖ من دفعتي الأحياء ذوي القيمة الشعرية لم يتبقى إلا الصحفي الشاعر مصطفى الضمراني

(١٣)

سنوات عجاف:

كان عام ١٩٦٧ للأسف هو عام النكسة الوطنية والهزيمة العسكرية التي هزت الوطن العربى من أقصاه إلى أقصاه وأسهدت عيون المصريين بل وأدمعتها حتى جفت .. وبالطبع أنعكس ذلك على جميع الأصعدة السياسية والاجتماعية والاقتصادية ، وعلى الحركة الفنية بوجه عام وعلى مجال الأغنية وبالذات الوطنية التى اصطدمت بواقع أليم كانت تتصور عكسه تماماً بفعل الإعلام الكاذب والمسرف في التفاؤل المغلوط وقطعاً تأثرت بذلك الواقع الذى كنت جزءاً منه ولكنى أيضاً خدعت كما خدع المبالغين فى الدفاع والثقة برأس النظام سياسياً وعسكرياً الرئيس الأسبق (جمال عبد الناصر) والذى كان أيضاً قد وضع ثقته الكاملة إلى أقصى الحدود مع صديق عمره المشير (عبد الحكيم عامر) واللذان أوديا سوياً إلى تلك الهزيمة النكراء والتى حولها الشعب والجيش إلى انتصار واسترداد كرامة مصر بل والدول العربية جميعها فى حرب ١٩٧٣

في ذلك العام ١٩٦٧ لم أنتج سوى ثلاث اغنيات قبل شهر يونيو كان أولها أغنية (يا هوى يا ابو العجايب) التى لحنها (محمد ضياء الدين) وسجلتها (شريفة فاضل) على أسطوانة لشركة (بيبلوس) اللبنانية ، أما الأغنية الثانية فقد كانت بعنوان (أصعب شئ) من ألحان (محمد الموجي) وغناء (هدى سلطان) وسجلت على أسطوانة بشركة صوت القاهرة أما ثالث وآخر تلك الأغانى فقد كانت نشيداً وطنياً اجتماعياً كلفني بكتابته المذيع الشهير (جلال معوض) صديقى العزيز والذى كان زوجاً للفنانة الجميلة (ليلى فوزى) شقيقة صديق عمرى وأقربهم إلى قلبى (سعيد فوزى) وكان (جلال معوض) مسئولاً عن الموسيقى والغناء بالإذاعة فى ذلك الوقت وكان النشيد بعنوان (اكتب يا تاريخ) وقد قام بتلحينه الملحن المخضرم والمقتدر (محمود الشريف) ليغنيه كل من المطربة ذات الصوت الجهورى الحماسى (فايدة كامل) ، المطرب الشعبى الكبير (محمد رشدى) ، (محمد قنديل) أجمل الأصوات الرجالية ، (شفيق جلال) صاحب أغنية (أمونة) الشهيرة ، (سمير الاسكندرانى) صاحب الصوت المتميز وأخيراً صاحب الصوت الشعبى المتمكن (محمد العزبى) وتم تسجيل ذلك النشيد وإذاعته بآخر حفل لأضواء المدينة قبل نكسة ١٩٦٧ وكنت قد أبدعت فى نظمه كوبليهاً كوبليهاً لهؤلاء الستة الكبار .. ولكن ذلك العام كان من الأعوام العجاف في سيرتى الفنية هو والعام الذى تلاه ١٩٦٨ الذى لم أنتج فيه سوى أغنيتين الأولى من ألحان (سيد اسماعيل) وغناء المطربة الكبيرة (شهرزاد) ومن انتاج صوت القاهرة وكانت بعنوان (سمعنى صوتك) أما الأغنية الثانية فقد كتبتها ليلحنها (محمد ضياء الدين) وتغنيها (ندى) بالملاهى الليلية بعنوان (تلاتة بس) والتى انتشرت فيما بعد بين أوساط الملاهي الليلية والتى لم أكن أعتز بكتابتها أو انتشارها خاصة في ذلك العام ١٩٦٨ الذى كنت منشغلاً كأحد أفراد القوات المسلحة فى ذلك العمل العظيم والذى كان يعرف بعام (إعادة بناء القوات المسلحة)

فى عام ١٩٦٩ كتبت عدة أغانى منها (دو رى مى) من ألحان (محمد ضياء الدين) وغناء المطربة اللبنانية (طروب) التى كانت النصف الحلو من الثنائى (جمال وطروب) ذائعى الصيت فى ذلك الوقت وتم تسجيل تلك الأغنية (بصوت القاهرة) ، كما كتبت لصاحبة الصوت الماسى (ليلى مراد) أغنية (مشتقالك) التى لحنها أيضاً (محمد ضياء الدين) وسجلتها شركة (صوت الفن)

وأغنية (قول يا حبيبى) التى لحنها العظيم (عبد العظيم محمد) وغنتها (هدى سلطان) لشركة (صوت القاهرة) ، بينما كتبت أغنية من أغانى الصباح لحنها وغناها صديقى العزيز ومطربى المفضل (محرم فؤاد) بعنوان (خد النهار) لإذاعة الكويت هى وأغنية صباحية أخرى (لمحرم أيضاً) تذاع الأولى منهما وحتى الآن بإذاعة جمهورية مصر العربية ، كما تعاونت مع الإذاعة المصرية فى كتابة عدة أغانى وطنية أولها أغنية (سكة لانتصار) من ألحان (محمد الموجى) وغناء (محرم فؤاد) ، وتلتها أغنية (باحبك حب) من ألحان (محمد الموجى) وغناء (عادل مأمون) ثم أغنية (ابتسامة) من ألحان (محمد الموجى) أيضاً وأخيراً أغنية (باناديك يا رب) من ألحان (إبراهيم رأفت) شقيق (محمد الموجى) وغناء (محمد رشدى) .. ولتحسين الدخل فى تلك السنة كتبت أغنية خاصة لمطربة تدعى (نجوى الموجى) من ألحان (محمد ضياء الدين) بعنوان (مسا التماسى) لتغنيها بالملاهى الليلية

فى عام ١٩٧٠ عاندنى الفكر غالباً وتحالف مع سوء الحظ فرغم كتابتى عدة أغنيات لم يتم إنتاج أياً منها ولكننى رغم ذلك لم أنزعج كثيراً ولم أصب بأى نوع من الإحباطات لأننى شخص يؤمن تماماً بالقدر وأحواله حظاً ورزقاً ..

(١٤)
عندما جمع القدر الجميل والمثمر بين الأخوان ظبطانى:

فى عام ١٩٧١ تم إنتاج خمسة أغنيات من تأليفى ومن بينها أغنية تم تلحينها بلحنين مختلفين الأول من ألحان (حسن نشأت) والثانى من ألحان (محمد الموجى) وكانت الأغنية بعنوان (طَرَح الهَوى) وغنت اللحن الأول المطربة (هدى زايد) زوجة المطرب (عادل مأمون) وتم تسجيلها لإذاعة الكويت التى كانت تشترى فى ذلك الوقت من شركة صوت القاهرة أو من وكلاء يقومون بدفع تكاليف التأليف والتلحين والغناء والتسجيل بالاستوديوهات بأجور رمزية بينما يحصل الوكلاء على نصيب الأسد من المسئولين بالكويت وكان من أهم من قاموا بتلك الوساطة فى ذلك الوقت الملحن الكبير (كمال الطويل) ، الملحن (سيد اسماعيل) والمايسترو د (أحمد فؤاد حسن) وآخرين .. أما اللحن الثانى لأغنية (طَرَح الهَوى) فقد كان كما ذكرت للملحن الكبير (محمد الموجى) ومن غناء المطربة المغربية (نعيمة حسن) وتم غناء تلك الأغنية وعرضها بالتلفزيون المصرى فى حينه .. وأعترف أننى ارتكبت خطأ قانونياً فى قانون الملكية الفكرية وحق المؤلف لأنه لا يجوز أن يتم تلحين نص واحد لأكثر من ملحن ولكن يجوز للملحن أن ينشر لحنه الواحد لأكثر من صوت غنائى ولم أرتكب مثل ذلك الخطأ أبداً لا قبل ولا بعد تلك الحالة ، وللعلم أن مثل هذه الحالة تكررت أيضاً لأغنية (أنا وانت وبس) التى غناها كل من (فريد الأطرش) و (محرم فؤاد) من كلمات (مرسى جميل عزيز).

وكانت من أهم أغنيات تلك السنة تلك التى قدمتها للمطربة الصديقة العزيزة (مها صبرى) والتى كانت بعنوان (خلاص مسافر) والتى عهدت أى (مها) للملحن الشاب آنذاك (عبد المنعم البارودى) شقيق الناقد الكبير الراحل (عبد الفتاح البارودى) و (عبد المنعم البارودى) ذلك كان دفعة الملحن الكبير (حلمى بكر) من خريجى معهد الموسيقى العربية كما أنه كان رحمه الله صاحب أغنية التوبة والعودة إلى الطريق القويم (خد بإيدى) والتى غنتها الراحلة الكبيرة (شادية) قبل اعتزالها العمل الفنى بقليل

وكانت تلك الأغنية من نظم الشاعرة الكبيرة الراحلة (علية الجعار) .. وعودة إلى أغنية (خلاص مسافر) التى يقول مطلعها (خلاص مسافر بكرة .. يعنى اللى فاضل يوم .. واعيش انا ع الذكرى واحرم عنيّه النوم .. طيب ماتحرمنيش منك ولا تمشيش .. عايزة النهاردة أعيش .. وبكرة .. يجرى ما يجرى ..) وسجلتها (مها صبرى) وغنتها فى عدة حفلات لاحقة بعد التسجيل وللأسف أننى فوجئت ويشهد الله بأن الكبيرة (شادية) تغنى أغنية بنفس العنوان من تأليف الشاعر الكبير الزميل الراحل (محمد حمزة) ومن ألحان (بليغ حمدى) واترك للمطلّع و للقارئ العزيز استنتاج ما حدث بالضبط علماً بأن (حمزة) و (بليغ) كانت سهراتهما المفضلة فى ذلك الوقت عند ومع (مها صبرى) وزوجها العقيد الشهير (على شفيق) المدير الأسبق لمكتب المشير (عبد الحكيم عامر) للشئون العامة للملحن (عبد المنعم البارودى) وللمطرب (جلال فكرى) كتبت أغنية (كل عود أخضر) وهى أغنية وطنية إجتماعية من إنتاج الإذاعة المصرية ، كما كتبت فى نفس العام ١٩٧١ أغنية أخرى للاذاعة بعنوان (جلاّب النصر) لحنّها وغناها المطرب ذو الصوت العريض الجميل (عبد العزيز محمود) وفى نفس العام تم تسجيل أغنية (محرم فؤاد) الصباحية (بنصبّح) بإذاعة الكويت والتى سبق التنويه عنها سابقاً

كان عام ١٩٧٢ نقلة جديدة وبداية مرحلة مثمرة جداً ، شاء القدر والنصيب أن يمنحنى سبباً وعاملاً ويدفعنى دفعة قوية فى تأكيد إسمى وإثبات موهبتى ففى ذلك العام بدأت علاقتى وصداقتى القوية مع توأم فكرى وإبداعى الصديق المغفور له دوماً جميع هفواته فى العلاقة الإنسانية والفنان المتألق دوماً أيضاً بجمله الموسيقية التى تدخل القلوب مع كل دقة بل وقبل كل دقة أحياناً .. أنه الموسيقار تركى الجدود مصرى الوجود .. لا متناهى الحدود (خالد الأمير) الذى كنت أراه كثيراً قبل أن أصادقه بسنوات شاباً أنيقاً وسيماً يرتاد أحياناً كافيتريا فندق (هيلتون النيل) خلال عامى ١٩٥٨ و ١٩٥٩ بينما كنت أنا و (سعيد فوزى) و (حسين حسنى) نلتقى تقريباً كل ليلة بالكافيتريا قبل إنطلاقنا إلى سهرات مختلفة بمختلف ملاهى وفنادق القاهرة ذوات السمعة الطيبة والمكانة المرموقة ، وكنت فى ذلك الوقت كما هى عادتى حتى الآن أختار ملابسى بعناية وبذوق يمتدحنى عليه الجميع وبالتالى فقد أعجبنى مظهر ذلك الشاب شبيه (تيرهان بيك) الممثل الأمريكى تركى الأصل والذى علمت بالصدفة فيما بعد أن ذلك الشاب ضابط بسلاح المشاة لكنه بالطبع أحدث من دفعتنا بعدة دفعات لأننى ومعى (سعيد) و (حسين) كنا قد تخرجنا عام ١٩٥٣ بينما تخرج هو عام ١٩٥٦ بدفعة أطلق عليها دفعة (أسيوط) حيث ان طلبة الكلية الحربية قد تم نقلهم إلى مدينة (أسيوط) خلال العدوان الثلاثى على مصر عام ١٩٥٦

كانت تلك هى البداية الأولى التى تميزت (بالصمت المريب) كما تقول نجاة فى إحدى أغانيها ..

فى أوائل عام ١٩٧٢ إستمعت إلى المطربة العزيزة (مها صبرى) فى أغنية بعنوان (وحشنى كلامك) فأعجبنى لحن الأغنية جداً ووجدت فيه نقلة لحنية وصوتية للعزيزة (مها) فحرصت على أن أعرف إسم ملحن الأغنية ، وجاء الرد من ضابط صغير يعمل معى بأن صاحب ذلك اللحن يدعى (خالد الأمير) فطلبت من الضابط الزميل أن يحصل على رقم هاتف (خالد الأمير) هذا وعندما حصلت على رقم الهاتف الأرضى بالطبع بادرت بالإتصال فجاءنى صوت رخيم قوى ذو نبرة لها شخصية (آلو .. مين يا افندم) فأخبرته بإسمى فوجدته قد أصبح ذو لهجة أكثر حميمية وترحيب (أهلاً .. أهلاً يا افندم .. طبعاً زمانك دلوقتى بقيت مقدم .. أو عقيد)

فلما أفهمته مندهشاً أننى فعلاً برتبة العقيد (هو أنت تعرفنى ؟) فقال لى (طبعاً أعرفك كويس .. إنت كنت دايماً بتقعد مع حسين حسنى و سعيد فوزى بكافيتريا الهيلتون) وهنا بدأت استجمع الصورة ولكنها كانت باهتة غامضة المعالم وقتئذ وعلى كل حال فقد أعطيته موعداً لمقابلتى بشقتى بعمارة رمسيس بميدان رمسيس والتى كنت أقطن فيها حينها .. بعد ثنائى على لحن (وحشنى كلامك) الذى كتبه (مأمون الشناوى) عمنا الجميل والذى أمثاله قليل قيمة وتواضعاً ..

رن جرس الباب ولم يكن معى أحد بالشقة فقمت بفتحه .. أى الباب ففوجئت بشاب الهيلتون إياه بلحمه وشحمه فاندهشت لوهلة ولكننى رحبت به بل وفرحت بلقائه بعد حوالى إثنا عشر عاماً فعلت بنا نحن الأثنين ما فعلت وإن كانت ما فعلته به أكثر إيلاماً فقد زاد وزنه كثيراً عن ذى قبل وأصبح أقل إهتماماً بمظهره الذى كان يتفنن فى تجميله وعلمت منه أنه ترك الخدمة بالقوات المسلحة على أثر احتدام مناقشة بينه وبين أحد قادته أثناء حرب اليمن وأحيل للتقاعد وأنه يعمل حالياً كمدير أمن إحدى الشركات التابعة للقطاع العام ومقرها شارع قصر النيل .. ثم انتقلنا سوياً إلى عالم الفن وحوار عالم الفن وقبل أن تنتهى المقابلة الأولى كان قد اختار أغنية (من غير ميعاد) ليلحنها ومنذ تلك الليلة التى كانت بميعاد والتى استمرت وسوف تستمر بإذن الله رغم برودها أحياناً وبرغم سكونها احياناً لكننا دوماً صديقان حميمان يفهم كلانا الآخر بالنظرة قبل الكلمة نجمانا متوافقان إلى أبعد الحدود والحمد لله ..

(١٥)

ولادة نجم على أيدى الطبيبين صلاح وخالد وبتوصية من معبودة الجماهير:

كانت بداية علاقتى الفنية الوثيقة والتى بدأت قبل نهاية عام ١٩٧٢ وامتدت إلى الآن والحمد لله مع الفنان والملحن الكبير خالد الأمير بجانب زمالة السلاح والصداقة المتينة التى تربطنا برغم بعض المشاحنات والاختلافات والخصومات المؤقتة التى أبداً لم تقطع أواصر حميمية علاقتنا الشخصية والفنية سوياً والتى أثمرت أكثر من مائة أغنية كانت ثمرة ونتاج هذا التزاوج الفنى والروحى بيننا ومنذ ان كانت أول أغنية من انتاجنا سوياً وأعنى أغنية (من غير ميعاد) وحتى آخر انتاج فنى بدويتو (صحيح مشتاق) غناء (محمد الحلو و آيات فاروق) و دويتو (تصورى) غناء (محمد ثروت و هدى عمار) والاثنين من إنتاج الإذاعة عام ٢٠٠٧ والتى ابتعد بعدها (خالد الأمير) عن الساحة الفنية تدريجياً لأسباب متنوعة خارجة عنه أهمها رحيل أو توقف بعض نجوم الغناء الكبار عن مزاولة نشاطهم ومنها ظهور موجات جديدة من الملحنين معظمهم متوسطى الموهبة والذين اقتحموا الوسط الغنائى بالفهلوة والقبول بأية أجور تدفع لهم وغير ذلك من الأسباب ..

فى شهر رمضان عام ١٩٧٢ كنت قد تعاونت مع خالد الأمير فى كتابة مقدمة ونهاية أغانى مسلسل إذاعى بطولة (فؤاد المهندس وشويكار)

فى عام ١٩٧٣ كتبت (لمحرم فؤاد) أغنية أعتز بها لحنها (خالد الأمير) بعنوان (قوم يا شوق ننام) وتلك الأغنية التى لم تلاقى النجاح المنتظر بالحفلات العامة لأنها أغنية تستمتع بها عند الإستماع إليها فى سكون الليل بينما تضيع معانيها ونغماتها مع صخب الحفلات العامة ..

فى نفس العام ١٩٧٣ كلفنا المنتج (محمد رجائى) المدير الأسبق لأستوديو مصر بكتابة أغانى وألحان الفيلم الذى أنتجه فى نفس العام (إمرأة عاشقة) والتى كانت بطلته (شادية) نجمتى المفضلة والمحبوبة دائماً وكان ملخص موضوع الفيلم أن (شادية) المتزوجة من رجل أعمال يكبرها سناً وكثير التغيب والسفر تاركاً زوجته فى فراغ عاطفى قاتل بينما الزوج والذى كان الممثل الكبير (محمود مرسى) له إبن من زوجة سابقة شاب فى مقتبل العمر يعيش ببيت أبيه مع زوجته الشابة وتبدأ علاقة بين زوجة الأب والشاب الذى قام بدوره الشاب فى ذلك الوقت (حسين فهمى) وهى علاقة أثمة بالطبع قطعها الشاب بإقدامه على الزواج من شابة فى مثل عمره فلم تجد الزوجة العاشقة الآثمة سوى الانتحار حلاً ومخرجاً وحيداً .. وطلب منا المخرج الكبير (أشرف فهمى) رحمه الله أن نجسد حالة الفراغ العاطفى للزوجة وحالة الجرح الذى تسبب فيه زواج إبن الزوج وأخيراً ضرورة التخلص من حياتها بعد فقدانها للزوج الأب ولإبن الزوج الحبيب .. وانصرفت ومعى خالد الأمير نفكر فى أن نضع سوياً دراما كلامية لحنية تتوافق مع المواقف الثلاثة فكتبت ثلاثية (ملل .. فرح .. قدر) ليلحنها خالد بتيمة واحدة تتغير وتتبدل حسب الحالة وكان عملاً جديداً مبتكراً على شكل وتوظيف الأغنية الدرامية فى الأفلام السينمائية ولا أنسى أبداً استقبال جمهور السينما لهذا العمل الفنى المتميز بالتصفيق والاستحسان عند حضورى وخالد حفل الإفتتاح بسينما ريفولى .. لم يشتهر هذا الفيلم جماهيرياً لأن موضوعه كان شائكاً (علاقة زوجة الأب بإبن الزوج)

ملحوظة :- (هكذا كان المجتمع المصرى فى أوائل السبعينات من القرن الماضى سلوكاً وتفهماً وقبولاً .. وأنظر الآن إلى أين انحدرنا بعد عرض أفلام زنا المحارم عينى عينك)

فى عام ١٩٧٣ مع خالد الأمير كتبت أغنية (منديلى يا أمّه) للمطربة (ليلى نظمى) وفى فيلم (طريق العذاب) كتبت ولحن (خالد الأمير) للنجمة السينمائية الراحلة (ناهد شريف) أغنيتى (حرام يا دنيا) و (أ ، ح ، ب ، ك) وفى فيلم (كباريه الحياة) تعاونا (خالد) و (أنا) فى استعرض (رحلة فنية) وأغنية (تايهين سوا) لتغنيها المطربة الجميلة الصديقة (مها صبرى) والتى غنت لنا أيضاً فى نفس العام أغنية من أجمل وأشهر أغانيها (بشوقك .. براحتك .. بأمرك) وتعاونا أيضاً فى كتابة وتلحين مقدمة ونهاية المسلسل الإذاعى (أجدع زواج فى العالم) غناء (مها صبرى وشفيق جلال) ، وكنت قد كتبت أغنية (مادام انا وانت سوا) ليلحنها (خالد) وتغنيها المطربة اللبنانية (مايا مغربى) وفى نفس العام عام العبور العظيم ورد الكرامة كنت قد كتبت (لمحرم فؤاد) أغنية طويلة بعنوان (خداع يا هوى) وقبل أن ينتهى ذلك العام كنا (خالد وأنا) قد حالفنا الحظ فى كتابة تاريخ مولد لنجم كبير فى عالم الغناء إسمه (هانى شاكر) كنت قد إستمعت لصوته أول مرة على شريط كاسيت من إنتاج شركة (صوت الحب) التى أنشأها الصديق العزيز الغالى (أحمد منتصر) رجل الأعمال المعروف والذى توفاه الله عام ١٩٩٩ بمدينة (چنيف) على أثر (كومة) مرض السكر اللعين ، والذى كان قد أحضر الشريط بصحبته ومعه الشاعر الكبير (مأمون الشناوى) مستشار شركة (صوت الحب) إلى منزل المطرب الكبير (محرم فؤاد) لأخذ رأيه فى صاحب الصوت الجديد الشاب (هانى شاكر) وكان الشريط مسجلاً عليه على ما أتذكر أغنية (حلوة يا دنيا) من ألحان الملحن الكبير (محمد الموجى) وفعلاً كان ذلك الصوت الجميل يستأهل الإستماع إليه والإشادة به وقد فعلنا.

عودة إلى أول ارتباطنا بذلك الفتى صاحب الصوت الدافئ المبشّر .. كنا (خالد وأنا) قد أعددنا أغنية باسم (كده برضه يا قمر) لتغنيها المطربة الكبيرة العزيزة (شادية) فى أول حفلة تشترك بها وفعلاً استمعت لشادية للكلمات وللحن وقامت بحفظه .. وهنا حدث مالم يكن فى الحسبان فلقد بادرت (شادية) (خالد الأمير) قائلة له : إيه رأيك يا خالد اللحن ده لو غناه الشاب الجديد اللى إسمه (هانى شاكر) واللى ح يشترك معى في الحفلة ح يعمل معاه حاجة وأنا إحساسى ما يكدبشى .. وكانت الفنانة القديرة الراحلة (تحية كاريوكا) حاضرة وشاهدة على ذلك الحوار فأكدت على ما قالته (شادية) ورغم الضيق الذى اعترانى أنا وكذلك (خالد) من ذلك الإقتراح الذى كان سوف يتيح لنا فرحة أكبر للنجاح مع صوت (شادية) إلا أننا رضخنا لإقتراحها والذى كان فاتحة خير علينا جميعاً (هانى ، خالد، أنا) فقد نجحت تلك الأغنية نجاحاً مازال صداه حاضراً إلى الآن ورغم بساطة الكلمات وسلاسة اللحن فإن أداء هانى فى تلك الأغنية نبه العندليب الأسمر إلى بزوغ نور قمر جديد فى عالم الغناء و أحس بقيمته حتى أنه شارك (هانى شاكر) في غناء (كده برضه يا قمر) في أحد الحفلات وأظنها كانت بنادى الجزيرة أهم ما فى ذلك كله أخلاقيات العظيمة الكبيرة (شادية) التى تنازلت عن أغنية غالباً ستنجح بجميع المقاييس ليغنيها صوت مغمور لتزداد بها شهرته ونجاحه الجماهيرى

رحم الله (شادية) وأمتع (خالد) بالصحة و (هانى) بالثبات فوق قمة الغناء العربى بعد رحيل العندليب الأسمر (عبد الحليم حافظ).

(١٦)

١٩٧٤ سنة التوهج الثلاثية وحشتنى - باقولك إيه - الحب الحقيقى:

كان عام ١٩٧٤ عاماً ذاخراً بالأغنيات الناجحة والتى ثبتت دعائمها منذ ذلك التاريخ وحتى وقتنا هذا فلقد كتبت فيه اغنية (وحشتنى) التى ذاع صيتها منذ غنتها المطربة الكبيرة القديرة (سعاد محمد) وزاد ذيوعها وانتشارها بعد أن غناها فيما بعد مطربى ومطربات المشرق والمغرب العربى وبعد أن سجلها للمرة الثانية المطرب المصرى (خالد عجاج) والذى يحب الاستماع إليه فى تلك الأغنية الكثيرون رغم اعتزازى شخصياً واشتياقي دائماً للإستماع إليها بصوت العظيمة الراحلة (سعاد محمد) (والناس فيما يعشقون مذاهب) ولقد أبدع (خالد الأمير) فى لحن وأنغام تلك الأغنية وصارت بالنسبة له ولى وحتى لسعاد محمد علامات فى التاريخ الفنى لكل منا .. وعلى قدر ما أسعدتنى تلك الأغنية بنجاحها الرائع على قدر ما كلفتنى وغرمتنى نظير إعادة نشرها بصوت المطرب (خالد عجاج) وذلك لمخالفتى دون علمى لقانون الملكية الفكرية الذى كان يحظر على استغلال المصنف الواحد فى أكثر من جهة ورغم أننى كنت عضواً عاملاً قديماً بجمعية المؤلفين والملحنين واستشرت المستشار القانونى للجمعية فى ذلك الوقت فى موضوع إعادة نشر الأغنية بصوت المطرب (خالد عجاج) لشركة (نصر محروس) رغم أنه سبق نشر تلك الأغنية لشركة (صوت القاهرة) بصوت (سعاد محمد) فأفهمنى أنه لا غبار علىّ بهذا التصرف حيث أنه قد مضى أكثر من خمسة عشر سنة على ذلك فقمت بالتنازل لشركة (نصر محروس) واستلمت فى حينها مبلغ ألفان من الجنيهات ، ولكن شركة (صوت القاهرة) رفعت قضية ضدى مطالبة بتغريمى عن هذا التصرف غير القانونى وفعلاً تمكنت شركة (صوت القاهرة) من كسب الدعوى وغرمتنى أنا و (خالد الأمير) الذى كان بالطبع قد تنازل مثلى نظير مبلغ ثلاثة آلاف جنيه ..

غرمتنا المحكمة بمبلغ (٢٤٠٠٠ جنيه) ندفعها مناصفة لشركة (صوت القاهرة) ولكنني لم أدفع الغرامة نقداً فقد أتفقت مع مسئولي شركة (صوت القاهرة) على تأليف أعمال لها بقيمة الغرامة وقد كان .. ذلك هو ما أصابني وأصاب (خالد) من جراء استشارة خاطئة مغرضة ، رحم الله المستشار الذى لم يرسل لى محامي الجمعية لحضور جلسات القضية للدفاع عن العبد لله عضو الجمعية المرموق والمُعتبر .. ولكن تلك الأغنية بكل المقاييس وفى كل الأحوال هى فخر ونصر ومكسب معنوى كبير لى والخالد بالطبع

بعد نجاح أغنية (كده برضه يا قمر) التى سجلناها لشركة (صوت الحب) الذى أصبح صاحبها (أحمد منتصر) وشقيقه الأصغر ذو الحس الفنى المتميز (عاطف منتصر) والذى كان سبباً فى شهرة وانتشار نجم الأغنية الشعبية آنذاك (أحمد عدوية) وذلك لإقتناعه بصوته المميز وتنبؤه له بمستقبل كبير .. بعد (كده برضه يا قمر) كتبت أغنية (با اقولك إيه) والتى يقولك مطلعها :

با اقولك إيه .. مانتش غريب بلاش يا روحي ..

تروح تغيب .. ما عندكشى فكرة ..

في البعد عنك.. انا بابقى إيه !! ..

بابقى الليالى من غير سهر ..

بابقى الصحارى من غير قمر ..

بابقى اللى قضّى عمره هَدَر ..

بابقى الشموع من غير لهيب ..

أهه كل ده وأكتر كمان ..

وانت بعيد بابقى أنا .. ماعندكش فكرة

ودفعت بها لخالد الذى لحنها لحناً رومانسياً رائعاً كعادته وعرضناها على (عاطف منتصر) الذى طلب منّا أن نسجلها لنجم شركته (هاني شاكر) وبالفعل تم تسجيل تلك الأغنية التي أداها (هاني شاكر) أداءاً رائعاً ونالت نجاحاً آخر يضاف إلى رصيد أغنية (كده برضه يا قمر) ويحضرني هنا أن أذكر أن أغنية (با اقولك إيه) كانت الخيط الأول الذى ربط بين (خالد الأمير) وزوجته السابقة الفنانة الكبيرة المحترمة (ليلى طاهر) وهذه العلاقة الكاملة والتي حضرتها وعايشتها (من طأطأ للسلام عليكو) حيث أن خالد وأنا كنا مدعوان للسهر عند الملك (فريد شوقى) بفيلته بالعجوزة واصطحب (خالد) عوده معه وكان قد بدأ في تلحين (مذهب) أغنية (باقولك إيه) وظل يدندن بها طول الطريق من منزله حتى ڤيلا (فريد شوقى) وفي ذلك الوقت كان (خالد) يسعى للإرتباط بالزواج بالنجمة (صفاء أبو السعود) لكن لم يحدث نصيب .. وعندما دخلنا إلى صالون بالدور العلوى لڤيلا (فريد شوقى) فوجئنا بالنجمة الكبيرة (ليلى طاهر) جالسة بمفردها ولكم يكن أحداً آخر بالحجرة وهنا (قرصت) خالد الأمير وقلت له هامساً (هيّه دى) أى أن هذه الفنانة المحترمة والجميلة جداً تصلح تماماً لأن تكون زوجة لك ، ثم تلى ذلك قيام (خالد) بغناء مذهب أغنية (باقولك إيه !!) بصوته الحنون فردت عليه فى الحال إيه يا سيدى !! ولم تنقضي السهرة والليلة عند الملك (فريد شوقى) إلا و (خالد وليلى) قد أتما تعارفهما وميلهما كل منهما للآخر وهذه شهادة حق وصدق واعتراف بفضل أغنية (باقولك إيه) على ذلك الزواج السعيد قصير الأجل بفعل الحسد والعين وأسباب أخرى ليس هنا مجال ذكرها

كانت أغنية (الحب الحقيقى) التى غنتّها الحبيبة (شادية) من ألحان (خالد الأمير) هى الأغنية التي باعترافها رحمها الله من أجمل وأصدق الأغانى التى غنتها والتي كانت بمثابة خطوة نجاح جديد لى بين زملائى الشعراء وبين خالد وكبار الملحنين من جيله (محمد سلطان) ، (حلمى بكر) و (بليغ حمدى) و المطلع على هذه السطور سوف يتأكد من كل ما ذكرته عن تلك الأغنية بطريقة أداء وتكرار شطرات وكوبليهات الأغنية بشغف واقتناع (شادية) بصدى الكلمات و (لشادية) أيضاً كان لنا (خالد وأنا) المقدمة الغنائية (بحر العسل) فى مسلسل (وسقطت فى بحر العسل) والأغنية الوطنية (أنا وحبيبى) عن ذكرى حرب أكتوبر و فى نفس العام ١٩٧٤ سجلت لنا (سعاد محمد) أغنية (كلمة حق) للتلفزيون المصرى ، وبالنسبة للأفلام أشتركنا فى اسكتش (بحار فى أجازة) فى فيلم (عريس الهنا) بطولة (محمد عوض) وعدة نجمات وفى فيلم (مين يقدر على عزيزة) غنت (سهير رمزى) أغنية (أنا عزيزة) من كلمات وألحان (الأخوان ظبطانى) كما كان يطلق علينا (خالد وأنا) والذى أطلقها الشاعر الكبير (مأمون الشناوى) تشبيهاً (بالأخوان رحبانى) باعتبارنا ضباطاً.

فى رمضان عام ١٩٧٤ كتبت لمسلسل الإذاعة (عشان سواد عنيها) بطولة (فؤاد المهندس) و (شويكار) أغنيات (ألاجة وفل الفل) ، (لو كان الفل لولى) و (كلها كام ساعة) وكان ذلك العام عامراً بالأغانى الناجحة والتى كانت كلها من ألحان الصديق العزيز الفنان الجميل (خالد الأمير).

(١٧)

محمد على سليمان (لقاء جميل يتجدد):

قبل أن تمضى بى السنوات فى ذكريات رحلة القلم ، أستأذن المطلّع والقارئ في أن أعود مرة أخري إلي عام ١٩٧٢ حينما كنت أخدم بقيادة منطقة البحر الأحمر العسكرية بمدينة (الغردقة) فى ذلك العام السابق علي عام العبور العظيم بعام أو أكثر وكنت رئيساً لفرع التوجيه المعنوى بتلك المنطقة وكان بالطبع من ضمن اختصاصاتى إدارة والإشراف على النواحي الثقافية والترويحية عن القوات ، أبلغت بوصول فريق المسرح البحرى برفقة المقدم عبد الرحمن شرف رحمه الله للترفيه عن وحدات القوات البحرية المتمركزة بموانئ وشواطئ الغردقة ، سفاجا ، القصير ، مرسى علم لمدة أسبوع أضع بالتنسيق مع المقدم عبد الرحمن شرف رحمه الله برنامج وتوقيتات ومواقع إقامة الإحتفالات بالإشتراك مع الجماعات التى كنت قد أنشأتها بالمنطقة وقوام أفرادها الضباط والدرجات الأخرى أصحاب المواهب الفنية المختلفة (تمثيل – شعر – غناء – إلخ) وبينما كنت أشرف على بعض البروفات تقدم منى شاب فى مقتبل العمر يرتدى الأوفرول الخاص بالقوات البحرية وقدّم لى التحية العسكرية وبادرنى قائلاً المقاتل بحرى (محمد علي سليمان) يا افندم وبعد أن بادلته التحية أفهمنى أنه ضمن الفريق الموسيقي الذى حضر للمنطقة للاشتراك فى حفلات الترفيه وأنه عازف للكمان وله انتاج وفير باذاعة الأسكندرية كما أنه بالطبع يعرفنى بالإسم من خلال ما يذاع لى من أعمال أثنى عليها جميعها فشكرته وهنا تجرأ ذلك الفتى الوسيم وقال لى هل أطمع في أن ألحن أغنية من تأليف سيادتك فقلت له بالطبع وسلمته فى وقت لاحق أغنية بعنوان (الليل صديقى .. والشوق طريقى .. عطشان حنين .. يا مغربيّن .. وغيركو مين .. ح يبلّ ريقى) واعطيته رقم تليفونى بالقاهرة للإتصال فيما بعد .. وعاد فريق المسرح البحرى ومعه نجمه المستقبلى (محمد على سليمان) بعد انتهاء الجولة الاحتفالية التى كانت ناجحة بكل المقاييس.

بعد مكالمة هاتفية من (محمد على سليمان) أخرى كانت بعد عدة سنوات قليلة ليذكرنى باسمه الذى لم أكن لأنساه لأنى عادة لا أنسى الأسماء ولا الأحداث مهما تجاوزها الزمن والحمد لله وطلب منى أن أزوره بشقته الكائنة بمدينة نصر ليسمعنى لحن الأغنية التى كنت قد دفعت بها إليه لتلحينها ولأنه يود أن أتعرف على أسرته الصغيرة .. وبالفعل ذهبت لزيارته وقدم لى السيدة (أمل) زوجته كما قدم لى طفلة صغيرة نحيفة ذات عينان يشع منهما الذكاء جريئة الحديث فى أدب جمّ لكن الأهم أنه قال لها سمعّى صوتك لعمو صلاح يا (أنغام) وبسم الله ما شاء الله كانت صاحبة صوت طفولى ناضج سليم واعد ولِمَ لا ووالدتها السيدة (أمل) مطربة لها أغانى متميزة بإذاعة الأسكندرية وخالتها ذات الصوت الشجى (ضحى إبراهيم) والتى اعتزلت الفن مبكراً رغم تمكنها من أدواتها الغنائية ولِمَ لا وعمها المطرب الشاب الراحل (عماد عبد الحليم) وقبل كل ذلك لِمَ لا ووالدها الذى أصبح أحد عباقرة التلحين منذ ثمانينيات القرن الماضى ولِمَ لا وجدها لوالدها الملحن السكندرى الكبير (على سليمان) .. لم يكن كل ما ذكرته عن هذه العائلة الفنية الغنيّة بالمواهب واضحة لى فى تلك المقابلة إنما كل ما خرجت به من تلك الزيارة بداية علاقة سوف تتوثق يوماً بعد يوم فيما هو آت من الأعوام ، كما أننى استمتعت بدقائق الغناء السريع لتلك (المقروضة) وأيضاً بلحن شجى لأغنيتى الأولى مع (محمد على سليمان) (الليل صديقى) فتركت له أغنية أخرى قبل إنصرافى بعنوان (أنا فيّه عيوب كتيرة) ليلحنها لمطربة (الحياة للحياة) الشهيرة بـ (صباح) ثم مضت سنوات قليلة اتصل بى (محمد على سليمان) ليعلن لى أنه محضّر لى مفاجأة حلوة وحتى إعلان المفاجأة وحتى أواصل ما بدأته مع (محمد على سليمان) عام ١٩٧٢ إسمحوا لى ان أعود إلى السنوات التى قد أنهيت ذكرياتها عام ١٩٧٤ لأبدأ رحلتى معكم أصدقائى الأعزاء

(١٨)

فضلت خالد عن عمار لأننى عاطفى:

استهللت عام ١٩٧٥ بأغنية جميلة من طراز الأغانى التى أجيد ابتكارها والتى تمت إلى أنا و خالد باعتبارنا عسكريين بصلة فكتبت لأطول مطرب فى مصر فى حينه (أحمد سامى) أغنية بعنوان (فارس زمانك) وكل كلامها يدور حول محور الفروسية فى المفردات ووجدها خالد أغنية تصلح لأن تنتشر فى الوطن العربى باعتبار أن العرب يهوون الفروسية فتم تسجيلها لإذاعة الكويت والشريط موجود وكان يذاع بين حين وآخر فى الإذاعة المصرية والتلفزيون المصرى

وكان أهم ما يميز عام ١٩٧٥ من ناحية الأحداث الوطنية والسياسية هو إعادة فتح ممر قناة السويس للملاحة الدولية بعد توقف دام حوالى ثمانية أعوام عجاف لم يكسر حدتها أو يعيد بهجتها للوطن الحزين إلا العبور العظيم يوم السادس من أكتوبر عام ١٩٧٣ والذى سعى بعده القائد المحنّك والرئيس الداهية (محمد أنور السادات) إلى إزالة آثار تلك السنوات العصيبة بتطهير القنال من كل السفن التجارية والحربية والمعدات والكبارى والجسور والتى غرقت فيها إبان الأيام السوداء عام ١٩٦٧ وما بعدها وخلال حرب الاستنزاف ثم حرب التحرير والتطهير.

وقام (أنور السادات) بركوب السفينة (المحروسة) معلناً بدء فتح قناة السويس للملاحة الدولية بعد أن ألقى خطاباً وطنياً رائعاً بمبنى هيئة قناة السويس بالإسماعيلية ولقد كان لى شرف حضور هذا الإفتتاح العظيم والذى حضره ولى عهد إيران فى ذلك الوقت مع نخبة من الرؤساء .. ولهذه المناسبة السعيدة كلفت قيادة الإذاعة نخبة من شعراء الأغنية لكتابة أغانى تعبر عن فرحة الشعب بهذا الحدث الدولى الهام وقد كان لى نصيب فى ذلك التكليف فكتبت أغنيتين الأولى للمطربة الصديقة العزيزة (مها صبرى) بعنوان (دى بورسعيد ولاّ عروسة !!) أمّا الثانية فقد كانت من نصيب معبودتى (شادية) وكان مطلعها يقول

البحر الأبيض بيهنّى ..البحر الأحمر ويغنّى

ويقولّه رجعنا لبعضينا .. و ح نسهر تانى ليالينا

على ضىّ القمرة الفضيّة .. ونغنّى أجمل أغانينا

ومراكب عزّ معديّة .. ومراكب عزّ مهديّة

وحشتها الميّة والمينا ..

ولحن الأغنيتان الرائع (خالد الأمير) كعادته غالباً بألحان شجيّة تدخل القلب قبل الأذن ، مع (خالد) أيضاً كتبت أغنية بعنوان (خليك على عومى يا موج البحر) لتغنيها النجمة (ناهد شريف) فى فيلم (عندما يسقط الجسد) وطلب منى (خالد الأمير) قبل سفره فى ذلك العام إلى أبو ظبى مع زوجته فى ذلك الوقت الفنانة الحسناء (ليلى طاهر) كتابة ديالوج مرح فى مسلسل يمثله فؤاد المهندس وعقيلة راتب فكان ديالوج (أنا غلبان)

للمرة الثانية أرتكب نفس الغلطة لكن دون قصد فقد كتبت فى ذات العام أغنية خفيفة بعنوان (بنتى حبيبتى) لحنها (حسن أبو زيد) لتغنيها مطربة الأغانى الخفيفة (سعاد أحمد) بالإذاعة فى ذلك الوقت الذى كان نص تلك الأغنية ضمن الأغانى التى حملها معه (خالد الأمير) فى رحلة (أبو ظبى) فوجد هناك فرصة لتلحينها ويدفع بها للمطربة (ليلى جمال) لغنائها هناك (وأدى وش الضيف) وكان من حظى خلال تلك السنة أن يلحن لى الملحن الكبير مهندس الآثار (أحمد صدقى) أغنية للإذاعة بعنوان (صعب ف أولّه) سجلتها بصوتها المطربة (عصمت عبد العليم)

قبل أن ينتهى عام ١٩٧٥ كنت قد تعرفت على عازف الأوكورديون فى حينه (عمّار الشريعى) الذى كان أكثر الملحنين ثقافة عامة علاوة على الثقافة الموسيقية كما كان من أخف البشر ظلاً وأكثرهم إشراقاً رغم فقده لبصره ورغماً من أننى لم أشترك مع (عمار الشريعى) فى أعمال كثيرة أو مشهورة فيما بعد لكن لنا سوياً مواقف وحكايات أسردها فى حينه لتتأكدوا أنه كان عنصراً فنياً هاماً فى زمن الفن الجميل ..

فى أحد أيام عام ١٩٧٦ طلبت منى الصديقة العزيزة (مها صبرى) أن أكتب أغنية بعنوان (أنا باتكلم جد) وعندما سألتها (إشمعنى أنا باتكلم جد) أخبرتنى بأن تلك الجملة عالقة بذهنها منذ فترة وأن (عمار الشريعى) والذى كان عازف (الأوكورديون) و (الاورج) بفرقة (صلاح عرام) الموسيقية التى تصاحبها فى الحفلات هو الذى اقترح عليها إسم (صلاح فايز) وأنه شكر لها فى شخصى الضعيف معلناً إعجابه بما أكتبه وبأننى أنسب من يكتب الأغنية المطلوبة فشكرتها بالطبع وقمت فيما بعد بتوجيه الشكر له من خلال مكالمة تليفونية ..

ولقد قام (عمار الشريعى) قبل ذلك بعدة أشهر بتلحين واحدة من أحلى أغانى (مها صبرى) وهى أغنية (إمسكوا الخشب) التى كانت من ضمن أحداث مسلسل إذاعى بشبكة (صوت العرب) والأغنية كانت من تأليف مؤلف المسلسل نفسه ونجحت الأغنية جداً كما نجح معها بالطبع ذلك الموسيقار الشاب الواعد (عمار الشريعى) لأنه ألبس امكانيات صوت (مها صبرى) الثوب اللائق والرائق لحنياً وبتلحينه لأغنيتى (أنا باتكلم جد) التى لم يصبها النجاح الذى كنت أتوقعه ربما لأنها تم غناؤها بالملاهى الليلية وما أدراكم بالغناء بالملاهى الليلية (والناس سهارى بين كأس وسيجارة) لكن منذ ذلك الوقت بدأت علاقتى الوثيقة والصادقة مع (عمار الشريعى) والتى لم يعكر صفوها أحياناً إلا علاقتى الأشد ارتباطاً بخالد الأمير عزول عمارالشريعى إلى حين ..

ولأن الكلام كما يقولون بيجيب بعضه فقد كانت أغنية (ريحنا الله يريح قلبك) التى غنتها وسجلتها كل من المطربتان الكبيرتان (هدى سلطان) و (عليا التونسية) هى الأغنية الأهم فى الأغانى التى سجلتها عام ١٩٧٦ .

(١٩)

زاحمت صلاح جاهين ببنات كتيروالفرق ما بينى وبين والدى:

بعد أن تم التعاون بينى وبين الموسيقار الكبير عمار الشريعى في أغنية (أنا باتكلم جد) للمطربة مها صبرى بدأت بيننا علاقة صداقة ومودة حقيقية استمرت حتى رحيله فى ٢٠١٢/١٢/٧ بعد أن عانى أكثر من مرة مع أكثر من شريان بقلبه العامر بمحبة الناس التى وصلت إلى حتى حدود حبه واعتزازه بنفسه وعشقه الأول وأعنى الموسيقى ، وكان أن أجرى (عمار الشريعى) رحمه الله عدة عمليات قلب مفتوح بسبب شراهته فى التدخين من جانب والإكثار من تناول البقول التى كانت تقريباً بجميع أنواعها هى غذاؤه وطعامه المفضل والأوحد (حيث انه كان نباتياً) والتى تسببت فى ارتفاع نسبة الكوليسترول غير الحميد بشرايين دم القلب على وجه الخصوص من جانب آخر

فى عام ١٩٧٧ تعاونت مع عمار رحمه الله فى كتابة أغنية للفنان (سمير صبرى) بعنوان (عيشوا) تم تسجيلها لشركة (موريفون) والتى كان صاحبها الصديق الراحل (موريس اسكندر) مكتشف المطربة الشعبية (فاطمة عيد) والتى سجل لها كل ما قدمته من شرائط غنائية حتى توقفت عن مواصلة الغناء وتوقف قلب (موريس اسكندر) عن الخفقان برحيله ، و لما كان (عمار الشريعى) على صلة سمعية وثيقة بالطبع بالإذاعة المصرية بكل شبكاتها بحكم أنه كان يرى بأذنيه ما لا يراه الآخرون ذوى العيون المبصرة فقد أقام علاقة وثيقة بمخرجى المسلسلات والبرامج بالإذاعة وعلى الأخص شبكة البرنامج العام وشبكة صوت العرب واللتان كانتا تقدمان مسلسلات إذاعية لها شهرتها وقيمتها ، وطلب منى (عصمت حمدى) مخرج مسلسل (للحب أجنحة) بشبكة صوت العرب أن أكتب المواقف الغنائية للمسلسل الذى لحن بالطبع موسيقاه التصويرية علاوة على أغانيه الموسيقار (عمار الشريعى) والذى كان رشحنى للمخرج لتأليف المواقف الغنائية المطلوبة والتى قامت بغنائها المطربة الراحلة (أميرة سالم) والتى أصبحت فيما بعد أحد زوجات الملحن الكبير (محمد الموجى) وبجانب ذلك كتبت أيضاً ولحن (عمار الشريعى) فى نفس العام لبرنامج (كلام لكل الناس) التيتر المشهور به (وِدْ وِدْ .. وِدْ وِدْ) والذى قام بأدائه الغنائى النجم الكوميدى الكبير (عبد المنعم مدبولى)

لكنني بجانب ذلك كنت قد كتبت أغنية (أبو زيد إبن الهلالى) التى لحنها (خالد الأمير) ليسجلها على أسطوانة (موريفون) المطرب الشعبى الكبير (محمد رشدى) وكتبت (للبلبة) مونولوج (اسمحلى أقولك) الذى لحنه (خالد الأمير) أيضاً وأنتجه فى برنامج تلفزيونى للكويت المنتج الفلسطيني الكبير (رياض العريان) والد المنتج (طارق العريان) الزوج الحالى للمطربة الكبيرة (أصالة)

في نفس العام تم زفاف الآنسة (چيهان) إبنة الرئيس الأسبق (أنور السادات) وأقيم لها حفل زفاف مناسب بمنزل الرئيس وأحياه أكثر من مطرب ومطربة وكان من ضمن من أحيوا حفل الزفاف ذلك المطربة الجميلة الصديقة (مها صبرى) والذى طلب منى الموسيقار (أحمد فؤاد حسن) قائد الفرقة الماسية أن أكتب أغنية بهذه المناسبة يقوم هو بتلحينها إهداءاً للعروس وبالفعل فقد قمت بتأليف أغنية بإسم (يا فرح لالى) ، وقبل أن ينتهى عام ١٩٧٧ كان قد أسمعنى الفنان (سمير صبرى) لحناً رائعاً للملحن اللبنانى الكبير (إلياس رحبانى) وطلب منى أن أكتب أغنية تحمل موقف درامي مناسب للحن ولله الحمد وفقت وكتبت له أغنية بعنوان (شُفتها) مضمونها ان الحبيب قابل محبوبته بعد سنوات صدفة في مكان عام ومعها زوجها الذى شاءت الأقدار أن يتزوجها بدلاً من الحبيب والذى أنجبت منه طفلين تصحبهما معها فيعبّر المحب عن مشاعره وذكرياته مع حبيبته التى تركته دون وداع وتم تسجيل تلك الأغنية أيضاً بشركة (موريفون)

فى عام ١٩٧٨ لم أسجل سوى ثلاث أغانى لأسباب لا تحضرنى الآن وإن كان هذا هو حال سوق الأغانى وحظنا نحن الفنانين منها صعوداً وهبوطاً فكتبت لمسلسل (السكرتيرة) الذى أخرجه المخرج الإذاعى الراحل (عصمت حمدى) أغنية بعنوان (مشوار) والأخرى بإسم (جميلة يا دنيا) وكانتا من ألحان الموسيقار الموهوب والمثقف معاً (عمار الشريعي) وغناء الفنانة (سماح) وكان المسلسل من إنتاج شبكة (صوت العرب) بينما قدمت للاذاعة المصرية أغنية (تعالى قابلنى) من ألحان (خالد الأمير) ومن غناء المطرب الحقيقى (محرم فؤاد) ..

كان عام ١٩٧٩ أحسن حالاً بالنسبة للأغانى التى تم تسجيلها من تأليفي فلقد قدمت لشركة (صوت الحب) والتى يديرها فنياً (عاطف منتصر) أحد مكتشفى الكلمات والألحان والأصوات الناجحة فى ذلك الوقت والذى سعد جداً عندما أسمعته كلمات أغنيتى (بنات كتير) كنت قد أستقيت فكرتها من خطاب للرئيس الأسبق (السادات) والذى حث فيه الشعب على الرجوع إلى أخلاق القرية وتقاليدها ، بينما كانت الأغنية الثانية والتى وضعت لها عنواناً (مسألة السن) نابعة من فكرة (أن العرق يمد لسابع جد) وأن (من شابه أباه فما ظلم) وتم الدفع بهاتين الأغنيتين للموسيقار الموهوب (شرقى النغمات غربى الإيقاعات) وأعنى به (هانى شنودة) الذى وضع ألحاناً رائعة تسببت في نجاح أغنية (بنات كتير) نجاحاً منقطع النظير مازال صداه موجوداً حتى كتابة هذه السطور والتى غنتها المطربة (إيمان يونس) شقيقة الفنانة (إسعاد يونس) بينما حصلت من الشاعر والفنان متعدد المواهب (صلاح چاهين) على تقدير أعتز به عندما كنت فى زيارة أولى وأخيرة له مع الفنان (سمير صبرى) والتى بادرنى فيها بقوله (أنا بارفعلك البرنيطة على أغنية فرقة المصريين الفرق ما بينى وبين والدى مسألة السن لأن أحداً قبلك لم يتناول هذه العلاقة فى أغنية) كان شريط (بنات كتير)

والذى أحتوى على هاتين الأغنيتين هو أهم حدث فنى بالنسبة لى فى عام ١٩٧٩ بالطبع ولكننى كنت قد كتبت للإذاعة أغنيتان تعبران عن الأمل فى الغد وفى السلام المنتظر بيننا وبين إسرائيل بعد رحلة (السادات) المشهورة إليها وكانتا بعنوان (باحب السلام) من ألحان الملحن المعروف (حلمى أمين) نقيب الموسيقيين الأسبق وشقيق الشاعر الكبير (عبد السلام أمين) وإبن عم (محمد الموجى) أشهر من أنجبته عائلة (أمين) ، والثانية بعنوان (ح تروق وتحلى) من ألحان (محمود مندور) وهي بالطبع غير الأغنية الشهيرة للفنان (سمير صبرى) بنفس العنوان بينما غنى الأغنية الأولى (أحمد حمدى) وهو مطرب إذاعى قليل الظهور والشهرة رحمه الله وغني الثانية أطول مطرب فى تاريخ مصر الفنى المعاصر (أحمد سامي) رحمه الله ، كما أننى فى نفس العام اشتركت مع (خالد الأمير) فى تسجيل ثلاث أغانى لمطرب يعمل بملاهى لندن إسمه (إبراهيم عزام) ولمطربة هاجرت لتغنى فى أمريكا اسمها (عزيزة عمر) وهى إبنة الملحن المخضرم (محمد عمر) والثالثة كانت لمطربة نسيت إسمها للأسف كما نسيت عنوانها أيضاً ولكننى لم أنس أننى تقاضيت أجراً مجزياً عنها ..

(٢٠)

(عمر فتحى) وابسط يا عم:

تميز عام ١٩٨٠ فنياً بالنسبة لى بثلاث سمات هامة أولها أننى كتبت أول أغنية للمطرب الشاب الواعد (عمر فتحى) أما السمة الثانية فقد كتبت أكثر من أغنية أفراح خاصة لأبناء وبنات مشايخ الخليج ، أما السمة الأخيرة فقد كانت كتابة أكثر من أغنية للنجم متعدد المواهب (سمير صبرى) ، وعودة إلى أغنية (عمرفتحى) الأولى لى معه فقد كانت بعنوان (رغم حداثة سنك) والتى كان لها عنواناً آخر (إنتى قدرى) وان كنت أفضل العنوان الأول لأنه يحمل فكرة موضوع الأغنية وكان قد لحنها الملحن الشاب المثقف موسيقياً (محمد الشيخ) والذى لم يكن قد اكتسب شهرة عريضة مع ما قدمه من ألحان حتى رحيله رحمه الله وتم انتاج تلك الأغنية بعد تسجيلها لحساب شركة كاسيت (صوت الشرق) لصاحبها (طارق عبد الله)

وعن أغانى الأفراح التى كتبتها في تلك السنة فكان أولها أغنية (زين البلاد) من ألحان صديقى المتحمس دائما والمدافع دوماً عن الفن الجيد (حلمى بكر) ومن غناء المطرب المهندس (محمد ثروت) صاحب أعذب الأصوات الرجالية والذى للأسف لم يهتم بفنه قدر اهتمامه بمشروعاته الاقتصادية والاجتماعية (للناس فيما يعشقون مذاهب) كما اشتركت مع كل من (حلمى بكر) و (محمد ثروت) فى أغنية خاصة للأفراح عنوانها (عروستنا فايزة) ثم لحن (حلمى بكر) للصبوحة (صباح) أغنية للأفراح أيضاً من كلماتى بعنوان (آدى الليالى) وتلك الأغانى وإن كانت بالطبع لم يتم إذاعتها أو عرضها لأنها خاصة تقاضيت عنها أجور تأليف محترمة عوضتنى إلى حد كبير عن ذيوعها أوانتشارها ، أما بالنسبة للنجم (سمير صبرى) فلقد كتبت له أغنية (يا حياتى) من ألحان رئيس فرقته الموسيقية (محمد باهر) وهو صاحب لحن أغنية (عراف) المشهورة للمطرب (محمد الحلو) ومن تأليف الشاعر الجميل الراحل (مجدى النجار) والذى كنت أعتز بصداقته وبموهبته معاً

كما لحن (حلمى بكر) (لسمير صبرى) أيضاً أغنية (عيش راضى بقليلك) للتلفزيون المصرى وللتلفزيون و لسمير صبرى كتبت أيضاً أغنية (يا ليالى زين وملاح) التى لحنها الملحن الصديق (طه العجيل) والذى طلب بعد ذلك من صديق عمرى الشاعر الكبير (عبد الوهاب محمد) رحمه الله أن يكتب له كلاماً على نفس لحن (يا ليالى زين وملاح) فكانت أغنية (سلامات سلامات) للمطربة الجميلة (نادية مصطفى) فاشتهرت بها جداً ونسى الناس بالطبع (يا ليالى زين وملاح)

وفى نفس السنة ١٩٨٠ لحن (خالد الأمير) كلمات أغنيتى (الاسماعيلية) ، (زيك ما لقيت) للفنان (سمير صبرى) ، وكنت مع (خالد الأمير) قد قدمت أغنية خاصة للمطربة الكبيرة (سعاد محمد) باسم (علي فين يا حلو) كانت تؤديها فى ملاهى لندن الليلية وأغنية أخرى لمطربة عربية إسمها (ياسمين) بعنوان (باحبك موت)

تنويه : -

عادة ما يتقاضى الفنانون أجوراً مجزية عند كتابة أو تلحين الأغانى الخاصة وهذا بالطبع ما حدث معى لذا لزم التنويه

كان عام ١٩٨١ من الأعوام التى نعنشتنى مالياً رغم قلة عدد الأغانى التى تم تسجيلها فمع (حلمى بكر) ومع (صباح) أيضاً كتبت أغنيتى (إسم اللتين) و (وأهه كده) وهما اغنيتان أفراح أنجال أمراء بالمملكة العربية السعودية ، كما قدمت مع الملحن صاحب المزاج الكبير وصاحب (الليلة الكبيرة) (سيد مكاوى) أغنية للمطربة التونسية (زينة) من إنتاج إذاعة وتلفزيون الكويت ولشركة (عالم الفن) لصاحبها (محسن جابر) وهو أكبر وأشهر وأشطر منتج فى سوق الكاسيت وما تلاه كتبت أغنية (إيه ده اللى بيجرى يا عالم) لصديقى المحبب والمقرب النجم الكبير (محرم فؤاد) وقبل أن ينتهى عام ١٩٨١ كنت قد كتبت أغنية (أى والله يا صاحبى) و (فى الدنيا ديّه) ليلحن الأغنيتين عميد عائلة (أمين) وأعنى به (محمد الموجى) ذلك الموسيقار العظيم المعجون بطين مصر رحمه الله ليغنيهما المطرب (سمير صبرى) أطال الله فى عمره

كانت أهم أغنية كتبتها فى عام ١٩٨٢ هى أغنية (إبسط يا عم) التى سجلها وغناها المطرب المبتسم دائماً (عمر فتحي) رحمة الله عليه ولحنها المبدع دائماً (خالد الأمير) والتى قفزت بشهرة (عمر فتحى) عالياً فى سماء النجومية ، وهنا أتذكر أننى كنت أسير فى شارع (الشواربى) الذى جعل منه الإنفتاح الإقتصادى أشهر شارع لبيع الملابس والبضائع المستوردة حتى أنه معظم محلات ذلك الشارع كانت تضع (فَرشات) على الرصيف أمامها (لأنها مش ملاحقة) على رأى المثل ، أقول فوجئت أن أغنية (ابسط يا عم) كانت تذاع فى معظم تلك المحلات دليلاً على الانبساط والسعادة من جراء الرواج الاستهلاكى فى تلك الفترة ، لكن أتذكر أنه فى أوائل عام ١٩٨٢ دعت الإذاعة المصرية (لفيف من شعراء الأغانى والملحنين) للقيام بزيارة لمدينة (العريش) بعد تحريرها من الإحتلال الإسرائيلى وكان يصحبنا فى تلك الرحلة أو الزيارة الإذاعى المشهور (صالح مهران) وأمضينا فى مدينة (العريش) أربعة أيام تعرفنا خلالها على كثير من رؤساء القبائل بشمال سيناء كما استمعنا إلى ذكرياتهم المؤلمة مع العدو الإسرائيلى قبل التحرير وتلمسنّا أمانيهم فى تعمير سيناء وربطها بباقى الوطن الأم وقدم لنا محافظ شمال سيناء آنذاك اللواء (يوسف صبرى أبو طالب) كل التسهيلات اللازمة فى الانتقالات والمقابلات والإقامة والإعاشة رحمه الله رحمة واسعة

وعن تلك الرحلة والغرض منها كنت قد كتبت أثناء رحلة العودة بالأتوبيس الذى كان يقلنا أغنية بعنوان (الأصل الطيب) شرع وبدأ فى تلحينها أثناء جلوسه على المقعد بجانبى الملحن المتميز إذاعى النشأة تلفزيونى الهويّة (حسين فوزى) وقبل أن نصل إلى (القاهرة) العامرة كان قد انتهى من كروكى اللحن تماماً وكتبت أيضاً أغنية (الشط الهادى) التى لحنها الملحن الطيب (ابراهيم فارس) رحمه الله وللملحن الصحفى المعروف (محمد قابيل) قدمت أغنية (خدنى معاك يا بابا) والتى كان مطلعها يقول (خدنى معاك يا بابا من رفح لطابا نمشى إيد فى إيد ... خدنى أزور بلادنا واعرف فين حدودنا مهما تكون بعيد) والتى غناها (كورال الأطفال) و أذيعت لبعض الوقت ثم أوقف اذاعتها لأسباب سياسية حيث أن منطقة (طابا) لم تكن بعد قد تم إعادتها لمصر إلا بعد التحكيم الدولى وللملحن الكبير (فؤاد حلمى) دفعت بأغنية (القمر المنور) وكانت تلك الأغانى الأربعة هى ثمرة انتاجى خلال رحلتى إلى الجزء المحرر من سيناء وقام بغناء (الأصل الطيب) المطرب الكبير (هانى شاكر) وغنت (ليلى جمال) رحمها الله أغنية (الشط الهادى) أما (نجاح سلام) فكان من نصيبها (القمر المنور)

تعرفت على الملحن الموهوب صاحب الألحان الشجيّة والنزعة الشجونية (حسن أبو السعود) وكان رحمه الله إنساناً طيب القلب كريماً سخياً ذو كاريزما واضحة بوجهه المعبر وجسده الضخم وكنت أحبه حقاً ولا أنسى له أبداً مواقف تدل على أخلاق إبن البلد الأصيل وكنت بالطبع قد تعرفت عليه منذ ان كان عازفاً للأوكورديون الذى كان يعشقه (أى الأوكورديون) بفرقة (صلاح عرام) الموسيقية والتى كانت معروفة باسم (الفرقة الذهبية) والتى كانت الفرقة الموسيقية المنافسة للفرقة الماسية بقيادة المايسترو (احمد فؤاد حسن) كتنافس الزمالك مع الأهلى (طبعاً مفهوم التشبيه !!) وعندما توثقت الصلة بذلك الوافد الجديد على معرض (أبو الصلح) أسمعنى مقطوعة موسيقية أسماها (حرام) وطلب منى رحمه الله أن أكتب له أغنية على تلك الأنغام الحزينة فكتبت له أغنية بإسم (حرام) لحنها لحناً عاطفياً رائعاً قدمها المطرب الشاب آنذاك (محمد ثروت) ولاقت نجاحاً كبير لم يستغله للأسف (محمد ثروت) لا معى ولا مع (حسن أبو السعود)

قبل ان ينتهى عام ١٩٨٢ كنت قد اشتركت مع عازف الأوكورديون الشهير والملحن المتميز أحياناً (فاروق سلامة) شقيق الدكتور (جمال سلامة) فى أغنية للمطرب الجبلى السورى (أركان فؤاد) بإسم (اللى على على) سجلت على شريط كاسيت لتكون (هِدّ) الشريط الذى حمل نفس الإسم (اللى عِلِى عِلِى) لشركة مصر للإنتاج الفنى لصاحبها (عبد العظيم وهبى)

ولأن سمير صبرى سكندرى المولد والهوية كتبت له أغنية (يا اسكندرية يا قمورة) والتى لحنها كبير ملحنى تلك الفترة (محمد الموجى) وكان مطلع الأغنية يقول (يا اسكندرية يا قمورة .. من راس التين للمعمورة .. وانا ماشى بادوّر .. على بدر منوّر .. سبحان مين صوّر .. من أحلى أهالى المنصورة .. صورته فى مجلة منشورة)

(٢١)

سلطان وفايزة ومشتريكى:

استهللت عام ١٩٨٣ بأغنية خفيفة الظل كان عنوانها (طول عمرى استلطفك) كنت قد كتبتها بعد أن تم علاجي وشفائي من الحادث الأليم الذى كاد يودى بحياتى لولا ستر الله ولأن فى العمر بقية كما يقولون وعن ذلك الحادث فلقد كنت ومعى (خالد الأمير) نحضر حفل عيد ميلاد مهندس الصوت المعروف (جلال نوارة) ثم أكملنا السهرة بكازينو (سولت آند بيبر) علي نيل الزمالك وانضم للسهرة الموسيقار النابغة (بليغ حمدى) وبعض الأخوة من الخليج والذين اقترحوا علينا أن ننهى باقى السهرة بشقة يستأجرونها بالزمالك أمام مسرح الزمالك وبالفعل انتقلنا إلى هناك وفوجئت بوجود أربعة من الإخوة الخليجيين وبصحبتهم أربعة نساء للأسف مصريات لا أريد أن أصفهن بمهنتهن التى يتعيشن منها وكان الجميع فى حالة سكر واضح ، لم أستطع أن أتحمل ذلك المشهد المذرى فطلبت من خالد الأمير أن ننصرف وسبقته إلى سيارتى فلما تأخر بعد استدعائه واستعجاله بالكلاكس فاضطررت إلى الإنصراف وتبعنى لركوب سيارته المخرج الكبير (جلال الشرقاوى) الذى أبى أن يكمل السهرة فى تلك الشقة الملعونة .. تحركت بالسيارة واجتزت شارع ٢٦ يوليو في طريقى إلي محل سكني بعمارة رمسيس غاضباً ثائراً علي كرامتي كمصرى مما شاهدته وكنت بالطبع قد تناولت عدة كئوس من الخمر خلال تلك الليلة الطويلة ليلة ٤ ديسمبر ١٩٨٢ وعبرت فندق (ماريوت) ثم أخذت طريقى فوق كوبرى الزمالك الحديدى القديم والذى كان يربط منطقة الزمالك بحى بولاق ، وبعد حوالى ٣٠ متر لم أشعر إلا بصوت ارتطام شديد بجسم هائل فقدت على إثره الوعى بعد أن تسببت شدة الاصطدام بذلك الجسم الهائل الذى لم يكن إلا اتوبيس نقل عام يقوده سائق قادم من جهة بولاق حوالي الساعة الخامسة والنصف صباح يوم ٥ ديسمبر ذلك اليوم المشئوم بسرعة كبيرة فاصطدم بسيارتى بالمواجهة بالطبع دون عمد لكن الاصطدام نتج عنه بعد نقلى مغشياً عليّ إلى مستشفى الهلال الأحمر فى كسر مضاعف بعظام الفخد الأيسر وكسور أخرى بالساق نفسه وهبوط فى الدورة الدموية بعد نزيف احتاج لأربعة أكياس دم من فصيلة (A) عوضاً عما نزفته من جراء ذلك الحادث المروّع والذى نجانى منه بقدرته ورحمته رب العزة والحمد لله وكنت قد أقسمت قسماً غليظاً بعد أن أفقت من أول عملية لي بالمستشفى ألا أقرب الخمر ما حييت وهذا ما حافظت عليه ومازلت حتى ألقى وجهه الكريم سبحانه وتعالى (تفاصيل وأحداث الحادث وما حوله وما بعده لا أرى أن أسردها لأنها لا تضيف للمطلع الكثير مما يعنيه)

أعود إلى (طول عمرى استلطفك) التي كنت قد كتبتها ليغنيها (عمر فتحى) ولكن (خالد الأمير) رأى أنها تناسب (هانى شاكر) أكثر وقد اقتنعت وهى من الأغانى التى كان لها حظها الكبير

فى ذلك العام للمطربة العزيزة على قلبى (سميرة سعيد) كتبت أغنية (مالك مش زى عوايدك ليه !!) وهى أغنية طويلة تظهر إمكانيات صوت (سميرة) بألحان الملحن الكبير المزواج (حلمى بكر) والذى كان قد عرض الأغنية على المطربة الكبيرة (نجاة) والتى لم تستجب لتسجيلها لسبب أو لآخر وتم تسجيل تلك الأغنية على كاسيت لشركة (موريفون) ، ولصديقى المحبوب الراحل (حسن أبو السعود) كتبت بعد نجاح أغنية (حرام) لمحمد ثروت أغنية لصاحب الصوت الحلو (محمد الحلو) بعنوان (سامحينى) وتم تسجيلها على كاسيت لشركة (مصر للإنتاج الفنى) وهى من الأغانى التى أسعد بها شخصياً عند الإستماع إليها فى كل مرة لبراعة الصياغة كلاماً ولحناً كما أضاف إليها (محمد الحلو) حلاوة أخرى، أما الأغنية الأخرى فكانت (وشك ولا وش القمر) التى لحنها (حسن أبو السعود) للمطربة السورية (هيام طعمة) والتى لم تلق نجاحاً يذكر للأسف

لم نبخل (خالد الأمير) وأنا علي فرقة (الفور إم) بأغنية تضاف إلى رصيدهم الغنائى فى ذلك الوقت فكتبت أغنية (الليلة دخلته) والتى أصبحت (الليلة فرحته) ولا أدرى لماذا رغم أن العنوان الأول أكثر واقعية واستخداماً فى حياتنا العامة .. المهم وضع الفنان (المزوق) (خالد الأمير) لحناً جميلاً جعل تلك الأغنية هى الأغنية الأولى (للفور إم) فى ذلك العام وتم تسجيلها على شريط لشركة (صوت الحب) ، عندما كتبت أغنية (ما تبصيش فى الساعة) لم أكن أتصور أبداً أن يغنيها صاحب الصوت المتمكن (أحمد إبراهيم) لأنها لا تلائمه من وجهة نظرى باعتبار أنها أغنية خفيفة تليق لأى من (عمر فتحى – هانى شاكر – مدحت صالح) مثلاً ولم أكن أرغب أيضاً أن يتم تلحينها بذلك الشكل الذى خرجت به من ملحنها عازف الأوكورديون بالفرقة الماسية (مختار السيد) رحمه الله ولكن هكذا شاءت شركة (صوت الفن) وعموماً فقد نجحت الأغنية على ما أعتقد

أما أهم أغنية محببة إلىّ وقريبة من مشاعرى الصادقة جداً فهى تلك التى لحنها لى الملحن المقل تعامله معى ما اعرفشى ليه !! .. لأ عارف ليه !! وأغنى به الموسيقار الكبير (محمد سلطان) صاحب الألحان الكثيرة الناجحة (لفايزة أحمد) و (أصالة) وغيرهن وكان لقائى الأول معه فى أغنية (مشتريكى) التى لحنها بصدق واضح لمطربي الناجح جداً (هانى شاكر) وتلك الأغنية من الأغانى ذات القيمة والقامة العالية بين أغانى (صلاح فايز) ، (محمد سلطان) ، (هانى شاكر) ..

فى نفس العام كتبت للإذاعة بمناسبة شهر رمضان المعظم أغنية (أيوه هِلّ علينا هِلّ) بأسلوبى أنا لا بالأسلوب الشائع فى أغانى رمضان وقام بتلحينها الملحن الكبير (فؤاد حلمى) وغنتها المطربة المتصوفة حالياً (ياسمين الخيام) ، كما كتبت بعض الأغانى الأخرى والتى نسميها فى الوسط (نحتات) لمطربين مقيمين بلندن طبعاً لم يسمع عنهم ولا عن تلك الأغانى سواى أنا وخالد ، أبو السعود ، الشريعى لذا وجب التنويه

(٢٢)

شلتنا:

خلال عامى ١٩٨٤ و ١٩٨٥ أنتجت إحدى عشر أغنية لحن منها (خالد الأمير) أربعة أغانى أولها أغنية (هلاّ هلاّ) التى سجلتها (شريفة فاضل) لفرح أحد شيوخ السعودية وكانت (شريفة فاضل) مع (عايدة الشاعر) أهم مطربات الأفراح فى ذلك الوقت ، أما الأغنية الثانية فكانت للمطرب السورى (أركان فؤاد) زوج المطربة الجميلة شكلاً وصوتاً (نادية مصطفى) وكانت الأغنية بعنوان (هايلة يا دنيا) وتم تسجيلها لحساب شركة مصر للإنتاج الفنى لصاحبها الصديق المنتج (عبد العظيم وهبى) ، وفى عام ١٩٨٤ طلبت منا الفنانة والراقصة المشهورة (نجوى فؤاد) صاحبة القلب الكريم الطيب والصوت الغنائى المتميز وخاصة فى الاستعراضات التى غنتها .. بأن أكتب لها استعراضاً يلحنه (خالد الأمير) وفعلاً كتبت استعراض (تعالى .. تعالى) كافأتنى عليه بأجر مجز وكان من ضمن الاستعراضات التى كانت تغنيها فى الملهى الليلى (الهمبرا) بفندق (شيراتون القاهرة) عندما كانت متزوجة من مديره (سامى الزغبى)

بينما لحن لى خالد أغنية (عمر فتحي) المشهورة (لعل المانع خير) عام ١٩٨٥ وفى عام ١٩٨٤ لحن لى أيضاً الفنان الموسيقار (حسن أبو السعود) أغنية (والنبى تضحكي) لمطرب غير مشهور يقيم معظم الوقت خارج مصر اسمه (خالد مشعل) وكان مطلع الأغنية (والنبى تضحكى ضحكة كبيرة .. مش لايقة عليكى التكشيرة) ولحن لى أيضاً فى نفس العام ١٩٨٤ الملحن المشاكس (حلمى بكر) أغنية أفراح للصبوحة (صباح) بعنوان (بص شوف الفرحة بتعمل إيه !!) وكانت هذه الأغنية أيضاً خاصة بفرح نجل أحد الأمراء فى السعودية ، كما لحن لى ف نفس العام الموسيقار الماهر (فاروق سلامة) أغنية (فهمنا الفولة) ليغنيها (سمير صبرى) بينما كانت أول أغنية يتم انتاجها لى فى عام ١٩٨٥ من ألحان (محمد باهر) رئيس الفرقة الموسيقية للنجم (سمير صبرى) وكانت بعنوان (على دج الطبلة) وللمطرب (خالد مشعل) لحن صديقى الملحن الشرقى المتميز (حسين فوزى) أغنية (يدوم الشوق) بينما سجلت لشركة مصر للانتاج الفنى أغنية (قد العالم) التى لحنها الموسيقار الصحفى (محمد قابيل) والتى غناها (أركان فؤاد)

فى عام ١٩٨٦ أنتجت ١٨ أغنية تعاملت خلالها مع عدة ملحنين منهم من سبق التعامل معه وآخرون لم يسبق لى ذلك ومن هؤلاء كان الموسيقار والمنتج (سمير حبيب) الذى كلفنى بكتابة عدة إعلانات تجارية للتلفزيون كان ينتجها صديقه المخرج (صلاح حبيب) ، كما اشتركت مع (سمير حبيب) في كتابة ألبوم كامل لفتاة ذات صوت هادئ إسمها (حبيبة) وكان الألبوم يحتوى على ست أغنيات من إنتاج شركة (سونار) التى كان صاحبها (سمير حبيب) ولم ينجح ذلك الشريط رغماً عن جودة الكلمات والألحان ولكن يبدو أن صوت المغنية لم يصل إلى حد الإعجاب به أو الإقبال على شراء الشريط واحتجبت (حبيبة) بعده واعتزلت الغناء وكان ذلك أفضل لها ولى و (لسمير حبيب) على وجه الخصوص ، وكان من ضمن الملحنين الذين تعاونت معهم لأول مرة الملحن الفلسطينى (وجيه بدرخان) الذى لحن لى أغنية (حبيبى الوحيد) لمطربة تونسية إسمها (صفية) لم أتقاضى منها أجراً حتي كتابة هذه السطور (لعل المانع خير) ولشركة (محروس فون) سجلت لى النجمة (صابرين) أغنية (زى حبيبى) من ألحان الملحن الصديق (طه العجيل) وفى نفس العام طلب منى المنتج (عبد العظيم وهبي) كتابة أغنية عن الأم لتغنيها المطربة السورية الجميلة (سهام إبراهيم) ويلحنها الملحن الذى سبق أن تعاملت معه مرة سابقة فى أغنية (طرح الهوى) وأعنى به الملحن المقل قليل البخت (حسن نشأت) رحمه الله وكان أول تعامل لى مع الوافد الواعد الجديد في ذلك الوقت وأعني به (الدكتور جمال سلامة) الذى عاد من روسيا بعد بعثة حصل فيها على درجة الدكتوراة في التأليف الموسيقى ليلمع إسمه ويصعد بسرعة الصاروخ بين أشهر الملحنين وكلفنى بكتابة أغنية وطنية (لهانى شاكر) وأخرى للمطربة التى اكتشفها المبدع (بليغ حمدى) وأعنى بها (عفاف راضى) وذلك بمناسبة أعياد أكتوبر ذلك العام ١٩٨٦ وكانت أغنية (هانى شاكر) بإسم (أيوه يا شعب) بينما كانت أغنية (عفاف راضى) بإسم (يا أعلى نجمة)

كان آخر ما سجله لى المطرب البشوش الراحل (عمر فتحى) قبل رحيله الصادم أغنيتين قام بتلحينها الملحن الشاب (حجاج عبد الرحمن) وهما أغنيتى (تبادلنى بقلبك قلبى) والثانية (معلش ماخدتش بالى) وهما الأغنيتان اللتان تم طبعهما على آخر شريط للنجم (عمر فتحي) من ضمن أغانى أخرى وكان قد مات رحمه الله قبل أن يتلمس مدى نجاح ذلك الشريط وكان (عمر فتحى) رحمه الله قد صور لى أغنية من ألحان المرح دائماً (سيد مكاوى) وكانت الأغنية بعنوان (شلتنا) وكان مطلعها يقول (شلتنا شلة انسجام وجميعنا ناس قد المقام ... واللى غاوينا ينضم لينا .. و ح يلاقينا .. جميعنا ناس آخر تمام).

وفى نفس العام غنت لى (سهام إبراهيم) من ألحان (حلمى بكر) أغنية بعنوان (تعالوا نحب بعض) والتى جاء مطلعها

تعالوا نحب بعض ... مانحبّش بعض ليه !!

ونخلى الحب فرض ... لقلوبنا تعيش عليه

وتلك الأغنية من الأغانى المحببة لى جداً لإكتمال عناصرها الثلاثة نجاحاً تأليفاً وتلحيناً وغناء ويبدو أن (حلمى بكر) بعد أن أقتنع بنجاح أداء (سهام ابراهيم) فى أغنية (تعالوا نحب بعض) فقد أعاد تقديم أغنية (بص شوف الفرحة بتعمل إيه) التى سجلتها (صباح) فى عرس سعودى بصوت (سهام إبراهيم) وكانت من الأغانى التى يتكرر عرضها على شاشة التلفزيون المصرى

لم تخلو تلك السنة من تسجيل أغانى جديدة لتجمعنا وشريك نجاحنا (هانى شاكر) فسجلت لشركته (توب تيب) أغنيتين أولهما (صاحب الجلالة الحب) والثانية (هلّو .. هلّو) والاثنتين بالطبع كانتا من ألحان صديق العمر وعزيز القدر (خالد الأمير) الذى وضع لحناً رائعاً متميزاً بالذات لأغنية (صاحب الجلالة الحب) عاد بى وبه إلى زمن الملكية المأسوف عليه ، أما آخر ما كتبت وسجلت فى ذلك العام ١٩٨٦ كان أغنية بعنوان (يفتح الله) التى لحنها الموسيقار (فاروق سلامة) لزوجته المغربية والتى أسماها (سونيا سلامة)

(٢٣)

مساهم دائم فى صنع النجوم:

كان أهم ما تم تسجيله من تأليفى عام ١٩٨٧ شريط كامل للمطربة المغربية الجميلة والصديقة العزيزة (سميرة سعيد) وكانت الألحان كلها للملحن الذكى الذى يصر على ذكر كلمة الدكتور قبل إسمه وهذا حقه بالطبع ولكن (مش قوى كده !!) وكان أميز أغنية بذلك الشريط والتى أحبها الجماهير هى أغنية (حلوة الدنيا معاك) والتى قمت بكتابة كلماتها على اللحن الذى أعده لها د / جمال سلامة ، بينما احتوى الشريط على أغان أخرى لم تنل نفس حظ أغنية (حلوة الدنيا معاك) وتلك الأغانى كانت (يا ليالى) ، (وانا مالى يا شوق) ، (بادوّر عليك) و (رفقاً بقلبى) والأخيرة أغنية شعرية على شكل الموشحات وكانت كل هذه الأغانى على شريط من إنتاج (السمراء للانتاج الفنى) ومع (د/ جمال سلامة) كتبت أغنية (فرحينا يا ليالى) التى غناها النجم (سمير صبرى) فى فيلم (جحيم تحت الماء) والذى كتبت أغانيه الثلاثة التى لحن الأخيرتين منها الموسيقار (منير الوسيمى) وهما أغنيتين (إضحك يا ابو على) و (الحارس الله) ومع (جمال سلامة) كتبت للفنانة (نجوى فؤاد) تابلوه غنائى بعنوان (عشاق القمر) والذى كان من ضمن برنامجها اليومى فى الفنادق والملاهى الليلية .. مع (خالد الأمير) سجلت أغنيتان لمطربة مغربية إسمها (سمية) الأولى بعنوان (وحقولكوا إيه) والثانية بعنوان (لو كنت يعنى أنت القمر) ومع (حلمى بكر) سجلت لاحتفالات نصر اكتوبر أغنية (يا ميت صلاة النبى) لمحمد العزبى و (الليلة ليلتنا) للجميلة (إيمان الطوخى) ومع الموسيقار (حسن أبو السعود) أجمل تخين فى ملحنى مصر سجلت لمطرب صوته جيد إسمه (محمد كرم) أغنيتى (عنب اليمن) و (أما عليكى عيون) وهى من أجمل الأغانى التى كتبتها فى وصف عيون محبوبتى وكان (خالد الأمير) دائم العتاب لى على تفضيل (حسن أبو السعود) عنه فى تلحينها ولكن يعلم الله أنها جاءت هكذا دون ما قصد

وعموماً فقد اختفت تلك الأغنية الجميلة العزيزة على نفسى كما اختفى مؤديها فى ظروف غامضة وبمناسبة ذكر إسم (حسن أبو السعود) رحمه الله فقد لحن لى فى نفس العام أيضاً أغنية لمطربة تونسية إسمها (لطيفة راضى) بعنوان (موعودين) وحتى هذه اللحظة مازلت موعوداً بأستلام أجر التأليف عن تلك الأغنية

الموسيقار (هانى مهنى) والذى كان قد بدأ فى وضع بعض ألحان الموسيقى التصويرية فى بعض الأفلام كان له نصيب أيضاً فى أن أكتب فى فيلم (رجل بستة مليون دولار) أغنية لتغنيها بطلة الفيلم (نجوى فؤاد) وكانت الأغنية بعنوان (الفلوس بتيجى إيزى) ، أما مع الموسيقار (فاروق سلامة) ومطربة أردنية إسمها (نادية هادى) فقد كتبت أغنية (أتارى الدنيا حلوة) وطلب منى المنتج الراحل (عبد المنعم منتصر) شقيق رجل الأعمال الكبير (أحمد منتصر) وفنان التذوق الحسى (عاطف منتصر) مدير شركة (صوت الحب) أن أكتب أغنية عن الحج دفع بها للموسيقار (محمد هلال) رحمه الله لتلحينها وطبعها على شريط لشركة (تاكيما)

فى عام ١٩٨٧ كانت بداية التعاون المثمر الحقيقى مع موسيقار متميز صاحب أسلوب شجنى محبب ومتجدد أعنى به صديقى وأخى وحبيبى الموسيقار (محمد على سليمان) ومع صاحبة أجمل الأصوات التى ظهرت فى العقد قبل الأخير من القرن الماضى وأعنى بها إبنتى العزيزة دائماً المراوغة أحياناً والهاربة من أحضان أقرب الأقرباء وأصدق الأوفياء وأعنى بها النجمة اللامعة الذكية الرائعة (أنغام) .. فى ذلك العام ١٩٨٧ تم لقاء بينى وبين (محمد على سليمان) فى شقته بمنطقة (فيصل بالهرم) ليسمعنى أغنية (أنا فيه عيوب كتيرة) بصوت إبنته التى كانت بين الرابعة أو الخامسة عشر على ما أظن وهى الأغنية التى كنت قد سلمتها لمحمد على سليمان ليلحنها (لصباح) وبعد أن استمعت للحن الرائع والصوت الواثق المتدفق (لأنغام) أثنيت على العمل ككل ولكننى كنت رافضاً تماماً لفكرة أن تكون الأغنية بصوت الصغيرة (أنغام) لأن موضوع الأغنية لا يناسبها منطقياً من الناحية العمرية ولكن الوالد المحب والداعم لإبنته اعتذر لى بأنه قد اتفق بالفعل مع شركة (فلفل فون) على انتاج شريط غنائى واضعاً فى الاعتبار أن تكون أغنية (أنا فيه عيوب كتيرة) هى (هدّ) الشريط كما يقولون وطلب منى (محمد على سليمان) أن أكتب أغنية أخرى (لأنغام) تدعيماً للأغنية الأولى على نفس الشريط وعدت إلى منزلى فى تلك الليلة واضعاً نصب عيناى أن أشارك فى نجاح صاحبة هذا الصوت المتميز لذا كتبت لها أغنية ملائمة لعمرها (سن المراهقة) وبطبيعة أدائها الأقرب إلى صوت وأسلوب المطربة الكبيرة (نجاة) فجاءت أغنية (فى الركن البعيد الهادى) التى اكتمل فيها جميع عناصر النجاح والتفوق (كلاماً ولحناً وأداء) وعندما غنت الصغيرة (أنغام) تلك الأغنية المكتملة أول مرة أمام الشاشة تأكد نجاحها أى الأغنية ونجاح صاحبة تلك الأغنية الإبنة الذكية الواعدة منذ طفولتها بأنها ستكون نجمة مصر الأولى ومطربته المفضلة

ولابد أن أذكر أن أول من أتصل بى لتهنئتى على تلك الأغنية الرائعة على حد قوله كان صديق العمر الشاعر الكبير عبد الوهاب محمد الذى كان أقرب الشعراء هو وحسين السيد إلى قلبى لطيبة قلبيهما ولصدق مشاعرهما نحوى

(٢٤)

أنا والفنان الشامل:

كان عام ١٩٨٨ بلا شك هو عام بزوغ نجمة الغناء الجديدة فى مصر بل وربما فى العالم العربى بدون مبالغة أو تحيز وأعنى بها ابنتى العزيزة دائماً (أنغام) والتى منحها والدها الموسيقار الكبير والصديق الغالى محمد على سليمان عصارة موهبته اللحنية التى لم يبخل بها أبداً عليها فهى مطربته ونجمته الأولى وقبل كل شئ إبنته الغالية وأكبر أبنائه أمتعهم وأمتعه معهم جميعاً بكل ما هو جميل فى هذه الحياة وكتب لهم الله فى الجنة مقاعد الأنقياء الأتقياء بإذنه تعالى ... ولم أبخل بدورى كشريك أساسى فى صنع تلك النجمة الساطعة فى سماء الفن بأى جهد فكرى فى ابتكار أنسب الأفكار التى تتماشى مع عمرها الفنى والحقيقى فى نفس الوقت فكتبت لها فى الشريط التالى (للركن البعيد) أغنيتى (أول جواب) و (هوى المصايف) أما موضوع (أول جواب) يتلخص فى مشاعر بنت مراهقة تكتب لجارها الحبيب أول خطاب لها تعبر له فيه عن مشاعرها نحوه وان كانت فى النهاية تخفى عنه شخصيتها كجارة له وتطلب منه أن (يحزر ويفزر من هى) ، أما موضوع (هوى المصايف) فهو غالباً ما يحدث كثيراً خلال فترة الصيف بين الشباب وخاصة المراهقين من الجنسين وعادة ما تنتهى القصة والعلاقة بنهاية فترة الاصطياف فقد حدث لبطلتنا ذلك فتخشى إن هى سافرت للتصييف هذا العام (المفترض) أن تشرب نفس المقلب وتعود بجرح عاطفى آخر فيجرى الحوار بينها وبين ذلك الهوى والهوا اللعوب وقد نجح ذلك الشريط نجاحاً مثيراً ، كتبت على أثره أغنيتين بشريط آخر هما (واحشنى يا والدى) ، (أنا بارسملك صور) وأتذكر وأنا أحضر التسجيل لأغنية (واحشنى يا والدى) وبصحبتى زوجتى العزيزة ان لم تمتلك (أنغام) نفسها من البكاء المتواصل أثناء وبعد التسجيل لأن الكلمات كما أعتقد كانت مؤثرة للغاية وكانت ألحان (محمد على سليمان) كفيلة بأن تبكى الحجر لا البشر .. أما أغنية (أنا بارسملك صور) عبارة عن خيال واسع لعاشقة ترسم صوراً لمحبوبها بأشكال عدة

فى احتفالات أكتوبر ١٩٨٨ غنت لى (أنغام) من ألحان (محمد على سليمان) بالطبع أغنية (باحب بلدى) أمام الرئيس الأسبق (حسنى مبارك) وحرمه السيدة (سوزان) وهى أغنية تليق ألفاظها ومفرداتها لأن تعيش وتغنى لمصر فى كل وقت ، كما غنت لى (أنغام) أغانى خاصة بأفراح أمراء وشيوخ الخليج وشاركها فى تلك الأغانى المطرب ذو الصوت الرخيم عم (أنغام) وشقيق الموسيقار (محمد على سليمان) وأعنى به المرحوم (عماد عبد الحليم) والذى غنى لى أغنية (ماتقربيش وتبعدى) من ألحان شقيقه (محمد على سليمان) ، وفى نفس العام غنت لى أنغام أيضاً أغنية (بكرة بعيد) ولكن كانت أغنية (الطيبات للطيبين) من أجمل وأصدق وأقوى ما كتبت ومن أعذب ألحان (محمد على سليمان) ومن أروع ما غنت (أنغام) والتى غنتها فى حفل الليلة المحمدية الرابعة والتى اهتز لها أرجاء مسرح الجمهورية بعابدين بعد الإنتهاء من أدائها وتلك الأغنية تتناول الحياة والعلاقة الاجتماعية بين الرسول عليه الصلاة والسلام وأهل بيته كنمادج (السيدة خديجة رضى الله عنها والسيدة فاطمة الزهراء إبنة الرسول صلى الله عليه وسلم و سيدنا على إبن أبى طالب زوجها) وختاماً كيف كان يعامل الرسول صلى الله عليه وسلم أهل بيته بالعدل والحكمة .. تلك الأغنية لو لم أكتب غيرها لكانت شرفاً ووساماً لى بحق.

فى ذلك العام كتبت أغنية جميلة (لمدحت صالح) بعنوان (باحبك كل ما تطلع شمس) من ألحان خفيف الظل ثقيل الوزن المرحوم الموسيقار (حسن أبو السعود)

فى ذلك العام طلب منى صديقى العزيز النجم (سمير صبرى) أن أتعاون معه فى كتابة أغانى فيلم (جحيم تحت الماء) الذى لحن لى فيه الموسيقار (د/ جمال سلامة) (فرحينا يا ليالى فرحينا) ، بينما لحن لى الموسيقار (منير الوسيمى) أغنية (إضحك يا ابو على) التى نجحت مع (سمير صبرى) نجاحاً كبيراً وأغنية (الحارس الله) كما لحن لى (د/ جمال سلامة) أيضاً (لسمير صبرى) أغنية بعنوان (مجاويش) وهى أغنية سياحية ، أغنية (يلا يا حلوة) ، كما قام جمال سلامة بتلحين أغانى (أعلنت الحب عليك) ، (معقولة) و (الله على حبك يا عنيّة) للنجمة الكبيرة (صباح) على شريط لشركة (عالم الفن) ، أما صديق العمر وتوأم روحي (خالد الأمير) فقد لحن لى في ذلك العام أغنية من أحلى أغانى النجم (هانى شاكر) بعنوان (اسمك وبس) ولحن لمطربة اعتزلت لأسباب مجهولة إسمها (قمر) أغنيتى (وانت جنبى) ، (يا حياتى عليك)

كان عام ١٩٨٨ من الأعوام الخصيبة التى شهدت عدة نجاحات لأغانى نتذكرها جميعاً

(٢٥)

مع أحلى الرجوع إليه:

كان عام ١٩٨٩ يحمل لى أعمالاً مختلفة سجلت بالاذاعة أو التلفزيون أو شركات الانتاج الصوتى وكان للمطربة الناشئة (أنغام) وقتئذ النصيب الأكبر من هذه التسجيلات بدءاً من المسلسل الاذاعى (أشجار الحب) الذى غنت لى فيه ثلاث ألحان من إبداع والدها الموسيقار المتميز (محمد على سليمان) هى ألحان مقدمة ونهاية و أغنية قصيرة داخل المسلسل كما سجلت لى أنغام لشركة (فلفل فون) ثلاث ألحان أخرى طبعاً من ابداع والدها هى ألحان أغانى (كلنا ناجحين) التى لا أدري سبب عدم إذاعتها بالإذاعة بجانب اغنية (الناجح يرفع إيده) للفنان الكبير عبد الحليم حافظ رغماً عن أن أغنيتى (كلنا ناجحين) لا تقل قيمة كلاماً ولحناً وأداءاً عنها (بخوت !!) ، وأغنية (أخويا واختى) ، (من حقى أحلم)

الفنان (سمير صبرى) كان له الحظ فى غناء أربعة أغانى من تأليفى أولها أغنية (لا مساس) والتى لحنها له رئيس فرقته الموسيقية الموسيقار (محمد باهر) بمناسبة احتفالى بليلة زواج إبنى الأوسط (محمد) فى صيف ذلك العام ، أغنية (أى كلام) وهى من ألحان (محمد باهر) أيضاً وأغنية (دنيا جميلة جداً) فى الفيلم التلفزيونى (الهانم وأنا) وأخيراً أغنية (دى حكاية أصل وصورة) التى لحنها الموسيقار (منير الوسيمى) لبرنامج (أصل وصورة) بإذاعة الشرق الأوسط ولحن لى فى نفس العام الموسيقار الكبير (حلمى بكر) أغنية (أحلى خبر) للمطربة الكبيرة (وردة) وهى أغنية وطنية بمناسبة تحرير سيناء وتم تسجيلها للتلفزيون المصرى ، كما سجل لى المطرب الكبير (محرم فؤاد) أغنية (اتبسميلى يا دنيتي) وهى من ألحانه وسجلت على كاسيت لشركة (عالم الفن) ، ولشهر رمضان المبارك ذلك العام سجلت لى (إيمان الطوخى) أغنية (مرحبابك يا رمضان) من ألحان الموسيقار الكبير (محمد الموجى) كما سجلت لى المطربة اللبنانية (مارى سليمان) أغنيتين من ألحان صديق العمر (خالد الأمير) هما أغنيتى (تستاهل كل خير) ، (أقول ما بحبهوش)

كما غنت لى فى نفس العام ١٩٨٩ المطربة الراحلة (منى فوزى) إبنة الملحن الفنان (حسين فوزى) أغنية (استحالة)

فى عام ١٩٩٠ بدأت علاقتى التى فترت بينى وبين الاذاعة تعود إلى سابق عهدها فسجلت لحسابها ثمانية أغانى أولها أغنية (حريتى) من ألحان الملحن (خليل مصطفى) الذى لمع لبعض الوقت وبعدها أغنية (الطيب أحسن) للمطرب والملحن (طارق فؤاد) ومن بعدها أغنية (رب قلوب) لنفس المطرب بينما كانت أغنيتى (سوق على مهلك) وأغنية (كلمة ورد غطاها) من حظ وألحان الموسيقار (ابراهيم رأفت) رحمه الله ولحن لى المرحوم الملحن (عبد المنعم البارودى) ثلاث أغنيات دينية أولها (يمامة طايرة بتسبح) ، (نعمه علينا كتير) والثالثة (قدرته كاملة) بينما غنى الأولى (محمد غالى) والثانية (زينب يونس) والأخيرة غنتها المجموعة كما سجل لى أيضاً (خليل مصطفى) أغنية (الحق يعلا) ليغنيها المطرب ذو الصوت الشجى (مدحت صالح) ولحن لى أيضاً (خالد الأمير) أغنية (باهواك يا عمرى) ليغنيها (محمد رضا) وهى انتاج خاص وكذلك أغنية (ح تندمى) من ألحان (حسن أبو السعود) وغناء (خالد على)

كان عام ١٩٩١ امتداداً للعام الذى سبقه من ناحية تواصل التعامل مع الاذاعة فبدأت بتسجيل (أقول يا رب) ليلحنها الملحن السكندرى الموهوب (فاروق الشرنوبى) ويغنيها (مدحت صالح) ويتبعها أغنية (صلاتى إليك) لنفس الملحن ونفس المطرب ولحن لى (خالد الأمير) للاذاعة أغنية (مش قوى كده) لتغنيها المطربة الواعدة وقتئذ (شيرين وجدى) ثم لحن لى (خالد الأمير) للإذاعة أيضاً أغنية (نهارنا نادى) لتغنيها المطربة التى أحترمها دائماً (نادية مصطفى) وللإذاعة أيضاً لحن (وائل عبد الحى) أغنية (وتعالى يا بكرة) لتغنيها المطربة (فاتن شريف) ثم غنى لى (محمد ثروت) من ألحان الملحن والصحفى الراحل (محمد قابيل) أغنية (أنا مصرى عربى) أما (ثلاثى الزهور) فقد لحن له المايسترو (عطية شرارة) أغنية (يسعد صباحك) ، كما غنت لى (أنغام) فى مسلسل (٧ وجوه للحقيقة) مقدمة ونهاية المسلسل من ألحان والدها بالطبع (محمد على سليمان) وكانت المقدمة بعنوان (تتغير الأزمنة) وكانت النهاية تحمل إسم (نصيب ومقسوملى) كما سجل لى (محمد على سليمان) أيضاً أغنيتين لتغنيهما المطربة (نادية رشدى) الأولى بعنوان (على نور .. على نور) والثانية (عايزة حبيبى) وفى مجال القطاع الخاص سجل لى الملحن الكبير (حلمى بكر) للمطربة اللبنانية (سوزان غطاس) أغنيتى (قال إيه .. قال آه) و (ما يختلفشى عليه اتنين)

(٢٦)

أغانى ببساطة كده:

كان عام ١٩٩٢ هو امتداد لتعاونى المكثف مع الإذاعة والذى بدأ بالتعاون مع الملحن (إبراهيم رأفت) شقيق الملحن الكبير (محمد الموجى) بأغنية لمطربة من اكتشافات (وجدى الحكيم) الإذاعية إسمها (چيهان) وكان إسم الأغنية (م احلاه) ولمطربة ناشئة لمعت لفترة ثم احتجبت إسمها (مى) غنت لى أغنية (مين قال) وكانت من ألحان الملحن العظيم (عبد العظيم محمد) ولحن لى الشيخ (سيد مكاوى) لمطربة ناشئة أخرى إسمها (نجلاء) أغنية بإسم (يعيش حبك يعيش) بينما لحن لى (محمد على سليمان) أغنية (بقى لينا مكتبة) لتغنيها (عفاف راضى) ولحن لى (فاروق الشرنوبى) للنجم (سمير صبرى) استعراض (اسكندرية ماريا)

بينما غنت لي مطربة ناشئة أخرى إسمها (عبير أمين) من ألحان (حسن نشأت) الملحن قليل الحظ أغنية (على شط الإسماعيلية) وغنت لى مطربة ناشئة صاحبة صوت متمكن إسمها (سمرة) لحناً (لفاروق الشرنوبى) بعنوان (يا حبيبي إزاى وليه) وآخر باسم (حضرة صاحب السعادة) للملحن الكبير سيما وقيمة (حلمى بكر) ثم غنت لى (چيهان) أيضاً لحناً (لفاروق الشرنوبى) باسم (مين قدّك) بينما تعاونت مع الملحن المتمكن (خليل مصطفى) فى أغنيتين (لثلاثى الزهور) الأولي بعنوان (شى الله يا سيد) والثانية بعنوان (ياما نفسى) ، أما للدراما الإذاعية والتلفزيونية فلقد كتبت لبرنامج (من بلد لبلد) (والله يا بلدى) و (بلدنا أم الدنيا) ليلحنها (محمد على سليمان) وتغنيها (أنغام) ولمسلسل (الصمت) كتبت المقدمة الغنائية بإسم (طولى أو لا تطولي) والنهاية الغنائية بإسم (من يوم ما كان فيه ناس) وهما من ألحان (محمد قابيل) وكتبت لمسلسل (سباق مع الزمن) (الصبر طيب يا الكنال) كمقدمة ، أما النهاية فكانت بإسم (لو القمر والشمس غابو) وهما من ألحان (صلاح الشرنوبى) ، أما للتلفزيون المصرى فلقد كتبت (الليلادى ليلة يا سلام) وهى من ألحان (جمال سلامة) وغناء (الكورال) كما كتبت (إحنا البنات العصريات) لتغنيها (صابرين) مع (الكورال) ، أما لشركة صوت القاهرة فلقد سجلت (أنغام) ثلاث أغانى هى (ببساطة كده) و (قالوا احلويتى) و (تسمحلي أغير عليك) وأعتبرت أغنية (ببساطة كده) من لجنة الإستماع أحسن أغنية تأليف تم تسجيلها منذ سنوات ، وسجلت (نادية مصطفى) أغنية لإذاعة وتلفزيون (الكويت) بإسم (النهاردة) من ألحان (على سعد) وللمطربة المغربية (فريدة) كتبت أغنية (ما اطلبش المستحيل) ليلحنها (حلمى بكر)

(٢٧)

مازال القطار يمضى:

كان عام ١٩٩٣ من الأعوام المثمرة أيضاً فلقد استهللته بكتابة استعراض راقص للفنانة (دينا) بإسم (يا ام العيون الناعسة) ثم تبعته بكتابة أغنية (حبك قمر) التى غنتها المطربة التى رحلت فى ريعان شبابها صاحبة الصوت المتميز إبنة المغرب (رجاء بلمليح) وقام بتلحين الأغنيتين توأمي الفني والروحي (خالد الأمير) وتعتبر أغنية (حبك قمر) من الأغاني العاطفية الصادقة والهادئة كلاماً ولحناً ، ولبرنامج (مواقف باسمة) بالإذاعة كتبت المقدمة الغنائية بإسم (أنا صابر عبد المولى) بينما كانت النهاية بإسم (أنا ليلى حرمه الهايلة) وهما من ألحان الملحن ذو الأسلوب الخاص الراحل (إبراهيم رجب) وغني المقدمة الغنائية الراحل (عبدالله فرغلى) بينما غنت تيتر النهاية النجمة الصديقة المحترمة (ليلى طاهر) أطال الله فى عمرها ومنحها الصحة والهناء ، وعودة للإذاعة فقد غنت لى إحدى اكتشافات (وجدى الحكيم) المطربة (سحر سيف) أغنية (أهلاً بيك) وهى من ألحان الفنان المحترم أيضاً (عبد العظيم محمد)

ولحفل ربيع ذلك العام كتبت استعراض وأوبريت رائع بإسم (عيدك يا ربيع) من ألحان (فاروق الشرنوبى) وغناء مجموعة من المطربين والمطربات وأذيع الاستعراض تلفزيونياً فى سينما (قصر النيل) ، وانتقالاً إلى التسجيلات الصوتية على الكاسيت فلقد سجلت لشركة عالم الفن أغنية (ماتعلمناش) للمطربة (نادية مصطفى) وهى من ألحان (صلاح الشرنوبى) والتى لم تجد نجاحاً يذكر عند عرضها بالتلفزيون (مازال العيب غير معلوم !! وإن كنت لا أشك فى ان يكون العيب فى نظم الكلمات ..)

وسجل لي النجم (سمير صبرى) ثلاثة أغانى من ألحان (فاروق الشرنوبى) لنفس الشركة (عالم الفن) وكانت (ولا يهمك يا خال) (فى الصيف الحب جنون) و (يا حلولو يا حالولي) ولحن لي (خالد الأمير) للمطرب (احمد إبراهيم) لحناً باسم (وطنى حبيبي يا كويت) لإذاعة الكويت ولأول مرة يتم التعاون بينى وبين الملحن الكبير المقلّ (كمال الطويل) فى أغنية كان من المفروض أن يتم الإشتراك بها فى مهرجان الإغنية العربية (ببيروت) ولكنه ألغى ذلك العام بسبب لا أعلمه وكانت الأغنية بعنوان (يهلّ من تانى القمر) وهى أغنية تحمل الطابع الإنسانى الذى يمس مشاعر البشرية جمعاء والتى قامت بغنائها الصديقة العزيزة والأخت الكريمة (نادية مصطفى) ولطمع (وجدى الحكيم) فى ان تفوز مصر بجائزة على الأقل إن لم تكن الأولى فقد كلفنى بكتابة فكرة أخرى يلحنها (حلمى بكر) ويغنيها (مدحت صالح) فكتبت أغنية (نور القلوب) والتى لم تعرض على لجنة التحكيم العربية لإلغاء المهرجان كما ذكرت .. ولإذاعة (صوت لبنان) كتبت أغنية (مساء الخير على الحلوين) ليلحنها عازف الأوكورديون الشهير (فاروق سلامة) وتغنيها المطربة اللبنانية (جاكلين) ، وللإحتفالات بالليلة المحمدية التى تقيمها الإذاعة كل عام كتبت أغنية (يا طه المصطفى) ليلحنها (فاروق الشرنوبى) ويغنيها (محمد الحلو) أما لمسلسل (عزبة القرود) فلقد كتبت (لو الشجر من غير جذور) و (مافيش قانون من غير وتر) ليلحنها عازف الكمان والموسيقار المتميز (ميشيل المصرى) ، وللمطرب اللبنانى (علاء زلزلى) لحن لى (حلمى بكر) أغنية (اتملّكينى اتملّكى) ، أما لشركة (روتانا) فقد سجلت لى أغنية (انت حر) من ألحان (حلمى بكر) أيضاً ومن غناء المطربة (منال) ، ولمسلسل (حكاية لكل بيت) كتبت المقدمة بعنوان (حوش يا زمان) أما تيتر النهاية فقد كان (الدنيا لسه بخير) وغناهما (محمد الحلو) من ألحان (محمد قابيل) أما (شيرين وجدى) فقد غنت داخل المسلسل لنفس الملحن أغنيتى (وآه يا قلبى) و (أنا مظلوم ولا ظالم)

بدأت عام ١٩٩٤ بكتابة ثلاثة أغنيات لبرنامج فوازير (أحنا فين) للتلفزيون فكانت الأولى أغنية (أنا ح ابقى نجمة) التى لحنها (فاروق الشرنوبى) وغنتها النجمة شفاها الله وعافاها (سماح أنور) بينما كانت الأغنية الثانية بإسم (أنا عابدة) والتى لحنها كذلك (فاروق الشرنوبى) وغنتها النجمة المعتزلة (شيرين سيف النصر) بينما كانت الأغنية الثالثة (حزّر يا فيلد مارشال) من ألحان الموسيقار المتميز (هانى شنودة) وغناء النجم (سمير صبرى) وكتبت أغنية بمناسبة حفل زفاف إبنتى الوحيدة (سحر) بإسم (فرح أحمد وسحر) لحنها الصديق متقلب الأطوار (فاروق الشرنوبى) ليغنيها المطرب (محمد الفيتورى) لايف ومسجلة على كاسيت أثناء حفل زفافها الرائع بفندق (اوبروى مينا هاوس) والذى أحياه كل من النجم (سمير صبرى) وفرقته والنجمة (نادية مصطفى) و زوجها المطرب السورى (أركان فؤاد) و (حلمى بكر) علاوة على (فاروق الشرنوبى) و (محمد الفيتورى) والفنانة (دينا)

كتبت أيضاً للمسلسل التلفزيونى (ستة على اليمين) ثلاث عشر أغنية من ألحان الملحن الموهوب (منير الوسيمى) لا أرى أن أذكر عناوين جميعها بدون داعى وكانت جميع الألحان من غناء ممثلى ذلك المسلسل

طلب منى الصديق العزيز جداً (وجدى الحكيم) أن أكتب (مونولوجاً) للنجم (سيد زيان) فكتبت مونولوج بعنوان (آه م الكاسيت) انتقاداً لمغنى هذه الأيام ذوى الأصوات النكرة والمنفرة وكان اللحن (لإبراهيم رجب) ، و (لمحمد العزبى) كتبت أغنية (اللى قرولى الكف) وهى من ألحان (إبراهيم رأفت) و (لمحمد رشدى) لحن (خالد الأمير) أغنية (إنت اللى فيهم يا قمر) ، وعندما طلب منى الصديق العزيز (وجدى الحكيم) أن أكتب أغنية للمطرب الصاعد آنذاك (إيهاب توفيق) كتبت أغنية (باشبه عليكى) ليلحنها الملحن ثقيل الوزن خفيف الظل دائماً المرحوم العزيز (حسن أبو السعود) ، وللإذاعة أيضاً كتبت (منى عنية) ليلحنها الملحن المجتهد المقل (طه العجيل) لتغنيها إبنتى العزيزة (نادية مصطفى)

وفى إحياء إنتصار أكتوبر كتبت أغنية (الله يبارك) ليلحنها (حلمى بكر) ويغنيها (سمير صبرى) وهى أغنية تعبر عن أداء القوات المسلحة فى السلم والحرب وأعتقد أنها تصلح للإذاعة فى كل زمان لصدقها الشديد ، قام المطرب الملحن (طارق فؤاد) بتلحين أغنية (قبل الحب) للمطربة التى لا أدرى أين ذهبت واختفت وهى المطربة (هدى عمار) صاحبة الصوت الدافئ المعبر وأخيراً لحن (حلمى بكر) أغنية لى بعنوان (تشرّق .. تغرّب) للمطربة (أمل) التى سجلتها وغنتها بالتلفزيون

(٢٨)

معقول نتقابل تانى !!

اقتصر التعامل خلال عام ١٩٩٥ مع ثلاث ملحنين اثنين منهما أعز الأصدقاء وأقربهم إلى قلبى أولهما (خالد الأمير) الذى لحن لى أغنية (محمد عليه الصلاة) فى الليلة المحمدية ليغنيها صديقنا المشترك المطرب الكبير (محرم فؤاد) ثم يتبعها برائعته (معقول نتقابل تانى) التى كتبتها متأثراً بلقاء حبيبتى الأولى بعد فراق درامى دام لأكثر من خمسة وثلاثين عام بعد قصة حب أحداثها تصلح لأن تكون فيلماً سينمائياً يخرجه بركات أو صلاح أبو سيف أو أحد عمالقة الإخراج فى زمن الفن الجميل والتى برع (خالد الأمير) فى تلحينها لأنه ترجم مشاعرى تماماً فى ذلك اللقاء غير المرتقب والذى حبس أنفاسى لبضع دقائق لا أنساها ما حييت ، كانت صاحبة الأغنية رحمها الله هى نفسها التى كتبت عنها أغنية (غدارين) إحدى أغانى (محرم فؤاد) التى يعشقها الجمهور الذى عاصر ولادتها ولا ينساها أبداً

بينما قام الصديق العتيد (حلمى بكر) بتلحين خمسة أدعية دينية للمطربة الكبيرة ذات الصوت الذى لا يشبهه صوت آخر لتفرّدها فى أداء متميز (بِعُرَبُه) المتفردة (أصالة) وكانت الأدعية كلها من إنتاج إذاعة الشرق الأوسط ، ولشركة (صوت القاهرة) لحن لى (عبد العظيم عويضة) أغنيتين فى مسلسل (إن فاتك الميرى) الأول لأغنية عنوانها (الدنيا حظوظ ومزاجات) غناها (أحمد جوهر و مها البدرى) تلك المطربة التى تاهت من بدرى لأسباب لا أفهمها رغم حلاوة صوتها، وغنى نفس المطربين الأغنية الأخرى والتى كانت بعنوان (إن فاتك الميرى) على إسم المسلسل نفسه

واقتصر التعامل عام ١٩٩٦ مع اثنين من الملحنين استحوذ على القسم الأكبر الملحن المجتهد (عبد المنعم البارودى) الذى لحن جميع أغانى المسلسل الإذاعى (أفندينا فى المنفى) والتى غناها الملحن المطرب والعكس صحيح (طارق فؤاد) بينما لحن (خالد الأمير) أغنيتين (مش حب وبس أو صدقتنى) و (أغلى الناس) للمطرب ذو الصوت واللثغة المتفردة (محمد محيى) لتسجلهما (شركة روتانا).

بحلول عام ١٩٩٧ سجلت فى بدايته من ألحان (خالد الأمير) أغاني (أنا مغرمة) ، (ماتفكرش كتير) و (ماتجرحوش فينا) للمطربة الجميلة الشهية السورية (ميادة الحناوى) ذات الصوت والرنين المتميز للشركة (عالم الفن) التى استحوذت واشترت فيما بعد كل الأغانى المصرية من جميع جهات وشركات الإنتاج الصوتى والمرئى وذلك للذكاء والدهاء الخارق للمنتج الصديق (محسن جابر) وفقه الله فى خطاه ومنح كل ذى حق حقه بما يرضى الله

ولما ظهرت المطربة الصاعدة (غادة رجب) إبنة الصديق المايسترو العازف (رضا رجب) طلب منى أخى (حلمى بكر) أن أكتب أغنية لها فكتبت أغنية (إحنا مش لبعض) وغنتها (غادة) بأسلوبها الجميل وتم تسجيلها لشركة (روتانا) ، ولشركة (عالم الفن) تعاونت مع (خالد الأمير) في تسجيل أغنية (أنا مش هنا) لتغنيها المطربة الجزائرية (دنيا) ، ولمهرجان السياحة فى ذلك العام كتبت استعراضاً غنائياً كان عنوانه (سقفة كبيرة أو كله يغنى) اشترك فيه مجموعة من الفنانين لحن الجزء الأول منه (حلمى بكر) أما الجزء الثانى فقد قام بتلحينه صديقى الغالى الذى أودى به مرض السكر الصديق اللعين ألا وهو الموسيقار (حسن أبو السعود) ، ولحصول النادى الإسماعيلى في ذلك على بطولة كأس مصر كتبت أغنية بعنوان (أبطال الكأس) لحنها الملحن الشاب (مودى الإمام) ليغنيها النجم (سمير صبرى) ، ولمسلسل (أحلام وردية) لحن لي الصديق العزيز (محمد على سليمان) أغنيات (إحلموا .. إحلموا) ، (إمسحى يا ليالى دموعك) ، (واه منك يا صاحبى اه) ليغنيها المطرب المتميز جداً (محرم فؤاد) أما الملحن الشاب (حسن دنيا) فقد لحن للتلفزيون أغنية لى بعنوان (ماتصدقيش) ليغنيها المطرب (خالد الشرقاوى) نجل زميلى العميد (طه الشرقاوى)

(٢٩)

مين مايحبش شبرا:

تميز عام ١٩٩٨ بوفرة إنتاجي من الأغنيات المتنوعة التى قام عدد لا بأس به من الملحنين من كافة المستويات بتلحينها لأصوات عدة وكانت أول أغنية تم تسجيلها فى ذلك العام بعنوان (الدنيا بخير) من تلحين (الموجي الصغير) إبن الملحن الكبير والمتميز (محمد الموجي) والتى غناها وسجلها للإذاعة المطرب ذو الصوت الجميل المتمكن (محمد ثروت) ، ولشركة (صوت القاهرة) سجل (محمد على سليمان) للمطربة المغربية (جميلة) أغنيتان أولاهما (علشان حبيتك أنا) والثانية (أسلفك قلبى) ولشركة (صوت القاهرة) أيضاً سجلت لى (غادة رجب) من ألحان (محمد على سليمان) أغنية (يا سلام على كده) ، ولمهرجان الأغنية العربية فى ذلك العام لحن لى (محمد ضياء) إبن الأصلع الذكى الملحن المتميز (محمد ضياء الدين) أوبريت (أجيال .. أجيال) ، ولصالح (شركة صوت القاهرة) لحن لى الملحن الجميل الله يسامحه على تقاعده المبكر (فاروق الشرنوبى) أوبريت (هنا مصر الهرم) والذى فاز بالجائزة الأولى فى مهرجان الأغنية عن ذلك العام وفى مسابقة الأغنية العربية عن ذلك العام فازت أغنية (كفاية أكون بشر) والتى كانت من تأليفي وألحان (فاروق الشرنوبي) وغناء (هالة الصباغ) التي لا أدرى أين هي الآن فلقد أختفت بدون سابق بلاغ بوادى النسيان .. وللإذاعة سجلت لى (غادة رجب) أغنية (مش فارقة) من ألحان الأخ الأصغر للملحن الكبير (محمد الموجي) الراحل طيب القلب (إبراهيم رأفت) وعندما كلفتنى شركة (صوت القاهرة) بكتابة دويتو للمطربة المحبّة للحياة (صباح) رحمها الله يشاركها فيه صديقى العزيز النجم (سمير صبرى) كتبت دويتو بعنوان (الله عليكى يا حياتى)

وكان هذا الدويتو هو آخر ما غنته وصورته الفنانة (صباح) بمصر قبل رحيلها رحمها الله وفي أعياد أكتوبر من ذلك العام طلب منى الموزع الموسيقى الشهير (محمد مصطفى) أن أكتب أغنية للمطربة الصديقة الحبيبة (سميرة سعيد) كتبت أغنية (لايق عليكي النصر) وبالمناسبة فإن الموزع (محمد مصطفى) هو طليق المطربة ذات الصوت المحبب إلى سمعي المعبّر والعابر فوق الأصوات سليطة اللسان (شيرين عبد الوهاب) وأبو بناتها .. ولشركة (صوت القاهرة) سجل لي الملحن الرشيق الصديق (منير الوسيمي) أغنية (مافيش زيك في مصر) ليغنيها (سمير صبري) ، أما أغنية (باحبك يا شبرا) والتي كتبتها تعبيراً صادقاً لمعزتي لحي شبرا الذي ترعرعت به وأثر في تكويني تأثيراً لا أنكره بل وأشكره وأثني عليه ، ولقد كانت كل كلمة في المذهب وفي الكوبليهات انعكاساً أميناً وصادقاً لما يجيش بداخلي من أحاسيس ومشاعر وخواطر وحقائق بداخلي ولأن المطرب الكبير (محرم فؤاد) كان وطيد الصلة بحي شبرا فأصدقائه من الفنانين المقربين مثل العبقري (بليغ حمدي) والمايسترو مجازاً (صلاح عرام) كانا من سكانها وغيرهم وقت أن كان (محرم) في بداية حياته السنية والفنية .. فلقد لحن تلك الأغنية بصدق وفهم عميقين اتضح ذلك من استقبال الجمهور لها منذ اذاعتها في ذلك العام وحتى وقتنا هذا ، ولا أظن أن شاعراً سبقني في الإشادة بالحي الذي تربى ونشأ به كما فعلت وهذه سابقة تحتسب لي والله أعلم ويبدو أن ذلك العام كان العام الذي اختاره القدر لي لأكتب (لمحرم فؤاد) سبعة عشر دعاءاً دينياً لتذيعهم شبكة الشرق الأوسط خلال شهر رمضان المعظم

(٣٠)

ماراثون بلا نهاية:

في حياتي العادية ومنذ أول رقم جلوس لي بالشهادة الإبتدائية عام ١٩٤٥ والذي كان كما أتذكره والحمد لله جيداً حتى الآن ٥٩٢٠ ومنذ ذلك التاريخ البعيد لاحظت أيضًا أنه لم يخلو أي رقم جلوس لي في أي مرحلة تعليمية أو فرقة دراسية سواء بالقوات المسلحة أو خلال سنوات الانتساب بقسم اللغة الإنجليزية بكلية الآداب جامعة القاهرة من رقمين على الأقل وفي حالات نادرة من رقم واحد منها وأصبحت أتفائل بهذه الأرقام ولاحظت أنه حتى عند كتابتها باللغة العربية فإن رقم ٢ يصبح ٥ إذا استكملت الدائرة ثم يصبح رقم ٩ إذا ما تم وصل الخط الممدود كما هو مبين بالرسم .. أقول وأذكر كل ما سبق لأني أتفائل بهذه الأرقام التي صاحبتني في جميع نجاحاتي الدراسية (الكاملة والحمد لله) وإنما أذكرها هنا لأنوه أنه في عام ١٩٩٩ كان عامًا ذاخراً بالأعمال الغنائية وإن لم يكن بينها ما نجح أو بلغ الكثير .. على كل حال بدأ هذا العام بأغنية بعنوان (لحظة واحدة يا آنسة) من ألحان المرحوم الصديق طيب القلب مدمن السكريات والذي مات بسبب كثرة تناولها (حسن أبو السعود) ومن غناء النجم (سمير صبري) ومن أنتاج شركة (صوت القاهرة) لبرنامج (هذا المساء) وتبعت تلك الأغنية بأخرى لنفس الملحن والمطرب والشركة بإسم (أرجوكي إتبسمي) وللتلفزيون المصري كتبت المقدمة والنهاية وعشرة أغاني قصيرة للمسلسل الدرامي (حرث الدنيا) من ألحان الموسيقار المقل والعبقري في ذات الوقت (ميشيل المصري) أما الأغاني فقد غناها وأداها عدة مطربين من أنصاف المشهورين لأن (ميشيل المصري) سعى وراء حسن الأداء لا روعة الغناء

وللتلفزيون أيضًا كتبت ثمانية أغانى لمسلسل (همام يبحث عن همام) من ألحان عصام كاريكا وغناء (وائل نور) وآخرين ولشركة (إم ساوند) سجل المطرب الكبير الراحل (محرم فؤاد) آخر أغانيه من كلماتي وألحانه وهي (الدنيا تلاهى) و (القمر وانتى) والأولى يتم إذاعتها حالياً إنما الأغنية الثانية لا أدرى سبب حبس المنتج (محروس عبد المسيح) لها .. وبالمناسبة فإنه والد المنتج والمخرج ذائع الصيت حالياً (نصر محروس) لمسلسل (تدابير الدنيا) كتبت ثلاث أغنيات لحنها الملحن المجتهد (طه العجيل) وغناها المطرب ذو الصوت الجميل (محمد ثروت) كما لحن لى أيضًا (عصام كاريكا) لمطربة اسمها (يسرا) إين ذهبت مع كثيرات؟ .. لا أدرى أغنية (يا احب إسم) بينما للإذاعة لحن لى الملحن الكبير (حلمى بكر) للمطربة (نسرين) أغنية (تسلملى عنيك) ، كما لحن لى الملحن المتميز (هانى شنودة) خمسة أغانى فى افتتاح مهرجان الأغنية الخامس الذى عقد بقاعة المؤتمرات بمدينة نصر فى المدة من ٨/٢٠ – ١٩٩٩/٨/٢٨ وكانت الأغانى هى (الإشج سوّانى) ، (يا اسكندرية يا لولية) ، (أيوة احنا صعايدة) ، (إغطس .. إغطس) و (راجعين .. راجعين) وكلها من غناء (الكورال) ، وللمطربة (شيماء الشايب) إبنة المطربة الشعبية (فاطمة عيد) غنت لى وسجلت من ألحان صديقى العزيز (محمد على سليمان) أغنية (أختى الأكبر منى) لمؤسسة ابراهيم الخطيب للإنتاج ، ولبرنامج صوت القاهرة (كان زمان) سجل لى النجم (سمير صبرى) أغنيتين من ألحان الملحن الشاب (أحمد شاهين) هما (كلمنّى فى المحمول) ، (أحلامك أوامر) .. وللمطربة المغربية (ليلى غفران) سجل لى (محمد على سليمان) أغنية من أحلى ما كتبت من وجهة نظرى وكانت بعنوان (ساعة الزمن) ولكنها للأسف لم تستغلها الإستغلال الأمثل وأعتقد أن ظروف مقتل ابنتها الشابة اللاحق كان سببًا رئيسياً فى ذلك ، وللمطربة (غادة رجب) لحن لى الملحن المتميز (سامى الحفناوى) أغنية (ماحدش مصدق) للإذاعة المصرية وهى عن فكرة تعلق شابة برجل يكبرها عمراً لحنوه عليها الذى تفتقده فى جيلها من الشباب ، وفى إذاعة (صوت العرب) كلفتنى آنذاك السيدة الفاضلة (أمينة صبرى) رئيسة الشبكة أن أكتب خمسة عشر دعاءاً رمضانياً ذوى صبغة قومية عربية لحن لى منها (خالد الأمير) خمسة أدعية بينما لحن لى صديقى العزيز الملحن المتميز (حسين فوزى) خمسة آخرين وكانت الخمسة المتبقية من ألحان الموسيقى المعروف (عز الدين حسنى) شقيق المطربة الكبيرة (نجاة الصغيرة) وقبل أن ينتهى ذلك العام ١٩٩٩ لحن لى الملحن الشاب (محمد ضياء) أغنية (أنا عازمك ع العشا) ليغنيها النجم (سمير صبرى) فى برنامج (كان زمان)

عام ٢٠٠٠ بداية قرن جديد بكل ما تحمله الذكريات لما مضى من أحداث على المستوى العام وعلى المستوى الشخصى .. وبكل الآمال والأمنيات التى أسعى لتحقيقها فى مجال الشعر الغنائى الذى اختارنى أن أكون أحد تلاميذه ومريديه وأن يكون لى أثر يذكر عند كل من يتابع أشعارى الغنائية استماعًا واستمتاعًا ..

وقد كان عام ٢٠٠٠ عامًا متنوع الثمار على شجرة أساسها الفكر المستنير وحسن الإبداع والإبتكار وكان أول ما سجلته للإذاعة ذلك العام أغنية عن (الحج) عنوانها (مبروك يا حاجّ) من ألحان الصديق العزيز الملحن المتميز (حسين فوزى) ليغنيها واحد من أجمل الأصوات فى جيله وأعنى به (محمد ثروت) ولشركة (صوت القاهرة) سجلت أغنية (إرجع بالذوق) للمطربة الصاعدة آنذاك (شيماء سعيد) والذى لا أدرى أين اختفت كأخريات رغم حلاوة صوتها ، وللمطربة المختفية أيضًا (وسام) سجلت أغنية (سيبك انت) والأغنيتان كانتا من ألحان دفعتى فى الوسط الغنائى (حلمى بكر) ..

وللإحتفالية التى أقامتها وزارة السياحة بمناسبة مرور ألفي عام على مولد السيد المسيح والتى تم عرضها على النيل أمام (الكنيسة المعلقة) بمنطقة (مصر القديمة) وكانت عبارة عن تسعة لوحات لحن منها (هيثم الخميسى) ثلاثة بينما لحن (هانى شنودة) ثلاثة أخرى ولحن (محمد نوح) لوحة وكذلك (أشرف عبد المنعم) أما اللوحة الأخيرة فقد لحنها (أحمد رمضان) وكان عملاً رائعًا يحمل قيمة حقيقية وكان عن نص للكاتب الكبير (محمد سلماوى) وقد أسعدنى كثيراً أن أكلف بكتابة ذلك العمل العظيم لأنه يعبر عن وحدة النسيج الوطنى بحق واختتم العمل بلوحة رائعة للفنان (محمد نوح) والتى انهت الرحلة التاريخية المقدسة للعائلة المقدسة من فلسطين إلى مصر المحروسة ، وللتلفزيون سجلت أغانى المسلسل (خالف تُعرف) وكان من ألحان الفنان الكبير (محمد نوح) أيضاً ومن غنائه ومعه المطربة (وسام) والممثل خفيف الظل (رضا حامد) وقدمت للإذاعة أغنية (متأكدة) التى لحنها العظيم (عبد العظيم محمد) وغناها أحلى الأصوات قاطبة (محمد قنديل) ، ولشبكة (الشباب والرياضة) سجلت المقدمة والنهاية الغنائية وأربعة أغانى داخلية فى مسلسل (بنات زينب) وكلها من ألحان الملحن المبدع (سامى الحفناوى) ومن غناء تلميذة العبقرى (بليغ حمدى) الموهوبة أوبرالية التوجه (عفاف راضى) ، ولمسلسل (شجرة إسمها الود) للبرنامج العام سجل لى المطرب الشعبى الراحل (حسن الأسمر) أغنيتى (بُخوت الدنيا .. بخوت) ، (الود ودّى) للموسيقار المتميز (محمد على سليمان) ، ولبرنامج (كان زمان) من انتاج (صوت القاهرة) سجل لى النجم (سمير صبرى) أغنية (حلوة الحياة) من ألحان (محمد فهمى عبد الحميد) نجل المخرج التلفزيونى الراحل الرائع (فهمى عبد الحميد) .. ولإذاعة (القاهرة الكبرى) سجلت (٨) أدعية دينية من ألحان المايسترو (عبد الحميد عبد الغفار) ومن غناء (حسن فؤاد) و (نادية مصطفى) كما سجل لى الملحن (طارق عباس) (٧) أدعية أخرى لنفس الشبكة غناها جميعًا (سعيد حافظ) اختتمت بها تلك السنة التى كانت ميلاد قرن جديد

فى عام ٢٠٠١ لم أسجل سوى أغنية واحدة لبرنامج (كان زمان) باسم (الشعر الأبيض) من ألحان الملحن المتميز الراحل (رياض الهمشرى) وغناء النجم (سمير صبرى)

فى عام ٢٠٠٢ سجلت (لسمير صبرى) فى برنامج (كان زمان) ثلاث اغنيات الأولى بإسم (نُص نُص) من ألحان الملحن الشعبى (حسن إش إش) والثانية بعنوان (مين يراهنّى) من ألحان الملحن الجميل (وليد سعد) وأخيراً أغنية (فى المشمش يا مشمش) من ألحان (حسن إش إش) أيضاً ، أما للبرنامج العام فسجلت عشرة أدعية لتذاع فى شهر رمضان ذلك العام منها (٥) بصوت صاحبة الصوت القوى المخضرمة (نجاح سلام) تحت أسماء (خلقت كل البشر) (انا بادعى ف كل صلاة) ، (المؤمنين على حق) ، (بركة دعا الوالدين) ، (يا امة الإسلام) وكانت الخمسة الأخرى من نصيب المطرب الراحل ذو الصوت الحليمى (كمال حسنى) وكانت تحت أسماء (انا تايب لكن هايب) ، (يا رب القدرة) ، (يا رب يللى رحمتك) ، (إنت العظيم إنت الرحيم) وأخيراً (لما النهار يطلع) وكانت جميع هذه الأدعية من ألحان صديقى المحترم (عبد العظيم محمد) رحمه الله رحمة واسعة

واختتمت ذلك العام بأغنية فى برنامج (كان زمان) للنجم (سمير صبرى) من ألحان (خالد عادل) تحت عنوان (شفتك أنا)

ملحوظة : هناك بعض أسماء الملحنين والمطربين الذين لمعوا لفترة ثم انحسرت عنهم الأضواء أو ابتعدوا لأسباب مختلفة جاء ذكرهم بهذه الحلقة وما سبقها (لذا وجب التنويه).

(٣١)

أعوام الجوائز الإبداعية:

فى عام ٢٠٠٣ تنوع فيه انتاجى الغنائى بين التلفزيون والإذاعة ومهرجانات الأغنية وبين الأغانى الخاصة فى الملاهي العامة فمثلاً كتبت لمسلسل (الرجل المنتظر) من انتاج شركة صوت القاهرة ثلاث أغانى داخل المسلسل هى (من يوم ما كانوا البشر) و (بكرة اللى جاى) و (يا جرح) وكلها من ألحان الملحن الكبير (محمد سلطان) وغناء (رامى خطاب) ، وفى الملاهى العامة كتبت (لأحمد عدوية) أغنية (بلد الحبايب فين) من ألحان (حسن أبو السعود) رحمه الله كما لحن لى الموسيقار (محمد على سليمان) لمطربة مغربية لا أتذكر إسمها أغنيتى (من نِفسى) و (ما تبصليش كتير) لتغنيها بالملاهى الليلية كذلك وعاد الموسيقار (محمد سلطان) ليلحن لى أربع أغنيات للمطرب (سيد شفيق) داخل مسلسل (رحلة العمر) هى أغانى (رحلة العمر الطويل) ، (الناس قصص وحكاوى) ، (يا حِلوتى) ، (سامحينى لما اكدب عليكى) ولبرنامج (جواز سفر) التلفزيونى لحن وغنى لى (حسام حسنى) أغنية (باطير كتير هِنا وهِنا) ولمهرجان الأغنية التاسع كتبت أغنية (كتر خيرك) ليغنيها المطرب المغربى (عبده شريف) من ألحان الصديق العتيق (حلمى بكر) وللنجم (سمير صبرى) كتبت أغنية (الناس كلها) وأيضاً أغنية (ماتحبّش ما احبّش) الأولى من ألحان (خالد عادل) والثانية من ألحان (حسن إش إش) ولبرنامج (سنة أولى جواز) للتلفزيون قدمت أغنية (سنة أولى هوا) من ألحان (مودى الإمام) وغناء (سمير صبرى) أيضاً ولبرنامج (صفر على الشمال) التلفزيونى كتبت ثلاث أغنيات للنجمة (دنيا سمير غانم) من ألحان الموسيقار (محمد على سليمان) هى (الفرح صدفة) ، (يا صفر يا غلبان) و (آدى أخرة اللى بيمشى) ولنفس البرنامج غنى (سمير غانم) أغنية (إيه ده اللى بيحصل إيه) من ألحان (محمد على سليمان) أيضاً ولبرنامج (كان زمان) لحن لى الموسيقار (منير الوسيمى) أغنية (من طنطا) ليغنيها النجم (سمير صبرى)

ولمسابقة الأغنية الصباحية العربية فازت أغنية (صحى الصباح) من ألحان الموسيقار (فاروق الشرنوبى) وغناء (خالد عبد الغفار) بالمركز الثانى

وفى عام ٢٠٠٤ لم يزد إنتاجى فى ذلك العام عن أربعة أغانى كانت على التوالى أغنية (سبعين سنة) من ألحان (محمد علي سليمان) وغناء (غادة رجب) بمناسبة العيد السبعينى لإنشاء الإذاعة المصرية ، وللمهرجان العاشر للأغنية كتبت أوبريت (فى حضن مصر) الذى لحنه الملحن المتميز (محمد ضياء) وغناه كل من (ميرنا وليد) ، (أميرة أحمد) ، (مريم فرح) مع المطرب الكبير الراحل (محمد العزبى) .. ولبرنامج (سنة أولى هوا) كتبت للنجم (سمير صبرى) أغنية (إنسى المواعيد) من ألحان (ماجد عرابى) وأخيراً لحن لى (حلمى بكر) أغنية (٢ مجانين) ليغنيها مطرب إسمه (آسر) على شريط كاسيت

فى عام ٢٠٠٥ لم أنتج أغانى مسموعة لأسباب لا أعلمها ..

فـى عـام ٢٠٠٦ إستهللت الإنتـاج بأغنيـة (صـباح الفل والياسـمين) لتفـوز بالجائزة الأولى فى مسابقة الأغنية الصباحية وكانت من ألحـان صديقى الدائم (خالد الأمير) ومن غنـاء المطربـة الجميلـة (ناديـة مصطفى) وقبل أن تودعنـا المطربة ذات الصوت الشجى (فاتن فريد) سجلت لـى علـى شريط كاسيت من ألحان رفيق العمر الفنى (حلمى بكر) اغنيتين (ماتخسرنيش) و (يا طفل لبنان) ،

ولبرنـامج (ترانزيت) بشـركة (صـوت القـاهرة) سجلت ثـلاث أغنيـات مـن ألحان (أحمد صالح) ومن غناء (المجموعة) هى (الصِفْر حكايته إيه !!) ، (كل الأحلام ممكنة) ، (توبة نصوحة)

فى عام ٢٠٠٧ تنوع إنتاجى فى مصادر الإعلام المختلفة كما حصلت على جائزتين الأولى فى مهرجان الأغنية العربية بالجزائر وحصلت على المركز الأول وكأس الإبداع عن أغنية (عالم جديد) التى لحنها المخضرم (حلمى بكر) وغنتها ذات الصوت الدافئ (أجفان الأمير) وهى أغنية إنسانية تدعو أهل العالم جميعاً لإيجاد صيغة متوازنة وعادلة فى العلاقات فيما بينها ، اما الأغنية الثانية فقد فـازت بـدرع الإبـداع فـى مهرجـان الأغنيـة العربيـة وكـان عنوانهـا (دولاب الذكريات) تحمل فكرة جديدة شيقة وصياغة متمكنة أثنت عليها لجنة التحكيم ثناءاً عطراً وكانت تلك الأغنية من ألحان الموسيقار (فاروق الشرنوبى) ومن غناء المتمكنة الناعمة (غادة رجب) ولا أدرى سبباً لعدم إذاعة تلك الأغنية إلا قليلاً « لعل القائمون على أمور الإذاعة لا يحبون ذكر الذكريات كثيراً » ، فى ذلك العام كتبت للنادى الأهلى بمناسبة مرور مائة عام على إنشائه أغنية (نـادى البطولات) والتى أهديتها إليه ممثلة لمديرها فى حينه الرياضى الكبير الصديق (محرم الراغب) الذى رحب بها وبنا عند تقديمها له بمكتبه بالنادى أنا والزميل الذى قام بتلحينها الفنان (حسن إش إش) ، وفى ذلك العام طلبت منى الصديقة رشيقة الصوت الإذاعية الكبيرة (إيناس جوهر) رئيسة الإذاعة آنذاك أن أكتب دويتو غنائى أو أكثر لإثراء المكتبة الغنائية بذلك النوع من الأغانى فقدمت لها دويتو (صحيح مشتاق !!) والذى لحنه أقرب الفنانين إلى قلبى (خالد الأمير) ليغنيه كل من (محمد الحلو ، آيات فاروق) وكان الدويتو الثانى بعنوان (تصورى !!) والذى طلبت رئيسة الإذاعة الفنانة (إيناس جوهر) أن يلحنه أيضاً (خالد الأمير) لكل من الفنانين (محمد ثروت ، هدى عمار) وأنا شخصياً أعتبر أن هذين العملين من أجمل وأرق ما كتبت للإذاعة المصرية ، وللإذاعة أيضاً كتبت أغنية (المصرويّة) ليلحنها الراحل (حسن أبو السعود) ويغنيها المطرب ذو الصوت الحلو (محمد الحلو) وكتبت فى ذلك العام أيضاً أغنية (أصل الطرب مصرى) من ألحان شيخ الملحنين الراحل (عبد العظيم محمد) ويغنيها مطرب مبتدئ لا يحضرنى إسمه الآن ، ولحن لى الشاب (محمد فهمى عبد الحميد) نجل المخرج التلفزيونى الرائع الراحل (فهمى عبد الحميد) أغنية تلفزيونية بعنوان (فى خان الخليلى) من غناء (أشرف يحيى) وكان ختام إنتاجى فى ذلك العام أغنية رمضانية بعنوان (رمضان ع الباب) من ألحان الملحن المجتهد (حسن دنيا) ومن غناء المطربة الجاهزة دائماً للغناء (نادية مصطفى)

(٣٢)

(القطار بالمحطة):

فى هذه الحلقة الأخيرة من الجزء الخاص بعلاقتي بالقلم أختتم بها كتابى الذى يحمل عنوان (بين السيف والقلم – رحلة عمر) والتى أتمنى بعد النهاية من ذكر احداثها الفنية أكون قد أوفيت بعهدى مع من طلب منى من أصدقائى على الصفحة وسوف يكون الكتاب بين أيدى من يرغب فى الإطلاع عليه بعد اقتنائه أهداء أو شراء لنسخة من مكتبة الناشر (مكتبة جزيرة الورد) وعنوانها (٤ ميدان حليم خلف بنك فيصل شارع ٢٦ يوليو من ميدان الأوبرا)

فى عام ٢٠٠٨ بدأت بتسجيل أغنية بعنوان (حسن شحاته يا معلّم) وكانت من تلحين وغناء الملحن و المطرب الشعبى (حسن إش إش) ومن إنتاج إتحاد الإذاعة والتلفزيون ثم سجلت ثلاث أغانى للإذاعة المصرية من ألحان الملحن الصديق (حسين فوزى) أولاها أغنية (أيوه يا أمّه) من غناء صديقتى الإبنة والأخت العزيزة (نادية مصطفى) وكانت الأغنية الثانية بعنوان (ولا على بالى) من غناء ذات الصوت المعبر (سماح الملاّح) إبنة المرحوم الفنان (سيدالملاّح) أمّا ألأغنية الثالثة فكانت تحت عنوان (فى بلدنا مَثَل) من غناء الكورال والمطرب الشعبى (مِتقال) ، ولمهرجان الأغنية العربية عن ذلك العام سجل لى الملحن (محمود طلعت) أغنية (يا حبيبى يا) ليغنيها المطرب ذو الصوت الجميل (مدحت صالح) ثم عاد الملحن الصديق (حسين فوزى) فسجل لإبنته المرحومة المطربة (منى فوزى) للإذاعة أغنية (الحب مش معاندة) وفى نفس العام استعاد الملحن الكبير الموسيقار (محمد سلطان) نشاطه ليسجل للإذاعة أغنية من تأليفى ومن غناء صديقتنا المشتركة (نادية مصطفى) بعنوان (تيجى نبدأ من جديد) ، كما سجلت لى المطربة المتمكنة (مى فاروق) للإذاعة أغنية (أبداً مافيش حاجة) من ألحان الموسيقار الصديق متقلب المزاج (محمد على سليمان) والذى عهدت اليه الإعلامية الكبيرة السيدة (إيناس جوهر) بتلحين ثلاثين رباعية دينية لإذاعتها خلال شهر رمضان عن ذلك العام العشرة الأولى منها غنتها (مىّ فاروق) والعشرة التالية غنتها المطربة ذات الصوت الرقيق (غادة رجب) أما العشرة الأخيرة فغناها المطرب ذوالصوت المصرى الحلو المطرب (محمد الحلو) ثم سجل لى الملحن الصديق (ماجد عرابى) أغنية (لمحمد الحلو) أيضاً بإسم (دبت فيكى) وكانت تلك الأغنية آخر ما تم تسجيله من أغانى لى فى عام ٢٠٠٨

فى عام ٢٠٠٩ عاد (ماجد عرابى) ليسجل لى أغنية من تلحينه وغناء (محمد ثروت) إبنى وصديقي وزميلي بجمعية أحمد عرابى وعنوان الأغنية (مين مايحبش مصر) ، ثم حازت أغنية (بالذوق وبالمحايلة) على جائزة أحسن أغنية فى مهرجان الأغنية العربية عن ذلك العام وهى من ألحان (ماجد عرابى) أيضاً وغناء المطربة المتمكنة (هدى عمّار) ولقناة **ART** سجلت لى المطربة (أجفان) من ألحان (محمد على سليمان) أغنية (سيدى عليك سيدى) ، وأخيراً فى نفس العام لحن وغنى لى الملحن والمطرب (أحمد سعد) أغنية (أهل وسَكَن) للإذاعة المصرية وفى عام ٢٠١٠ فى مسابقة الأغنية العربية لحن لى الملحن المتميز (صلاح الشرنوبى) أغنية (لو صحيح) للثنائى صاحبى الصوت المتميزين (مدحت صالح ، اجفان) وللأسف لم تفز الأغنية بالمرتبة الأولى !!

وبعد قيام ما يسمى ثورة يناير ٢٠١١ قدمت للإذاعة أربعة أغاني الأولى بعنوان (البلد بلدنا) من ألحان المرحوم الملحن الشرقى (إبراهيم رأفت) شقيق الملحن الكبير (محمد الموجى) رحمهما الله ومن غناء المجموعة ، وغنت لى المطربة المتمكنة (ريهام عبد الحكيم) أغنية (حُضن مصر) من ألحان (محمد لى سليمان) وكتبت أغنية (من شبرا ولاّ السيدة) ليلحنها الملحن الجميل (خليل مصطفى) وتغنيها المطربة (أجفان) ثم لحن لى (ماجد عرابى) أغنية (قمر يناير) لتغنيها المطربة (هدى عمّار)

وانقطع انتاجى وتسجيلاتى الغنائية لأسباب متعددّة بعد الأحداث التى مرت بها مصر وفى عام ٢٠١٢ سجلت للصديق العزيز الملحن (حسين فوزى) أغنيتان ليغنيهما المطرب (إبراهيم راشد) الأولى بعنوان (فى عز الليل) والثانية بعنوان (قول يا رب) وفى عام ٢٠١٥ سجلت للتلفزيون المصرى أغنية (جواز إيه !!) ليلحنها (حسين فوزى) أيضاً ويغنيها (مدحت صالح) وهى أغنية ذات مضمون اجتماعى وسياسى ذو قيمة عالية ، وفى عام ٢٠١٧ لحن لى الموسيقار (هانى مهنى) أغنية (مصر الكرامة) ليغنيها المطرب الصديق العزيز (هانى شاكر) بقناة المحور

وبهذا السرد أكون قد أنهيت مرحلة (القلم) ولم يبق سوى معلومات إضافية أضيفها بإذن الله عن علاقتى بجمعية المؤلفين والملحنين

■ **تنويهات :-**

١- هناك ما يزيد عن ألفى أغنية كتبتها ولم تر النور لأسباب متعددة أولها قلة الخبرة وآخرها ظروف خدمتى بالقوات المسلحة خارج القاهرة (مركز الإشعاع الفنى) فى الشرق كلّه.

٢- فى بعض السنوات كان ما سجلته من أغان غزير والبعض الآخر متوسط والبعض الآخير محدود وهذا يحدث عادة فى كل مجال ونشاط خاصة المجال الفنى والغنائى.

٣- لا أعتقد أننى أستطيع أن أتوقف عند حد زمنى فى الإبداع الفنى لأننى خلقت لكى أكون شاعراً غنائياً غزير الإنتاج متجدد الإبداع وهذا كرم وفضل كبير من الله أحمده وأشكره عليه دائماً.

أنا وجمعية المؤلفين

بعد أن سجل لي المطرب والملحن الكبير (محمد فوزى) أغنية (بعد بيتنا ببيت كمان) أشار عليّ الشاعر الكبير الزميل (عبد الوهاب محمد) بأن أتصل بجمعية المؤلفين والملحنين وإعلام المسئولين بها على إنك أصبح لك لحناً مسجلاً على أسطوانة لشركة (مصر فون) وهي الشركة التي أسسها المرحوم (محمد فوزى) منذ عدة سنوات آنذاك والتى أممت فيما بعد للأسف الشديد والتى كانت أحد الأسباب التي أودت بحياته رحمه الله .. فقمت بالاتصال بالشاعر الكبير المرحوم (مصطفى عبد الرحمن) الذى كان يعمل سكرتيراً للجمعية لسنوات سبقت ولحقت بتاريخ مقابلتى له في أحد أيام نوفمبر ١٩٦٠ .. وطلب منى الأستاذ (مصطفى عبد الرحمن) أن أتقدم بطلب للانضمام للجمعية عندما يتم تسجيل ستة أغاني للإذاعة أو للتلفزيون الذى بدأ في إذاعة وعرض برامجه منذ ٢١ يوليو ١٩٦٠ أو أحد شركات الأسطوانات والتى كان أشهرها حينئذ شركة (بيضا فون) ، (مصر فون)

وبالفعل حتى نهاية شهر مارس ١٩٦١ كنت قد تمكنت من تسجيل ستة أغاني كانت على التوالي (بعد بيتنا) للفنان (محمد فوزى) ثم أغنية (إعلان زواج) من ألحان سليمان فتح الله وغناء الثنائى (نادية وهادية) للتلفزيون المصرى ثم أغنية (راح أغير تليفوني) من ألحان رءوف ذهني وغناء (الثلاثي المرح) وهي أغنية خاصة ثم تبعتها بأغنية (بيني وبينك تار) التى لحنها (محمد فوزى) وغنتها المطربة (صباح) وسجلتها لشركة (مصر فون) ثم سجلت للإذاعة أغنية (يوم الخميس) من تلحين وغناء (محمد فوزى) ومن إنتاج الإذاعة وكانت الأغنية السادسة هي (أعاتبه ليه) التى لحنها (حلمى أمين) و غناها (مصطفى فتحى) من مختارات الإذاعة أيضاً

- فى ١٩٦١/٤/٢١ تم قبولى عضواً مؤلفاً بجمعية المؤلفين والملحنين ومنذ ذلك التاريخ لم تنقطع صلتى بالجمعية فلقد حرصت على أن أكون أحد أعضائها البارزين في ميدان خدمتها العامة ومن بين أسمائها المرموقة ومن أجل ذلك وطدت صلتى بزملائى الأعضاء من المؤلفين والملحنين وبالقائمين على إدارتها

- تم انتخابى لعضوية مجلس الإدارة لأول مرة فى ١٩٦٩/٣/٣٠ ولمدة ثلاث سنوات وكانت أول جلسة لذلك المجلس فى ١٩٦٩/٤/٥

- أعيد إنتخابى لعضوية مجلس الإدارة فى ١٩٨٦ في مجلس كان يرأسه الأستاذ (محمد عبد الوهاب) وعضوية كل من (أحمد فؤاد حسن) ، (محمد الموجى) ، (فؤاد حلمى) ، (حلمى أمين) ملحنين .. ومؤلفين (مصطفى عبد الرحمن) ، (عبد الوهاب محمد) ، (عبد السلام أمين) ، (صلاح فايز) ، (سمير محبوب) واستمر المجلس لمدة ثلاث سنوات

- تم تعييني ضمن أعضاء مجلس الإدارة (سكرتيراً عاماً) والمشكّل بموجب القرار الوزارى ٥٠ لسنة ١٩٩٥ والصادر من وزارة التضامن

- فى ١٩٩٧/٦/٢٣ قرر مجلس الإدارة تعيينى مديراً عاما للجمعية

- تم انتخابى عضوا بمجلس الإدارة عام ٢٠٠١ وتم اختيارى لمنصب الأمين العام.

- تم انتخابى عضوا بمجلس الإدارة عام ٢٠٠٣ وتم اختيارى لمنصب الأمين العام
- أعيد انتخابى عضوا بمجلس الإدارة عام ٢٠٠٧ وتم اختيارى لمنصب الأمين العام
- فى عام ٢٠٠٩ انتهت صلتي بالعمل التطوعى والإدارى بالجمعية ولكن لم تنقطع صلتى بها يوماً واحداً للوقوف على أحوالها التى ترددت كثيراً عن ذى قبل كما يشهد بذلك جميع الزملاء من المؤلفين والملحنين

للجمعية مكان عزيز وغال داخل نفسى فلقد تعلمت من أساتذة كبار وكُتر قبلى الكثير وأخص بالذكر المرحوم الشاعر الكبير (حسين السيد) والأستاذ (مصطفى عبد الرحمن) سكرتير الجمعية لأجيال وأجيال ولا أنسى أبداً ما تعلمته وما خبرته مع وعلى يد الأستاذ المستشار القانونى الكبير (محمد لطفى) الذى لولا براعته فى تسيير الأمور وتسييس أصحاب الأفكار من شتى الإتجاهات .. رحمة الله عليهم جميعً متمنياً للقائمين على شئون الجمعية حالياً (مجلس إدارة – موظفين – إدارة) كل السداد والتوفيق والرشاد.

فهرس الكتاب